الكتاب : الديباج الوضي
المؤلف : الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن إبراهيم بن علي الحسيني المتوفى سنة 749 هـ

(فسمعتها أذنه، ووعاها قلبه): وجب عليه المهاجرة لا محالة، إلا من عذره الله تعالى، ممن لا حيلة له في نفسه وكان عاجزاً، كما قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[النساء:97] فهذه حال من تمكَّن من الهجرة ولم يهاجر مع تحققه لوجوبها عليه، ثم قال: {إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ...}إلى آخر الآية[النساء:98]، فعذرهم الله عن الهجرة لعجزهم.

(إن أمرنا هذا): يشير إما إلى سلوك طريق الآخرة، وإما إلى الجهاد عن الدين عموماً، وإما إلى جهاد أهل القبلة، وإما إلى الإمامة والتحمل لأثقالها.

(صعب): في غاية الصعوبة.

(مستصعب): مبالغة في صعوبته، أو يريد صعب في نفسه مستصعب على من احتمله وتعلق(1) به، ومن ركيك ما قيل في تفسير قوله: (أمرنا هذا)، ما قاله الشريف علي بن ناصر: إن المراد منه إمامته وإمامة المعصومين من أولاده(2)، فإنه مغرم بذكر الاثني عشر، فإنه لم يجر لهم ذكر في كلامه، فلا وجه لحمله عليه.

---

(1) في (ب): أو تعلق به.

(2) لفظ أعلام النهج –خ–: المراد أمر إمامته وإمامة أولاده المعصومين ".

(1461/4)

(لا يحتمله إلا عبد امتحن(1) الله قلبه بالإيمان): اختبره حتى وجده صالحاً للتصديق به، والامتحان: الاختبار، وامتحنه أي(2) وسَّع قلبه، من قولهم: محن الأديم إذا مدَّه ووسَّعه،أو أخرج ما فيه من الدغل والخبث، من قولهم: محن البير إذا أخرج طينها وترابها.

(ولا يعي حديثنا): ما نقوله من هذه المواعظ الشافية، والحكم العظيمة، والآداب النافعة.

(إلا صدور أمينة): مؤتمنة غير خائنة فيه بتبديله، وتحويله وتغيير حاله.

(وأحلام رزينة): لا يستفزها الطيش ولا تنزعج للفشل، ومنه قولهم: فلان رزين الحصاة، إذا كان له

عقل وافر وحلم راسخ.

(أيها الناس، سلوني): كلام وارد على جهة التنويه والإشهار(3) والإعلان بحاله ومزيد فضله، وأمره لهم بالسؤال عِلْمٌ بقدر حاجتهم إلى سؤاله وأن أحداً لا يقوم مقامه في ذلك، ولهذا قال بعده:

(قبل أن تفقدوني): بانقطاع أجلي فلا ترونني(4) بعد ذلك أبداً.

(فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض): تعليل لقوله: (سلوني) يريد فأحق المسئولين من كان عالماً بما يسأل، أهلاً للإيراد والإصدار، قد قلب العلوم ظهراً لبطن، واستولى على أسرارها وحقائقها، وفيه معنيان:

أحدهما: أن يكون ذلك على ظاهره، وأن الله تعالى أكرمه بأن أعلمه من جهة الرسول بطرق السماء، ويصدقه ما قاله عليه السلام في كلام قد مرَّ: (ما في السماء موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد أو راكع) وهذا ممكن في حقهعليه السلام.

---

(1) في شرح النهج: لا يحمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

(2) أي، سقط من (ب).

(3) في (ب): والاشتهار.

(4) في (ب) وفي نسخة أخرى: فلا تروني.

(1462/4)

وثانيهما: أن يريد أنا بالحجج الواردة على أهل السماء، والدلائل على ملكوت الله تعالى، وعظم سلطانه، وجلال كبريائه؛ لأن الله تعالى جعل في السماء آيات(1) باهرة دالة على عظم ملكوته وجلال جبروته، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ}[الأنعام:75] لاختصاصها بالأمور الباهرة.

(أعلم مني [بطرق الأرض](2)): بالحجج الواردة في الأرض، فأبانعليه السلام اختصاصه بالعلم بهما، لكنه خص المبالغة في العلم بالسماء إشارة إلى ما قلناه.

(قبل أن تشغر برجلها فتنة): شغر الكلب برجله إذا أراد أن يبول فيرفعها، وإنما كنى عن الفتنة بشغور الرِّجْلِ لأمرين:

أما أولاً: فلأنها مرتفعة عن الحق في جميع أحوالها؛ أخذاً لهذا من شغورالكلب إذا رفع رجله ليبول.

وأماثانياً: فلأنها بعيدة عن مناهج الصواب والحق، أخذاً لها من قولهم: اشتغر المنهل عن البلد إذا كان بعيداً منه، وتعليق الشغور بالرِّجْلِ يدل على إرادة المعنى الأول، وقيل: هذه بيان للأولى وبدل عنها(3).

(تطأ في خطامها): جعل هذا كناية عن عظمها وأن أحداً لا يملك إيرادها وإصدارها؛ لأن الجَمَلَ إذا تُرِكَ خطامه ولم يكن معقولاً به وطئه وذهب حيث شاء.

(وتذهب بأحلام قومها): ذهب بكذا إذا أخذه واستولى عليه، وكلامهعليه السلام ليس صادراً على جهة الإعجاب بعلم نفسه، وإنما هو صادر على جهة النصح، وأخذ البصائر لهم ممن يكون عالماً، بها مرشداً لهم إلى صلاحهم في أمر الديانة، فلهذا قال لهم هذه المقالة.

---

(1) في (ب): جعل السماء آية.

(2) زيادة في شرح النهج.

(3) في (ب): ويدل عليها.

(1463/4)

وإنما العجب ما حكي عن قتادة(1) أنه دخل الكوفة فالتفَّ الناس به محدقين عليه، فقال: سلوا(2) عما شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً وهو غلام حدث، فقال: سلوه عن نملة سليمان هل كانت ذكراً أم أنثى؟

فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: ممن(3) عرفت ذلك؟ فقال: من كتاب الله تعالى(4) وهو قوله: {قَالَتْ نَمْلَةٌ}[النمل:18] ولو كان ذكراً لقال: قال نملة(5)، فاسم النملة يقع على الذكر والأنثى منهم(6)، فإثبات التاء دلالة على أنه أراد الأنثى، كما يقال: حمامة ذكر، وحمامة أنثى فلابد من علامة هناك.

(222) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الموت وأهواله

(أحمده شكراً لإنعامه): انتصاب شكراً على المفعول له، أو يكون مصدراً في موضع الحال، فعلى الأول أحمده من أجل الشكر لإنعامه، وعلى الثاني أحمده شاكراً(7) لإنعامه.

---

(1) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، أبو الخطاب [60-118هـ] فقيه مفسر، حافظ للحديث، عالم بالشعر والأنساب وتأريخ العرب، وكان مضرب المثل في الحفظ، روى عن أنس بن مالك، وحميد بن عبد الرحمن، والحسن البصري، وطائفة، وعنه الأوزاعي، وشعبة، وأبو عوانة، وخلق، له مؤلفات منها: تفسير القرآن، والناسخ والمنسوخ في القرآن وغيرهما، قال المنصور بالله عبد الله بن حمزة، وابن حميد: وقتادة ممن قال بالعدل والتوحيد. (معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ص342).

(2) في (ب): سلوني.
(3) في (ب): مما، وفي الكشاف: من أين عرفت.
(4) تعالى، زيادة في (ب).
(5) الكشاف 361/3.
(6) في (ب): فيهم.
(7) في (ب): شكراً.

(1464/4)

سؤال؛ الشكر أعم من الحمد لكونه حاصلاً بالأقوال والأفعال والاعتقادات، والحمد خاص في الأقوال(1)، فكيف جعل الشكر علة في الحمد؟

وجوابه؛ إن مثل هذا لا مانع منه فإن حاصل السؤال أنه يلزم تعليل الشيء بنفسه، وليس الأمر كما توهمت، فإنهما متغايران العموم(2) والخصوص فالتغاير حاصل، كما تقول: زرته من أجل إنعامه وإفضاله، وأكرمته لأجل فضله.

(وأستعينه على وظائف حقوقه): الوظيفة: ما لازم الإنسان على فعله، وغرضه وأطلب منه الإعانة على ما أوجب من عباداته، وحقوقه اللازمة المفروضة.

(عزيز الجند): أراد أن جند الله هم الأعزون فلاغالب لهم، كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}[الصافات:173].

(عظيم المجد): يريد أنه عظيم الكرم، فلا يدرك وصف كرمه، ولا يمكن حصره.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله): علام عطف قوله: (وأشهد أن محمداً) وعطفه إنما كان على قوله: (أحمده) أو على شهادة توحيد مضمرة تقديرها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأحمده وأشهد، وإنما ترك ذكرها استغناء بما ذكر من أوصاف التوحيد والإلهية.

(دعا إلى طاعته): في أول أمره باللسان، وفي عاقبة أمره بالسيف والسِّنان(3).

(وقهر أعداءه): الضمير يحتمل أن يكون لله أي أعداء الله، وأن يكون للرسول أي وقهرمن ناواه وناصبه أي أذلهم وصغرهم.

(جهاداً عن دينه): من أجل الجهاد عن دينه، أو مجاهداً.

(لا يثنيه): يعطفه، من قولهم: ثنيت الحبل إذا عطفته.

(عن ذلك): يشير به إلىالجهاد.

(اجتماع على تكذيبه): يريد تألبهم عليه واجتماع كلمتهم عليه، وأراد بذلك دلالة على نفوذ بصيرته واستقرار قدمه فيما دعا إليه.

(1) في (ب): بالأقوال.

(2) في (ب): بالعموم.

(3) السّنان: الرمح.

(1465/4)

(والتماس لإطفاء نوره): الالتماس هو: الطلب، وغرضه أن طلبهم لإطفاء نور الله لا يصده عما هو فيه.

(فاعتصموا بتقوى الله): اجعلوها عصاماً في أوساطكم.

(فإن لها حبلاً وثيقاً عروته): فلا سبيل إلى انقطاعه لمن يكون متسمكاً به.

(ومعقلاً منيعاً ذروته): الذروة: أعلا الشيء، والمعقل: الواحد من الحصون، والمنيع: ما كان لا ينال أمره، والغرض من هذا كله الإشعار بأن تقوى الله تعالى حاصلة على هذه الأوصاف من جهة المعنى، وإن كان ظاهرها على جهة التجوز والاستعارة.

(وبادروا الموت): استبقوه بإحراز الأعمال الصالحة.

(وغمراته): الواحد(1) منها غمرة، وهو: ما يذهل العقل ويدهشه، ويخرجه عن التثبت والاستقامة.

(وامهدوا له): التمهيد هو: التوطئة في كل الأمور.

(قبل حلوله): بساحاتكم أو بأجسامكم.

(وأعدوا له): خذوا له أمر العُدَّة والأُهْبَة.

(قبل نزوله): بأفنيتكم، أو بأجسامكم.

(فإن الغاية القيامة): أي فإن الأمر الذي ينتهى عنده بكم إنما هو القيامة.

(لا محيص لكم عنها): وفي ذلك معنيان:

أحدهما: أن يريد بذكر القيامة الإشارة إلى ما اشتملت عليه من الأهوال العظيمة، وإظهار الفضائح الكبيرة.

وثانيهما: أنه لما ذكر الموت وحاله أراد أن يذكربعده ما هو أطمَّ منه وأهول، تنبيهاً على أن الموت وإن عظم حاله فليس غاية لأحوالكم، وإنما الغاية هي القيامة.

(وكفى بذلك واعظاً لمن عقل): الإشارة إلى المذكور أولاً من الموت والقيامة، أي فيه موعظة لأهل العقول الوافرة.

(ومعتبراً لمن جهل): أي ومنعاً للجهال من الخلق، ومزجراً لهم عن القبائح.

سؤال؛ أراه خصَّ الوعظ بالعقلاء، وخصَّ الزجر بالجهال؟

(1) في (ب): الواحدة.

(1466/4)

وجوابه؛ هو أن الوعظ إنما يكون بالأقوال الرقيقة والتمثيلات الرشيقة، وذلك كافي(1) في حق من له ذهن وفطانة، وذلك يختص(2) العقلاء، بخلاف الجهال فإنه إنما ينفع في حقهم إنما هو الزواجر العظيمة، والقوارع المهمة، وذلك لفرط إعراضهم واستحكام الغي على أفئدتهم، فلهذا خصَّهم بالزجر، والاعتبار لذلك.

(وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون): أبهم ذلك لما اشتمل من شدة الأمروصعوبته.

ثم أخذ في تفسيره وبيان حاله لما في ذلك من المبالغة وعظم الشأن في حقه:

(من ضيق الأرماس): جمع رمس، وهو: القبر.

(وشدة الإبلاس): يريد وعظم اليأس من جميع الأمور كلها، فلا يبقى في يده شيء(3) من الدنيا أصلاً.

(وهول المطلع): من باب إضافة الموصوف إلى صفته، كقولهم: مسجد الجامع، وأراد هاهنا وهول الزمان الذي يطلع فيه على الشدائد أو وهول المكان أيضاً، والهول هو: الأمر الذي يهولك ويفزعك، وفي الحديث: ((وأعوذ بك من هول المطلع)).

(وروعات الفزع): الروعة: ما يروع الإنسان ويغيِّرأحواله، والفزع أيضاً: ما يدهشه، وأراد عن الروعات المفزعة.

(واختلاف الأضلاع): أراد بضم اللحد، وفي الحديث: ((إن للحد ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعدبن معاذ))(4)، وفي الحديث: ((إنها تكون على الكافر بمنزلة البيض تحت الصخر، وتكون على المؤمن بمنزلة ضمِّ(5) الوالدة الشفيقة لولدها)).

---

(1) في (ب): كاف.

(2) في (ب): يخص.

(3) في (ب): في يده شيء منها من الدنيا...إلخ.

(4) أورده المؤلف في كتاب تصفية القلوب ص583، من كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بلفظ: ((إن للقبر ضغطة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ)).

(5) في (ب): ضمة.

اللَّهُمَّ، إنا نستجير برحمتك الواسعة ياخير مستجاربه من أليم عقابك.

(واستكاك الأسماع): استكَّ سمعه إذا كان لا يسمع أصلاً، وأراد واستكاك(1) الأسماع بالتراب.

(وظلمة اللحد): اسوداده ووحشته.

(وخيفة الوعد): أراد إما الإشفاق من فوات وعد الله الذي وعد أولياءه، وإما أراد بالوعد الوعيد بالعقاب وآلامه ودوامه.

(وغم الضريح): الضريح هو: القبر، والضرح هو: الشق في وسط القبر، وأراد وما يصيب منه من الغم عند الوضع فيه.

(وردم الصفيح): أي والسدُّ بالأحجار العريضة على اللحد قبل هَيْلِ التراب.

(فالله الله): كررذلك مبالغة أي اتقوا [الله](2) واحذروه.

(عباد الله): السالكين مسلك العبيد في طاعة سيدهم.

(فإن الدنيا ماضية بكم): مضببه إذا مرَّ غير متلوم ولا متوقف، وكنى بذلك عن سرعة زوالها وأزوف رحلتها عن الخلق.

(على مسير(3)): أي على طريق مستقيمة المرور من غير تعريج على شيء.

(وأنتم والساعة في قَرَنِ): الْقَرَنُ: الحبل الذي يُضَمُّ به البعيران معاً، وأراد أنكم مجتمعون أنتم وهي فكأنكم بها وقد حصلت معكم من غير مفارقة لكم.

(وكأنما(4) قد جاءت بأشراطها): الأشراط هي: العلامات، وأراد كأنها قد حصلت مستكملة لشروطها وأعلامها وأهوالها.

(وأزفت بأفراطها): أزف الشيء إذا قرب وقته، والأفراط هم: جمع فارط وهو الذي يتقدم ليرد الماء.

(ووقفت بكم على سراطها(5)): السراط(6) هو: الطريق، وقد سبق تقرير اشتقاقه.

---

(1) واستكاك، سقط من (ب).

(2) سقط من (أ).

(3) في شرح النهج: سنن.

(4) في شرح النهج: وكأنها.

(5) في (ب): صراطها، بالصاد المهملة، والسراط بالسين المهملة كما ورد في النسخة (أ) هو لغة في الصراط.

(6) في (ب): الصراط.

(وكأنها قد أشرفت بزلازلها): الزلازل: جمع زلزلة وهي: الشدة العظيمة، والقلقلة الفظيعة.

(وأناخت بكلاكلها): الكلكل: الصدر، وأراد أنها أقبلت بكمال آلتها، واجتماع أمورها.

(وانصرمت(1) الدنيا بأهلها): صرمه إذا قطعه، وغرضه أنها عن قريب منقطعة بأهلها بتقضي(2) أيامها وانقطاع وقتها.

(وأخرجتم من حضنها): الحضن: ما دون الإبط إلى أسفل الأضلاع، شبَّه استقرارهم بمنزلة من يكون محمولاً(3) في حضن الحاضنة.

(فكانت): بعد زوالها وتقضيها.

(كيوم مضى): مثل مدة يوم ذهب ولم يبق له أثر.

(وشهر انقضى): تقضت أيامه ولياليه، مثَّل باليوم في القلة وبما يجتمع منه وهو الشهر.

(وصار جديدها رثًّا): أي خَلِقاً بالياً بانقطاعها وتغيرها.

(وسمينها غثاً): أي مهزولاً.

ثم هذه الأمور كلها والشدائد العظيمة التي ذكرناها حاصلة:

(في موقف ضنك المقام): الضنك هو: الضيق، وأراد بذلك إما القبر أو القيامة للحساب.

(وأمور مشتبهة): يشبه بعضها بعضاً في الشدة والعظم من المسآلة والحساب، ورؤية أهوال(4) القيامة،و نشر الصحف والموازين ومعاينة الجنة والنار وغير ذلك من الأهوال.

(عظام): لا يشبهها حال في الشدة والألم.

(ونار شديد كَلَبُهَا): الْكَلَبُ بالتحريك هو: الشدة والتوثب، وهم يتكالبون على كذا أي يتواثبون عليه.

(عالٍ لجبها(5)): اللجب: هو شدة الصوت، وأراد أنه ظاهر فاشي.

---

(1) في شرح النهج: وانصرفت.

(2) في نسخة: بانقضاء، (هامش في ب).

(3) في (ب): محضوناً.

(4) في (ب): أهل.

(5) في شرح النهج: عال لجبها، ساطع لهبها.

(متغيظ زفيرها): الزفير هو: الصوت العظيم، ومنه زفيرالبحر، وزفير القدر: غليانها، وجعلها كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم، يقال: فلان يكاد يتقد من الغيظ ويتقصف(1) من الغضب، وإضافة التغيظ إلى الزفير من باب الإسناد المجازي، وهكذا ما بعده إلى قوله:{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا}[الزمر:73].

(متأجج سعيرها): السعير هو: شدة الحر، وتأجج النار ارتفاع لهبها.

(بعيد خمودها): خمدت النار إذا انطفت، وأراد أنها لا تطفئ ولا يفتر حرها.

(ذاكٍ وقودها): أذكيت النار وذكيَّتها إذا أوقدتها، وغرضه أن وقودها ذكت به واشتد حرها، وهي مخالفة لسائر النيران، فإن غيرها من النيران ذكاؤه بالحطب، وهذه ذكاؤها باتقاد الناس والحجارة فيها.

(مخوف وعيدها): يخافها من كان موعوداً بها.

(عميق قرارها): بعيد قعرها لا يدرك له نهاية على القرب.

سؤال؛ الموقف الذي أشار إليه في كلامه هذا هل يكون واحداً أو أكثر، و هكذا النار التي وصفها هل هي واحدة أو أكثر؟

(1) التقصف: التكسّر.

(1470/4)

وجوابه؛ إنها مواقف كثيرة ولهذا نكَّره، ولهذا قال تعالى: {هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ}[المرسلات:35]، وقال في موضع: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}[الصافات:27]، وفي بعض الأخبار: ((إنها مواقف خمسون موقفاً في الآخرة))(1)، وأما النيران فلعلها نيران كثيرة ولهذا(2) نكَّرها، فمنها ما يكون وقودها الناس والحجارة وهي التي لكفار الإنس من عبدة الأوثان والأصنام وسائر الملل الكفرية، ومنها ما وقودها الشياطين والجن جزاءً لكل فريق بما(3) يشاكله من العذاب، وللفساق من أهل الصلاة نيران(4) غير هذه، كما قال تعالى: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ، [لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى](5)}[الليل:14-15]، وقال في موضع آخر: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}[التحريم:6] إلى غير ذلك.

(1) هو من حديث أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص328 برقم(336) بسنده عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الحديث، ولفظ الشاهد فيه: ((ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإن في القيامة خمسين موقفاً، كل موقف مقام ألف سنة، ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: {في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة}))[المعارج:4] وأخرجه

من حديث طويل عن علي عليه السلام في مسند شمس الأخبار378/2 في الباب التسعين والمائة.
(وانظر تخريجه فيه).
(2) في (ب): فلهذا.
(3) في (ب): ما.
(4) في (ب): نار.
(5) زيادة في (ب).

(1471/4)

(مظلمة أقطارها): أنحاؤها وجوانبها، وفي الحديث: ((أوقد عليها ألف عام حتى احمرَّت، وألف عام حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة))(1).
(حامية قدورها): من شدة الإيقاد عليها، وفي الحديث: ((لو أن غرباً(2) من غسلين جهنم أخرج إلى الدنيا، لآذى حرّه من بين المشرق والمغرب))(3).

---

(1) رواه الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني عليه السلام في الاعتبار وسلوة العارفين ص460 من حديث عن أنس، برقم (373)، ورواه من حديث طويل مرسل القاضي العلامة عبد الله بن زيد العنسي رحمه الله في الإرشاد إلى نجاة العباد ص265.
(2) الغَرْب بفتح الغين المعجمة، وسكون الراء، بعدها باء موحدة هي: الدلو العظيمة.
(3) له شاهد أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص469 برقم (383) من حديث عن الحسن عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لو أن غرباً من جهنم وضع وسط الأرض لآذى ريحه وشدة حره مَنْ بين المشرق والمغرب))...إلخ الحديث، وقال المحقق في تخريجه: هو في مجمع الزوائد387/10 وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن أنس وفيه تمام ضعيف، وبقية رجاله رجال الصحيح، والترغيب والترهيب362/4، وانظر مسند شمس الأخبار 407/2 الباب (199).

(1472/4)

(فظيعة أمورها): فظع الأمر إذا اشتد وفات حصره، وأراد أن أمورها فاتت على الحد فلا يمكن الإحاطة بها، ولا الاستيلاء على كُنْهِ ضبطها، وفي الحديث: إنه لما نزل قوله تعالى: {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ

بِجَهَنَّمَ}[الفجر:23] تغير وجه رسول الله[صلى الله عليه وآله وسلم] (1)، وعرف ذلك في وجهه حتى اشتد على أصحابه، فأخبروا أمير المؤمنين بذلك(2)، فجاءه فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقه(3)، ثم قال: (يا نبي الله، بأبي وأمي، ما حدث اليوم؟ وما الذي غيَّرك؟ فتلا عليه الآية)، فقال أمير المؤمنين: (كيف يجاء بها)؟ قال: ((يجيء بها سبعون ألف ملك، يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردةً لو تركت لأحرقت أهل الجمع))(4).

سؤال؛ هل من تفرقة بين فتح الواو في الوقود وضمها؟

وجوابه؛ هو أن الوقود بالفتح ما يوقد من حطب و غيره، والوقود بالضم هو المصدر(5) كالدخول والخروج، وقرئ بهما في قوله تعالى: {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}[البقرة:24] فالفتح على القياس، والضم على المبالغة من الإسناد المجازي كقولهم: فلان فخرُ قومه.

({وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا})[الزمر:73]: من عادته عليه السلام في كلامه في أغلب حالاته إذا ذكر ترغيباً أن يشفعه بالترهيب، وإذا ذكرالبشارة عقَّبها بالتحذير تحريكاً لرغبات أهل الخير في الازدياد من الخير، وتثبيطاً وتخذيلاً لأهل الشر عن ملابسة قبيحهم، فصدَّر ما يريد ذكره من أهل الخير بهذه الآية.

(قد أمنوا العذاب): أمَّنهم الله منه.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) بذلك، سقط من (ب).

(3) في (ب): عاتقيه.

(4) رواه الزمخشري في الكشاف 755/4.

(5) في (ب): والوقود بالضم إما مصدر، والصواب ما في (أ).

(1473/4)

(وانقطع العقاب(1)): عنهم لأجل فوزهم بالأعمال الصالحة.

(وزحزحوا عن النار): أميلوا عنها وأبعدت عنهم.

(واطمأنت بهم الدار): اطمأنوا وسكنت نفوسهم بالوقوف فيها.

(واستقرت أعيانهم): بما شاهدوا فيها، وأضاف الطمأنينة إلى الدار مبالغة في ذلك.

(ورضوا المثوى والقرار): المثوى هو: الإقامة، وأراد ورضوا بالإقامة فيها والاستقرار.

(الذين كانت أعمالهم في الدنيا زاكية): إنما كرر الموصول بيان وتوضيح لماسبق في قوله: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ}[الزمر:73] وإشادة بذكر أعمالهم الحسنة، وأراد بزكاتها طهارتها عن الرياء

والتصنّع، وإرادة خلاف وجه الله تعالى.

(وأعينهم باكية): إشفاقاً من عذاب الله، وخوفاً على أعمالهم أن تكون مردودة عليهم.

(وكان ليلهم في دنياهم نهاراً): يشير بما ذكره إلى أن الله بلطفه وعجيب حكمته جعل الليل لباساً وسكوناً ، وجعل النهار معاشاً ونشوراً، وهؤلاء الذين وصف حالهم من أجل قلقهم وفشلهم، وتذكرهم أحوال الآخرة جعلوا أعمال النهار في الليل، بأن جعلوا الليل:

(تخشعاً): خضوعاً وذلة لربهم، واستكانة لعزتة وجلاله.

(واستغفاراً): وطلب الغفران لخطاياهم(2) من جهة الله تعالى.

(وكان نهارهم ليلاً): أي وجعلوا النهار ليلاً فجعلوه على هذه القضية:

(توحشاً): عن الخلق ونفاراً عنهم.

(وانقطاعاً): إلى الله تعالى في إنجاز حوائجهم وقضاء مآربهم من عنده.

(فجعل الله لهم الجنة ثواباً(3)): أراد فكانوا لأجل هذه الأعمال مستحقين لأن تكون لهم الجنة جزاء على أعمالهم.

---

(1) في شرح النهج: وانقطع العتاب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في (ب): وطلباً لغفران خطاياهم.

(3) في شرح النهج: فجعل الله لهم الجنة مآباً والجزاء ثواباً.

(1474/4)

(وكانوا أحق بها): أولى الخلق بها.

(وأهلها): والذي يصلح في الحكمة أن يكونوا مختصين بها دون غيرهم من سائرالخلائق.

(في ملك دائم): الظرف متعلق إما بقوله: {وَسِيقَ} وإما بقوله: (وجعل لهم الجنة)، وهو في موضع نصب على الحال أي حاصلين في ملك، كما تقول: دخل الأمير المدينة في بهجة عظيمة ومحفل كبير.

(ونعيم قائم): إما لا يبلى، وإما لاانقطاع له بحال.

(فارعوا عباد الله) الرعاية: هي حسن التصرف فيما يتولاه الإنسان ويقوم بحاله.

(ما برعايته يفوز فائزكم): ما ها هنا موصولة، وأراد بها إما للتقوى(1)، وإما ما يكون من الأعمال الموفقة، فإن بهذين يقع الفوز لا محالة.

(وبإضاعته يخسر متطلبكم(2)): وبإهماله وإبطاله، والخسران هو: النقص، وأصله من خسران التجارة وهو نقصانها عن الربح، والمتطلب أي: ما تطلبونه من الجنة، وإحراز رضوان الله.

(وبادروا آجالكم بأعمالكم): أسرعوا بالأعمال قبل أن تنقطع بانقطاع الآجال.

(فإنكم مرتهنون بما أسلفتم): من الأعمال القبيحة السيئة، ولافكاك لها عن الرهن إلا بتسليم ما يتوجه عليها من ذلك.

(ومدينون بما قدمتم): محاسبون أو مجزيون بما قدمتموه من خير وشر.

(وكأن قد نزل بكم المخوف): ما تخافونه من الموت وأهوال القيامة.

(فلا رجعةً تُنَالون): أي فلا يمكن نيل الرجعة إلى الدنيا ولا سبيل إليها.

(ولا عثرةً تُقَالون): ولا يمكن الاستقالة من عثاركم.

(استعملنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله): أراد جعلنا عاملين بما أمر به الله تعالى ورسوله من أنواع البر وأفعال الخير.

---

(1) في (ب): التقوى.

(2) في شرح النهج: مبطلكم.

(1475/4)

(وعفا عنا وعنكم بفضله ورحمته(1)): العفو هو: إسقاط الذنوب ومحوها من جهة الله تعالى بالتوبة والإنابة، والفضل والرحمة إنما تكون بفعل الألطاف الخفية في تحصيل التوبة وإيجادها.

(الزموا الأرض): أراد إما تأتوا في أموركم كلها وأصدروها من غير طيش ولا فشل، فإن مع الأناة الصواب، ومع العجلة الخطأ، وإما أن يريد التحذير عن تولية الأدبار في الجهاد، والهرب عن قتال أعداء الله.

(واصبروا على البلاء): على ما يصيبكم من بلاوي الدنيا ومشاقها.

(ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم هوى(2) قلوبكم): فيه وجهان:

أحدهما: أن تكون الباء في بأيديكم زائدة، ويكون هوى مفعولاً(3) من أجله، ومعناه ولا تحركوا ألسنتكم وأيديكم من أجل هوى أنفسكم، فيبعثكم على فعل الشر باليد والسيف بأمانيها الكاذبة بقولها: يا ليت كذا، ياليت كذا.

وثانيهما: أن تكون الباء غير مزيدة(4)، ويكون هوى مفعولاً به، ومعناه ولا تحركوا هوى النفوس ومراداتها وشفاء غيظها بإطلاق الأيدي وسل السيوف على غير وجهها وفي غير حقها.

(ولا تستعجلوا بما(5) لم يعجِّله الله لكم): إما لا تستعجلوا من الأرزاق بما(6) لم يعجله الله لكم، وبمالم يقضه ويسبق في عمله إعطاءكم إياه، وإما أن يريد لاتستعجلوا الحرب وتفتحوها ما لم يوفق الله ذلك ويقضيه.

(فإن(7) من ما ت منكم على فراشه): يريد من غير قتل ولا شهادة في معركة.

---

(1) في شرح النهج: بفضل رحمته.
(2) في شرح النهج: في هوى ألسنتكم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(3) في النسختين: مفعول، بالرفع، والصواب كما أثبته؛ لأنه خبر يكون.
(4) في (ب): زائدة.
(5) في (ب): ما.
(6) في (ب): ما.
(7) في شرح النهج: فإنه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(1476/4)

(وهو على معرفة حق ربه(1)): بالطاعة والانقياد لأمره، والاعتراف بتوحيده، والإقرار بالربوبية له.
(وحق رسوله): بالتصديق له.
(وأهل بيته): بالموالاة والمحبة، والنصرة.
(مات شهيداً): محرزاً للشهادة وإن لم يكن مقاتلاً، وهذا يؤيد التأويل الثاني في قوله: لا تستعجلوا.
(ووقع أجره على الله): ثبت ووجب واستحق.
(واستوجب(2) ثواب ما نوى من صالح عمله): لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.
(وقامت النية): في ذلك.
(مقام إصلاته لسيفه): يريد أن النية هي التي صيرت هذه الأفعال في مقام الجهاد، وهذا لا يقوله إلا عن توقيف من جهة الرسول؛ لأن هذا أمر يرجع إلى معرفة مقاديرالثواب، وهو أمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى(3) أو رسوله، أو من أعلماه بذلك.
(وإن لكلٍ مدَّةٌ وأجلاً(4)): يريد إن لكل شيء آخراً وانقضاءً، وغاية وانتهاءً.

(223) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا
(الحمد لله الفاشي حمده(5)): فشا الأمر إذا ظهر، وأراد أن حمده ظاهر لظهور نعمته على كل حي، وأن نعمته لا يمكن إخفاؤها، فهكذا يكون حمده ظاهراً لا يمكن ستره.
(الغالب جنده): أراد أن الله هو الناصر لجنده فلا غالب لهم، ولا يدين لأحد ولا قوة بقتالهم، لما سبق في علمه أنه لا يغلب، كما قال تعالى(6): {كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}[المجادلة:21].

(1) في (ب): حق الله تعالى.

(2) في (ب): فاستوجب.

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(4) في شرح النهج: فإن لكل شيء مدة وأجلاً، وفي (ب): وإن لكل شيء ...إلخ.

(5) في شرح النهج: الحمد لله الفاشي في الخلق حمده.

(6) تعالى، زيادة في (ب).

(1477/4)

(المتعالي جده): الجد: العظمة، والسلطان والملك، والمعنى في هذا أنه متعالي عمَّا لا يليق به من ذاته من اتخاذ الصاحبة والأولاد، وعما لا يليق بحكمته عن الظلم والكذب وسائر القبائح.

(أحمده على نعمه التوامّ(1)): التي تمت في جميع وجوهها فلا يلحقها نقصان.

(وآلائه العظام): التي بلغت كل غاية في الكمال.

(الذي عظم حلمه): زاد على كل غاية في ترك المعاجلة بالعقوبة على مستحقيها.

(فعفا): أي فكان ذلك سبباً للعفو؛ لأنه لا وجه للعفو إلا ترك العقوبة لمن كان مستحقاً لها من أهلها.

(وعدل في كل ما قضى): أي وكان صدور الأقضية من جهته على قانون الحكمة ومقتضى العدل، من غير زيادة ولا نقصان ولا حيف.

(وعلم ما يمضي وما مضى): ما تقدم من الأمور [و](2) الكائنات، وما سيكون ماضياً من الأمور المستقبلة، والحوادث المتجددة.

سؤال؛ أراه لم يقل: يعلم(3) ما مضى وما يستقبل، ولِمَ عدل إلى هذه العبارة، فهل له وجه في ذلك؟

وجوابه؛ هو أن غرضه الإشارة إلى تحقق علمه وثبوته، وأن علمه بالمستقبل وإن لم يكن واقعاً في تحققه مثل علمه بالماضي وإن كان واقعاً متحققاً، فلهذا عبَّر عن المستقبل بقوله: (علم ما يمضي) يشير به إلى ما ذكرناه.

(مبتدع الخلائق بعلمه): منشئها ومخترعها عن علم وإتقان بما في إيجادهم من المصلحة لهم، وتعلق الباء في: (بعلمه) إما تعلق الأحوال أي ابتدعهم عالماً بحالهم، وإما تعلق الآلات كما تقول: كتبت بالقلم، أي أن العلم ملابس للابتداع كالآلة فيه من أجل الإحكام والإتقان من أجله.

---

(1) في شرح النهج: التُؤام، وهو جمع توأم على فوعل، وهو: الولد المقارن أخاه في بطن واحد.

(2) الواو، سقط من (ب).

(3) في (ب) ونسخة أخرى: فعلم.

(1478/4)

(ومنشئهم بحكمه): بما سبق في علمه من إيجادهم، وحكمه في الأزل بذلك لما كان موافقاً للحكمة، وجارياً على قانون المصلحة.

(بلا اقتداء ولا تعليم): يريد أنه فعل ما فعل من الإحكامات الباهرة، والإتقانات العجيبة من غير أن يكون متابعاً لأحد في ذلك، ولا آخذاً له بالتعليم من جهة غيره.

(ولا احتذاء): احتذى على كذا إذا فعل مثله.

(بمثال صانع حكيم): يقتدي به في كيفية إيجاده، وفي إحكام أفعاله.

(ولا إصابة خطأ): أي أنه في هذه الإحكامات البديعة لم يوافق خطأ فيما فعله، وأحكمه ودبَّر خلقه.

(ولا حضرة ملأ): إما فيصدر عن رأيهم، وإما ليستعين في الإحكام والخلق بهم.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله): استغنى بما ذكره من هذه الأوصاف والتمجيدات(1) الدالة على التوحيد عن ذكر الشهادة بالتوحيد لما فيها من الدلالة عليها.

(ابتعثه): بعثه وابتعثه سيان في الدلالة، والغرض هو: الإرسال.

(والناس يضربون في غمرة): من قولهم: فلان يضرب في الجهالة، ويخبط(2) في الضلالة، وأراد أن تصرفاتهم جارية على خلاف مراده، وغرضه في التوحيد والأحكام كلها.

(ويموجون في حيرة): الحيرة: الذهاب عن الصواب، وماج الأمر إذا اضطرب وعظم حاله.

(قد قادتهم أزمَّة الْحَيْنِ): الْحَيْنِ بالفتح هو: الهلاك، يقال: حان الرجل حيناً إذا هلك، وأراد أنه لمكان فقد الأنبياء، وحصول الفترة جذبتهم أزمة الهلاك فهلكوا.

---

(1) في (ب): والتحميدات.

(2) في (ب): ويضرب.

(1479/4)

(واستغلقت على أفئدتهم أقفال الرين): صارت أقفال الرين مستغلقة فلا يمكن فتحها عن أفئدتهم، والرين هو: الطبع والدنس، كما قال تعالى: {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ}[المطففين:14] أي غلب، وقيل: الرين هو اسوداد القلب(1)، وقيل: كلما غلبك فقد ران عليك(2)، قال أبو زيد: رين بالرجل إذا وقع به ما لايستطيع الخروج منه(3).

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله(4)): اعلم أنه عليه السلام في أول كل خطبة لا بد له من ذكر الوصية بالتقوى، وما ذاك إلا لعلمه بشرف حالها، وعلو درجتها، ونفاسة أمرها.

(فإنها حق الله عليكم): يريد أنها أعظم حقوقه عليكم، أو أنه لا حق من الحقوق الواجبة عليكم مثلها.

(والموجبة على الله حقكم): لأن ثمرة التقوى هو: الفوز بالجنة، وحيازة رضوان الله تعالى.

(وأن تستعينوا عليها بالله): على تأديتها وعلى القيام بها بالألطاف والتوفيقات فيها، والهداية إليها.

(وتستعينوا بها على الله): إما على تحصيل ثواب الله ومزيد فضله، وإما على اللطف في جميع الخصال التي أشار الله بوجودها عند التقوى كالفلاح والرشد والصلاح، وغير ذلك من الخصال النفيسة الغالية(5).

(فإن التقوى في اليوم): يريد في الدنيا.

(الحرز): من غضب الله وأليم سخطه.

(والجنة(6)): ويستحق بها الجنة.

(وفي غد): يريد يوم القيامة.

---

(1) في مختار الصحاح ص266: وقال الحسن رضي الله عنه: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب.

(2) صاحب القيل هذا هو أبو عبيد. (المصدر السابق).

(3) القول هذا مذكور في المصدر السابق ص267 بدون نسبة لقائله.

(4) في (ب): بتقوى الله تعالى.

(5) في (ب): العالية.

(6) في شرح النهج: والجُنَّة.

(الطريق إلى الجنة): أي هي الطريق الموصلة والهادية إلى الجنة.

(مسلكها واضح): أي بيِّن ظاهر لا لبس فيه على من أراده وقصده.

(وسالكها رابح): الضمير للطريق أي ومن سلكها فهو رابح بالفوز.

(ومستودعها حافظ): فيه روايتان:

أحدهما: بفتح الدال، ومعناه هو أن كل قلب أودع التقوى فهو حافظ لصاحب التقوى من جميع الآفات.

وثانيهما: بكسر الدال ومعناه أن كل من استودع نفسه التقوى كان حافظاً لنفسه عمَّا يتلفها ويسقط حالها.

(لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضين والغابرين): في فعلها وقبولها، والتلبس بها، وأن يكونوا من أهلها، ومن القائمين بحقها، ومن المستغرقين لأوقاتهم في استعمالها، والغابر هو: الماضي، يقال: غبر يومه إذا مضى.

(لحاجتهم إليها غداً): أي من أجل حاجتهم إليها في الآخرة، ومن أجل ما يحصل من النفع بسببها، وما يقع من الشرف والكرامة بالتعلق بها.

(إذا أعاد الله ما أبدى): من الأمم الماضية، والقرون الخالية.

(وأخذ ما أعطى): إما أخذ الأرواح بعد إعطائها، وإما أخذ سائر النعم واستردَّها بعد إعطائهم إياها.

(وسأل عما أسدى): من النعم الظاهرة والباطنة، كما قال تعالى: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}[التكاثر:8] والإسداء هو: الإفضال.

(1481/4)

(فمن أقل من قلها(1)): القُل والقِل بالضم والكسر هو: الشيء القليل، وفي الحديث: ((الربا وإن كثر فهو إلى قُلٍّ))(2).

وقال الشاعر:

قد يقصر القُلُّ الفتى دون همِّه

وقد كان لولا القلُّ طَلاَّعَ أَنْجُدِ(3)

وأراد فمن ترك متاعها القليل المنقطع.

(وحملها حق حملها): إما بالتشديد(4) وغرضه وجعلها حاملة من أمره ما يقدر على حمله(5) من ذلك، وإما بالتخفيف(6) ومعناه وحمل هو من متاعها ما يقدر على حمله من ذلك ولا يثقله.

(أولئك الأقلون عدداً): الإشارة(7) إلى قوله فمن؛ لأنه جمع في المعنى أي الذين عددهم عند الله قليل.

(وهم أهل صفة الله تعالى): المستحقون لما وصف الله تعالى في كتابه الكريم إذ يقول:

---

(1) في شرح النهج: فما أقلَّ من قَبِلَها.
(2) الحديث بلفظ المؤلف هنا هو في نهاية ابن الأثير 104/4 لابن مسعود، وهو بلفظ: ((الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قُلّ)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 159/5 وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل424/1،395، والمستدرك للحاكم النيسابوري 37/2، وكنز العمال برقم (9758)، والكامل لابن عدي1333/4.
(3) البيت لخالد بن علقمة الدارمي، أورده في لسان العرب 154/3 من بيتين قال: وأنشد الأصمعي لخالد بن علقمة الدارمي:
ويل أم لذات الشباب معيشة

مع الكثر يعطاه الفتى المتلف الندي

قد يقصر القلُّ الفتى دون همِّه

وقد كان لولا القلّ طلاع أنجدِ

(4) أي وحمَّلها.
(5) في (ب): حملها.
(6) أي وحملها.
(7) في (ب): إشارة.

(1482/4)

({وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}[سبأ:13]): وأراد أن من هذه حاله فإنه يقل طلبهم، ولايكونون في الخلق إلا على القلة والندور؛ وذلك لما في سلوك طريقهم من الصعوبة فلا يكاد يسلكها إلا النادر القليل، وقد قيل: مهما عظم المطلوب قلَّ المساعد.
(فانقطعوا(1) بأسماعكم إليها): الضمير للتقوى أي كأنكم لا تسمعون شيئاً سواها، ولا يجري على أذهانكم غيرها.
(وواكظوا(2) بجدكم عليها): المواكظة: المداومة، وأراد داوموا بالجد والاجتهاد على فعلها، والتخلق بأخلاقها، وعمارة قلوبكم بفعلها.
(واعتاضوها): الاعتياض افتعال من المعاوضة.

(من كل سلف خلفاً): أي اجعلوها عوضاً وخلفاً عن كل ما مضى من أموركم وسلف منها فهي خير عوض.

(ومن كل مخالف موافقاً): واجعلوها موافقة لكم عن كل ما خالفكم من الأمور واعتاص عليكم فعله وتحصيله.

(أيقظوا بها نومكم): أي أزيلوا بها ما تعلق بكم من النوم والغفلة، واجعلوها سبباً في الانتباه عن الغفلة.

(واقطعوا بها يومكم): أراد اشتغلوا بفعلها في أيام الدنيا؛ لتكون منقطعة عنكم وأنتم ظافرون بالتقوى محصِّلون لها، وعبَّر باليوم عن أيام الدنيا.

(وأشعروها قلوبكم): الشعار من الثياب: ما كان ملاصقاً للجسد، لا حائل بينه وبينه، وأراد ألصقوها بقلوبكم، وهو استعارة ومجاز حسن.

(وارحضوا بها ذنوبكم): رحض الشيء إذا أزاله، وأراد اجعلوها مزيلة لما وقع من الذنوب باكتسابكم لها.

---

(1) في شرح النهج: فأهطعوا.

(2) في شرح النهج: وألظوا، أي ألحوا، وقال فيه: ويروى: (وأكظوا).

(1483/4)

(وداووا بها الأسقام): السقم هو خلاف الصحة، فلما كانت الذنوب مورثة للأسقام العظيمة، والهلاكات الجسيمة ، جعل التقوى كأنها تزيل أسقام هذه المعاصي أي عقوباتها وآلامها المستحقة في الآخرة.

(وبادروا بها الحمام): الحمام: الموت؛ لأن بعد الموت فلا يستفاد بها، وهو مانع عنها، وقاطع لأمرها، وحقيقة حالها.

(واعتبروا بمن أضاعها): كيف حلت بهم العقوبات وأعقبتهم الندامة، وأفضوا إلى الخسران الدائم، والعقوبة السرمدية.

(ولا يعتبرنَّ بكم من أطاعها): أراد ولا تضيعوا حقها وتسقطونه من أيديكم فتصيروا موعظة يعتبربها ويتعظ من كان مطيعاً لها منقاداً لأمرها، سالكاً لطريقها غير مخالف لحقيقتها وأمرها.

(ألا وصونوها(1)): امنعوها عن مخامرة الذنوب، واكتساب(2) المعاصي فإنه لاتقوى مع ملابسة ذلك وفعله.

(وتَصونوا بها(3)): أي وكونوا صائنين لأنفسكم بها، فإن مع التقوى تحصل صيانة النفوس، ومنعها

عما يهلكها.

(وكونوا عن الدنيا نُزَّاهاً): أي متنزهين عن أطماعها، وسائر تعلقاتها المهلكة.

(وإلى الآخرة وُلَّاهاً): وَلَهِ في(4) الشيء إذا رغب فيه، وتحيَّر عقله ولعاً به، وأراد بذلك شدة الرغبة في الآخرة.

---

(1) في شرح النهج: ألا فصونوها.

(2) في نسخة: في اكتساب المعاصي (هامش في ب).

(3) في شرح النهج: بها، كما أثبته، وفي النسختين: عنها.

(4) في (ب): وَلِهَ إلى الشيء.

(1484/4)

(ولا تضعوا من رفعته التقوى): لأن ذلك يكون إسقاطاً لحق الله تعالى؛ لأن إيضاع حقه إنما كان من أجل اتقائه لله وخوفه له، وفي حديث عائشة: ((ما أعجب رسول الله بشيء من الدنيا ولا أعجبه أحد إلا ذو تقوى))(1)، ووجد مكتوباً في التوراة: يا ابن آدم، اتق الله، ونم حيث شئت.

(ولا ترفعوا من رفعته الدنيا): لأن ذلك يكون(2) مضاداً لأمر الله، ومخالفة لحكمه.

(ولاتشيموا بارقها): شمت البرق إذا نظرت إلى سحابة حيث تمطر، وأراد لا تلتفتوا عليها في حالة من الحالات.

(و لاتسمعوا ناطقها): مجازاً عن سماع ناطقها، والغرض هو تركها.

(ولا تجيبوا ناعقها): يريد أنها إذا أقبلت عليكم فأعرضوا عنها.

(ولا تستضيئوا بإشراقها): فيه روايتان:

فتح الهمزة، وهوجمع شَرْق وهو: الشمس، وبكسرها وهو مصدر أشرق الشيء إشراقاً، إذا ظهر نوره، وأراد أنكم لا تنتفعوا بشيء منها.

(ولا تفتتنوا بأعلاقها): العِلْقُ هو: الشيء النفيس، وأراد أنكم لا تزولوا عن طريق الحق والاستقامة بما يظهر لكم من نفائسها، وزهرة حطامها.

(فإن برقها خالب): برق خُلَّب إذا كان لامطر تحته.

(ونطقها كاذب): يريد أنها لو نطقت لما نطقت إلابالكذب والغرور والأماني، أو يريد نطقها بلسان الحال عن ذلك.

(وأموالها محروبة): أي مأخوذة.

(وأعلاقها مسلوبة): يستلبها آخر بعد آخر، بينا هي لقوم إذ صارت لآخرين.

(وهي المتصدية(3)): أصله المتصددة أي المتعرضة لكنه أبدل من أحد حرفي التضعيف ياء كما قيل: في تسررت تسريت.

---

(1) رواه الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار ص50 برقم(13). (وانظر تخريجه فيه).
(2) يكون، سقط من (ب).
(3) في شرح النهج: ألا وهي المتصدية.

(1485/4)

(العنون): عنَّ الشيء إذا عرض، وأراد أنها(1) متعرضة لفعل كل مكروه وخديعة، وإما عارضة(2) أي زائلة وزائل ما فيها لامحالة.
(والجامحة): الجموح من الدواب هي: التي لا تقف على غرض صاحبها، بل تركب به الصعب والذلول.
(الحرون): من الخيل ما كان إذا أراد راكبه مشيه تأخر على أعقابه، ووقف تارة أيضاً.
(والمائنة): الكاذبة، والمين: الكذب؛ لأنها تكذب بأهلها.
(الخؤون): فلا وفاء عندها لأحد.
(و(3)الجحود): جحد الشيء إذا أنكره، وأراد أنها جاحدة للخير لعزمها على الشر.
(الكنود): الكفور، وكند النعمة إذا كفرها.
(والعنود): عن الحق المائلة عنه، من قولهم: عند عن الطريق إذا سلك خلافها.
(الصدود): من قولهم: صدَّ عن الشيء إذا أعرض عنه، فوصفها بالصدود لما تراه من إعراضها عن أهلها وتركها لهم صرعى على جنوبهم.
(والحيود): المائلة عن الرشد، من قولهم: حاد عن كذا إذا مال عنه.
(الميود): المضطرب حالها، من قولهم: ماد البحر إذاتحرك واضطرب اضطراباً شديداً.
(حالها افتعال(4)): أي كذب وزور، وسمي الكذب افتعالاً واختلاقاً لأنه يزوره في نفسه، ويأتي به بإعمال فكرته من غير اعتمادمنه على مطابقة مخبره، ولا التفات إليه.
(ووطأتها زلزال): أراد إما من وطئته الدنيا زلزلته وأزعجته عن مكانه، وغيرت أحواله، وإما أن يريد أنها سريعة الزوال بأهلها بقطع الدابر واستئصال الشأفة منهم.
(وعزها ذل): أي ومن اعتز فيها(5) فهو عن قريب صائر إلى الذل، بتغير أحوالها عليه.

---

(1) في (ب): وأراد إما أنها...إلخ.

(2) في (أ): وعارضة، بدون قوله: إما.

(3) الواو، زيادة من شرح النهج.

(4) في شرح النهج: حالها انتقال.

(5) في (ب): بها.

(1486/4)

(وجدها هزل): لأن الهزل ما لايعتمد عليه من الحديث، وأمورها كلها(1) لا اعتماد عليها ولا التفات إليها.

(وعلوها سفل): أراد أن من كان فيها عالياً بالأمر والنهي، وبالحسب والشرف فعن قريب وقد أذلته وأوضعته وحطته عن شرفه، وأزالته عن نفوذ أمره ورئاسته.

(دار حرب): غضب وتلهف، من قوله(2): حرب الأسد إذا اشتد غضبه.

(وسلب): أي هذا يسلب هذا وذاك يسلب هذا.

(ونهب): تنهب فيها الأموال والنفوس وتختطف فيها الأرواح.

(وعطب): وهلاك، من قولهم: عطب الرجل إذا هلك.

(أهلها على ساق): أي على شدة، من قولهم: قامت الحرب على ساق إذا حمي أمرها، وظهر حالها.

(وسياق): بأهلها إلى الموت والقيامة في سرعة وقلق وإزعاج.

(ولحاق): لهم بمن مات من قبلهم.

(وفراق): للأحياء الباقين بعدهم.

(قد تحيرت مذاهبها): المذهب هو: المسلك والطريق، وغرضه أن طرقها فيها صعوبة فلا يمكن سلوكها.

(وأعجزت مهاربها): يعجز طالبها عن وجدانها، فلا يمكنه منها مهرب ولا حيلة.

(وخابت مطالبها): ضلت وفسدت، فلا سبيل إلى نيل مطلب من مطالبها.

ثم خرج إلى وصف حال أهلها بعد فراغه من وصف حالها بما تقدم بقوله:

(فأسلمتهم المعاقل) يريد أنهم نزلوا عنها خاضعين لم تكن مانعة لهم عن المنون وإصابة الموت.

(ولفظتهم المنازل): لفظه إذا دفعه، وأراد أنها دفعتهم عن الاستقرار فيها والسكون في جوانبها وحافاتها.

(وأعيتهم المحاول): المحاول جمع محالة وهو: التصرف، واشتقاقه من التحول والتصرف، وأراد أنها انسدت عليهم جميع أنواع الحيل والتصرفات كلها.

(فمن ناجٍ): ثم قسَّمهم وذكر أنواعهم فمن ناجي، الناجي هو: المسرع.

(معقور): أي مقطوعة رجله.

---

(1) في (ب): كأنها.

(2) في (ب): قولهم.

(1487/4)

(ولحم مجزور): أي مقطع، وقد يقال: المجزور هو المنحور.

(وشلو): أي عضو من أعضاء اللحم.

(مذبوح): أي مشقوق، والذبح: الشق للأوردة.

(ودم مسطوح(1)): أي مصبوب.

(وعاضّ على يديه): ضيقاً وحزناً، يقال: فلان عاضٌّ على يديه إذا امتلأ غيظاً وحنقاً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ}[آل عمران:119].

(وصافق لكفيه(2)): جاعل لأحدهما على الأخرى ندامة على فعله.

(ومرتفق لخديه(3)): أي جاعل مرفقيه حذاء خديه يبكي وهو مضيف إليهما خديه؛ لأن المحزون يفعل ذلك.

(وزار على رأيه):زريت عليه زراية إذا عبت عليه رأيه وفعله.

(وراجع عن عزمه): عمَّا كان عازماً عليه ندامة وتحسراً.

(فقد(4) أدبرت الحيلة): أي ذهبت وصارت غيرنافعة.

(وأقبلت الغيلة): غاله إذا خدعه، والغيلة مصدر غاله غيلة أي خدعه خديعة، وأراد في هذا كله أنه ذهب الوفاء وزال بأهله، وبقي الخدع والمكر.

(ولات حين مناص): لا هذه هي النافية للجنس مثلها في قولك: لارجل في الدار، وهي تؤنث كما يؤنث ثَمَّ وَثَمَّت وربَّ وربَّت، وحين اسمها، والمناص: المخرج، ويجوز أن تكون هي المشبهة بليس، أي ليس الحين حين مناص.

(هيهات هيهات): اسم من أسماء الفعل، ومعناه بَعُدَ ذلك.

(قد فات ما فات): من الدنيا كلها.

(وذهب ما ذهب): وإنما أُبْهِمَ مبالغة في الذاهب والتالف، وإعظاماً للأمرفيه، وأنه بلغ مبلغاً لا يمكن إحاطة العقول به واستيلاؤها عليه.

(مضت الدنيا): ولَّت مدبرة.

---

(1) في شرح النهج: مسفوح، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في شرح النهج: بكفيه.

(3) في شرح النهج: بخديه.

(4) في (ب) وفي شرح النهج: وقد.

(1488/4)

(لحال بالها): البال: القلب، وأراد لحال(1) خاطرها وماهي عليه، ثم تلا هذه الآية: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ}[الدخان:29]): مشيراً بها إلى ما أشار الله بها من تغير الدنيا على أهلها وانقطاع نعيمها عنهم، وانتقالها إلى غيرهم، فيحتمل أن يكون ذلك تهكماً بحالهم حيث لم يلتفت إلى مصارعهم ومهالكهم ولا بكى عليهم أحد، وقيل: ما بكت عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين(2)، وأراد فما بكى عليهم أهل السماء والأرض ممن ذكرناه.

وقد ختم هذه الخطبة بهذه الآية، وفيها من المناسبة لمعانيها والملاءمة لأوضاعها ومبانيها ما يدريه كل عاقل ذكي، ويتقاعد عن فهمه كل غافل عن الأسرار غبي.

(224) ومن خطبة له عليه السلام تسمى: (القاصعة)

سميت قاصعة إما من قولهم: قصع الماء عطشه إذا أذهبه؛ لأنها أذهبت ما في الصدور من الوحر والغيظ، وإما من قولهم: قصعت القملة إذا هشمتها وقتلتها؛ لأنها هشمت مكر إبليس وخدعه بالخلق.

وهي خطبة طويلة ذكرفيها ذم إبليس علىاستكباره وتركه السجود لآدمعليه السلام، وأنه أول من أظهرالعصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس عن سلوك طريقه(3):

(الحمدلله الذي لبس العزَّ والكبرياء): العزّ: نقيض الذلّ، والكبرياء: التكبرو العظمة، واللبس ها هنا مجاز واستعارة، مثله في قوله تعالى: {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ}[النحل:112] ومن جيد ما يقال في المعنى قول من قال:

هما يلبسان المجد أحسن لبسه

شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما

---

(1) في نسخة أخرى: بحال.

(2) صاحب القيل هذا هو الحسن البصري انظر الكشاف 280/4.

(3) في شرح النهج: من سلوك طريقته.

(واختارهما لنفسه دون خلقه): يريد أنهما لا يصلحان إلا له لاستحالة معناهمافي حق غيره، أو يريد أنهما لا يقعان على جهة الحقيقة إلا في حقه، وإن أطلقا في غيره فعلى جهة التجوّز لا غير.

(وجعلهما حمى): أي محظور(1) لا يقرب، وأحميت المكان جعلته حمى، وفي الحديث: ((لاحمى إلا لله ولرسوله))(2)، وسمع الكسائي في تثنيته حموان والقياس فيه حميان؛ لأنه من الياء، ولكنهم قلبوا ياءه واواً كما فعلوه في جباوة.

(وحرماً): أي حراماً لايحل انتهاكه ولا تعدِّيه، ومنه قوله: مكة حرم الله.

(على غيره): أي لايصلحان في حق غيره لأنهما لا يصدقان إلافيه، فلهذا اختصا به.

(واصطفاهما): اختارهما، والاصطفاء هو: الاختيار.

(لجلاله): أي من أجل أنهما لايصلحان إلا لمن له الجلال، وهو الاختصاص بالصفات الإلهية والعظمة.

(وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده): اللعنة: الإبعاد من الرحمة في الآخرة، وغرضه أن كل من نازع الله تعالى في عزِّه وكبريائه كان مستحقاً للإبعاد من الرحمة، والتقريب من الويل والعذاب، وفي الحديث عن الله تعالى: ((الكبر ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في أحدهما قصمته))(3).

---

(1) في نسخة أخرى: محظوراً.

(2) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 241/7 إلى البخاري 148/3، 72،74/4، وسنن أبي داود (3083)، ومسند أحمد بن حنبل 38،71،73/4، والسنن الكبرى للبيهقي 147/6، 59/7، والمستدرك للحاكم النيسابوري 61/2 وعزاه أيضاً إلى غيرها من المصادر.

(3) الحديث بلفظ: ((العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما قصمته)) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 128/13، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف538/6.

(ثم اختبر بذلك): الاختبار: الامتحان، والإشارة إلى المذكور أولاً وهو الاعتراف لله تعالى بالعز والكبرياء.

(ملائكته المقربين): من رحمته، أو المقرَّبين إلى المواضع الشريفة المقدَّسة كالعرش والكرسي

وغيرهما.

(لِيَمِيْزَ المتواضعين منهم من المستكبرين): فمن أطاع للأمر ونفوذه فهو المتواضع للجلال والمعترف بحاله، ومن عصى في ذلك وأنكره فهو المتكبر المستحق للوعيد.

(فقال سبحانه): مخبراً عمَّا سبق في علمه من طاعة من يطيع ومعصية من يعصي من هؤلاء المأمورين الملائكة وإبليس.

(وهو العالم بمضمرات القلوب، ومحجوبات الغيوب): هذه الجملة واردة على جهة الاعتراض لا محل لها من الإعراب، وإنما وردت منبهة على أن سبق العلم ونفوذه من قبل ليس موجباً للسجود في حق من أطاع به، ولا مانعاً وحائلاً عن السجود في حق من عصى بتركه، ثم تلا هذه الآية:

({إِنّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ})[ص:71]: يريد آدم عليه السلام.

({فَإِذَا سَوَّيْتُهُ})[ص:72]: أحكمت صنعته.

({وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي})[ص:72]: لانفخ هناك، وإنما هو استعارة في إجراء الروح في هذه الصورة الطينية.

({فَقَعُوا}): أمر بالوقوع والإسراع فيه.

({لَهُ}): أي من أجله تعظيماً له لخلقي، وتشريفاً لما خلقت بيدي.

({سَاجِدِينَ}): متواضعين لجلالي في سجودكم، وإكراماً لآدم من أجلي.

({فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ})[ص:73: أذعنوا للأمر وأطاعوا بالسجود.

({كُلُّهُمْ}): ما تخلف منهم واحد انقياداً لله وامتثالاً لأمره .

(1491/4)

({أَجْمَعُونَ}): تأكيداً بعد تأكيد، تعظيماً لحالهم، وتعريضاً بحال إبليس في تأخره مع سجود(1) من هو أعز منه وأفضل وأشرف منزلة عند الله وأعظم تقدماً وهم الملائكة.

({إِلاَّ إِبْلِيسَ}): الأكثر على أنه استثناء منقطع؛ لأنه من غير جنس الملائكة، وإنماهو من الجن.

(اعترضته الحمية): الاحتماء على أصله، وإنما قال: (اعترضته) على أنه لعنه الله تعالى آثرها وحرَّك داعيها وأقبل إليها.

(فافتخر على آدم بخلقه): بأن قال: {خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}[ص:76].

(وتعصب عليه لأصله): بأن قال: أنا جوهر نوراني مشرق رقيق، ذو لهب عالي، وأنت من جوهر تربي لاصفاء له فيه مختصاً بعكس صفائي هذا، ويزعم بعد ذلك أنه لا تداني بين الفضلين، ولا تقارب بينهما.

(فعدو الله): العداوة في حق الله إنما تعقل على معنى إنزال الضرر بالغير والإهانة.

(إمام المتكبرين(2)): متقدمهم؛ لأنه هو الذي سنَّ هذه الخصلة، وأول من دعا إليها وتلبس بها.

(وسلف المستكبرين): السلف: من تقدم، وأراد أنه الغاية في ذلك.

(الذي وضع أساس العصبية): الأساس هو: أصل البناء، وهو مجاز هاهنا.

(ونازع الله رداء الجبرية): المنازعة: المخاصمة، والأصل هو منازعة رأس الفرس لراكبها والتصعب عليه، والجبرية هو: التجبُّر والعظمة، وأراد بالمنازعة هو أن الله تعالى أمره فأبى، وحكم عليه بالسجود فتمرد وعصى، فهذا هو وجه المنازعة.

(وادَّرع لباس التعزز): ادَّرعه إذا جعله له درعاً، والتعزز: العزة والتكبر.

---

(1) في (أ): سجوده، وما أثبته من نسخة أخرى.

(2) في شرح النهج: إمام المتعصبين.

(1492/4)

(وخلع قناع التذلل): أزاله وطرحه عن جسمه، والخلع مع الادراع كلها من باب المجازات والاستعارات العالية، فكان ذلك سبباً في ذُلِّه وذريعة إلى حقارته وهونه.

(ألا ترون(1) كيف صغَّره الله بتكبره): أعطاه الله الصَّغار من أجل ما احتمل من نفسه من الكبر واكتسبه.

(ووضعه بترفعه): وخصَّه بالضّعة وحقارة الرتبة، وخسة المنزلة من أجل ما فعل من الترفع بحاله والتعظيم لنفسه.

(فجعله في الدنيا مدحوراً): الدحر: الطرد والإبعاد، كما قال تعالى: {مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً}[الصافات:8-9] أي دفعاً.

(وأعدَّ له): هيَّأ ومكَّن.

(في الآخرة سعيراً): في القيامة ناراً متسعرة، وسعرت النار إذا أحميتها.

ثم شرععليه السلام في النقض لشبهته والرد عليه فيما تعلق به، بقوله:

(ولو أراد الله): سبق في علمه، واقتضته حكمته.

(أن يخلق آدم من نور): أن تكون خلقة آدم أعظم خلقة من خلق إبليس، بأن يخلقه من نورعظيم.

(يخطف الأبصار ضياؤه): أي يزيل ضوءها من كثرة شعاعه ونوره، لأن كل ما عظم نوره فإنه يقال فيه: يخطف الأبصار، كما قال تعالى: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ}[البقرة:20] من كثرة ضوئه ونوره.

(ويبهرالعقول رُوَاؤُهُ): بهره إذا غلبه، وأراد يغلب العقول حسن منظره وبهائه.

(وطيب يأخذ الأنفاس عَرْفُه): العَرف: ما يشم من رائحة طيبة كانت أو خبيثة، وأراد ها هنا الطيبة التي يعظم وقعها في النفوس، ويعظم تأثيرها في الخياشيم من عَبْقَةِ(2) ريحها ونفوذه.

(لفعل): اللام جواب لو، أي لكان ذلك، ووقع من جهة القدرة، فإن من كانت قدرته لذاته فلا يعجزه شيء، ولا يخرج عن قادريته شيء من المقدورات.

---

(1) في شرح النهج: ألا يرون.

(2) عبقة أي رائحة.

(1493/4)

(ولو فعل ذلك): على جهة الفرض والتقدير؛ لكونه خلاف ما وقع.

(لظلت الأعناق(1) خاضعة): خضع عنقه إذا ذلّ وخضع، وأراد قسراًوإلجاءً كما قال تعالى: {فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}[الشعراء:4].

(ولخفَّت البلوى فيه على الملائكة): وبعد حصوله على هذه الصفات(2)، إذ صار أعظم منهم حالاً، وأشرف خلقة.

(ولكن الله تعالى(3) سبحانه): استدراكاً لما قدَّره من جهة خلقة آدم التي لم تكن أصلاً.

(يبتلي خلقه): يختبرهم ويمتحنهم بضروب الامتحانات والاختبارات.

(ببعض ما يجهلون أصله): ما الحكمة فيه؟ وما لله فيه من غرض؟

(تمييزاً بالاختبار لهم): في إطاعة من يطيع منهم، ومعصية من يعصي.

(ونفياً للاستكبار عنهم): وإزالة للتكبر ألاَّ يخالطهم ويستولي عليهم.

(وإبعاداً للخيلاء منهم): الخال والخُيَلاَء والمَخْيَلَة هي: التكبر والتعاظم والفخر، قال رؤبة:

والخال ثوب من ثياب الجهال(4)

(فاعتبروا): في ترك الكبر والتعاظم والفخر، والتلبس بها والارتداء بأثوابها.

(بما كان من فعل الله بإبليس): لما فعل هذه الأشياء، ودعا إليها وتلبس بها.

(إذ أحبط الله عمله الطويل): إذ ها هنا ظرف، والعامل فيه (فاعتبروا)، وقت إحباط الله، والإحباط هو: الإزالة للثواب وإبطاله، بارتكاب المعاصي الكبائر.

(وجهده الجهيد): أي واجتهاده العظيم في عبادة الله تعالى وطاعته، وإرداف الجهد بالجهيد من باب الاشتقاق، كقوله تعالى: {يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ}[يوسف:84] وآية ذلك وعلامته أنه لبث مدة عظيمة في العبادة:

(1) في شرح النهج: لظلت له الأعناق...إلخ.
(2) الصفات، سقط من (ب).
(3) تعالى، سقط من (ب) وشرح النهج.
(4) لسان العرب 931/1 وعجزه: والدهر فيه غفلة للغفال.

(1494/4)

(وقد كان عبد الله ستة آلاف سنة): هذا أمر لايكون إلا توقيفاً من جهة الرسول عليه السلام؛ لأن هذه الأمور لا تعلم إلا من جهة الله تعالى(1) أو من جهته.

(لا يُدْرَى من سني الدنيا أو من سني الآخرة)(2): شك أمير المؤمنين في تحقيق ذلك.

(على(3) كبر ساعة): وهو أمره بالسجود فأبى عن ذلك.

(فمن بعد إبليس(4)): من الإنس والجن إذا فعل مثل هذه المعصية.

(يسلم على الله بمثل معصيته): أراد يكون سالماً عند الله تعالى بمثل معصيته من غير تفرقة بينهما من وجه واحد.

(كلا): ردع عن هذا وزجر، فإنه يستحيل في العقول، وفي الحكمة أن الله تعالى يعاقب مكلفاً على ذنب، ثم يصدر من جهة غيره مثل ذلك الذنب لا يعاقبه عليه ويعفو عنه، وهما على حالة واحدة.

(1) تعالى، زيادة في (ب).
(2) في شرح النهج: لا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة.
(3) في شرح النهج: عن كبر ساعة واحدة، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(4) في شرح النهج: فمن ذا بعد إبليس.

(1495/4)

(ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها مَلَكاً): يشير بكلامه هذا إلى أن الكبر والعزة والفخرو التخايل كلها قبيحة، ويستحيل في الحكمة أن الله تعالى يهلك إبليس بتكبر في حاله هلاكاً لايمكن وصفه، ولا ينال حده، ثم يصدر مثل ذلك التكبر بعينه من غير إبليس، فيغفره الله له، ويدخله الجنة مع فعله له، فمثل هذا محال في العقول وفي الحكم الإلهية، ولهذا أتى بالجحد في أول

الجملة مبالغة في الأمر، وأن مثله غير كائن، كما قال تعالى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ}[البقرة:143] {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ}[الأنفال:33]، {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ}[آل عمران:179]، إلى غير ذلك من الجمل المؤكدة بالجحد.

واعلم: أن كلام أمير المؤمنين ها هنا يشير إلى أمرين:

أحدهما: أن بعض المعاصي الكفرية لا تصدر من جهة شخص وتكون كفراً، إلا وتكون إذا صدرت من شخص آخر على ذلك الوجه كفراً لا محالة من غير تفاوت، فلو أُمِرَ الآن بعض الشياطين(1) بالسجود لبعض الأنبياء ثم تكبر عن ذلك، وردَّ الأمر لكان حاله مثل حال إبليس لا محالة، وهذا على ظاهره مسلَّم مع فرض المماثلة من جميع الوجوه كلها، فأما مع فرض المخالفة في بعض الوجوه فهذا غير مسلَّم وظاهره يقضي بالمماثلة.

---

(1) في (ب): السلاطين.

(1496/4)

وثانيهما: أن ظاهر كلامه يوهم أن إبليس من الملائكة، وهذا مخالف لما ورد به التنزيل، حيث قال تعالى: {إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ}[الكهف:50] فإن قوله: (كان من الجن) تصريح بأنه ليس من جملة الملائكة، وهي جملة واردة على جهة التعليل لتركه للسجود وإعراضه عنه ، وفيه تعريض بحال الجن في كثرة فسقهم وتمردهم، وهذه الرواية أيضاً محكية عن ابن عباس(1)، وأظن أن كلام أمير المؤمنين هو أصلها وقاعدتها، فإنه منه أخذ، وهو أستاذه وله تلمَّذ.

ويمكن تأويل كلام أمير المؤمنين بأن مراده بقوله: (ما كان الله ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً) أن ذلك وارد على جهة التمثيل دون التعيين في هذه القصة، فإن قدر أمير المؤمنين أشرف وأعلا أن يخفى عليه حال إبليس ومن أي جنس هو.

(إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد): يريد فلا تختلف حال المعاصي بحال من فَعَلَهَا إذا كانت الأوجه والمفاسد فيها واحدة.

(وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة): يريد أن المقرِّب إلى الله تعالى إنما هو الأعمال الصالحة، والمبعد عنه هو الأعمال السيئة من غير أمر وراءهما، والهوادة هي: المصالحة والميل، وهما مستيحلان على الله تعالى.

(في إباحة حمى حرَّمه الله): حظره ومنع منه وأوعد عليه العقوبات الأليمة.

(على أحد(2) من العالمين): بل كلهم مستوون في تحريم ما حرَّم، وإباحة ما أباحه مع استواء وجه المصلحة في حقهم.

(فاحذروا عباد الله(3)): أمر لهم بالحذر وملك نفوسهم عن نفوذ مَكْرِهِ.

---

(1) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 435/6-436.

(2) قوله: على أحد، سقط من شرح النهج.

(3) في شرح النهج: فاحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه.

(1497/4)

(أن يعديكم بدائه): أعدى فلان فلاناً بدائه وَخُلُقهُ إذا وصل ذلك إليه، وسرت إليه علته بسبب من الأسباب، وأراد التلبس بما هو عليه من المكر والخديعة، وإلا فا لإعداء لا وجه له، وفي الحديث: ((لا عدوى، ولا هامة، ولاصفر))(1).

(وأن يستفزكم بخيله وَرَجْلِهِ): أراد يغير عليكم بالخيل والرجال، وهو تمثيل بحال من يغار عليهم فيستفزون وتضيق أحوالهم من أجل ذلك.

(فلعمري): مضى تفسيره غير مرة.

(لقد فوَّق إليكم(2) سهام الوعيد): سدَّد إليكم سهام الوعيد، بقوله: {لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ}[الأعراف:16-17]، وقال في آية أخرى: {لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}[الحجر:39].

(وأغرق لكم(3) بالنزع الشديد): يقال: أغرق في نزع قوسه(4) إذا بلغ الغاية من جذبها(5)، وكنى بذلك عن شدة العناية والاجتهاد في الإغواء.

(ورماكم): بأسهمه، ونصاله.

(من مكان قريب): أراد إما قرب من(6) الأرض فإن إضلاله حاصل فيها، وإما القرب المجازي وهو الإيحاء بالوسوسة، والنفث في الخاطر بالإغواء:

(وقال: {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي})[الحجر:39]: خذلتني حتى صرت غاوياً.

---

(1) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 271/7 إلى مسند أحمد بن حنبل 328،440/1، والسنن الكبرى للبيهقي 135،216،218/7، ومجمع الزوائد للهيثمي 102/5، وكنز العمال برقم (28613)، (28616) وعزاه إلى غيرها من المصادر (انظرها هناك).

(2) في شرح النهج: لكم.

(3) في شرح النهج: إليكم.

(4) في (ب): فرسه.

(5) في (ب): جيدها.
(6) من، زيادة في (ب).

(1498/4)

({لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ})[الحجر:39]: أعمالهم القبيحة.

({وَلأُغْوِيَنَّهُمْ})[الحجر:39]: آتيهم من طرق كثيرة ليغووا.

({أَجْمَعِينَ }): بأجمعهم لا يبقى منهم أحد.

(قذفاً بغيب بعيد): قذفه بالحجر إذا رماه بها، والغيب البعيد هو قوله: (لأغوينَّهم)(1)، (ولأزيننَّ)، (ولآتينَّهم)، وغير ذلك، وانتصابه على المصدرية أي يقذفهم(2) بما ذكره قذفاً بأمور مغيَّبة لا يُدرى حالها، بعيدة الوقوع لا يُظَنُّ حصولها.

(ورجماً بظنٍ غير مصيب): أي ويرجمهم رجماً بالظنونات الكاذبة المتوهمة التي لا إصابة له(3) بحال، ها هنا كلام محذوف تقديره: فمن عصمه الله بلطفه، وتداركه بألطافه الخفية حماه عن كيد إبليس وإغوائه، ولم يصدِّق عليه ظنه، فأما من خذله الله تعالى فإنه يصدِّق عليه ظنه، والغرض بصدق الظن ها هنا هو أن كل ما حدسه وسبق إلى وهمه من فعل الموبقات من جهتهم فهو واقع لا محالة، وقد:

(صدَّقه أبناء الحمية): أهل الكبر والفخر من الجاهلية.

(وإخوان العصبية): وأهل التعصب لأحسابهم وفخرهم.

(وفرسان الكبر والجاهلية): من استحكم أمره في شيء قيل: هو فارس فيه، وأراد من عظم أمره في التكبر.

(حتى إذا انقادت له الجامحة): حتى هذه متعلقة بمحذوف، تقديره: فما زال بخدعه وعظيم مكره وختله يفتل في الذروة والغارب حتى أطاعته النفس الجامحة، وإنما سماها جامحة لصعوبة علاجها وجموحها بالإنسان إلى كل مكروه، ومنه فرس جموح وهي: التي تغلب صاحبها.

(منكم): من ها هنا للتبعيض، وأراد من ساعده في ذلك الإغواء.

---

(1) في (ب): لأغوينَّهم أجمعين.
(2) في (ب): فقذفهم.
(3) في (ب): لها.

(1499/4)

(واستحكمت الطَّماعية): الطماعية: الطمع كالكراهية والعَلانية، واستحكام الطمع: رسوخه وغلبته.

(منه): من جهته.

(فيكم): صرتم مكاناً لها، وظرفاً يستقر فيه.

(فنجمت الحال(1)): نجم الشيء إذا ظهر، وأراد ظهر الأمر(2).

(من السر الخفي) من ها هنا لابتداء الغاية أي مما كانوا يسرونه ويكتمونه وانتقل:

(إلى الأمر الجلي): الظاهر الذي لا شك فيه.

(استفحل سلطانه عليكم): عظم قهره واستيلاؤه، وإنما جاء بغيرواو لأنه جواب إذا، وأراد أنه إذا انقادت له النفوس عظم مكره لا محالة.

(ودلف بجنوده نحوكم): أي تقدم بأنصاره وأعوانه لقضاء غرضه منكم(3).

(فأقحموكم ولجات الذل): فأوقعوكم في مداخل المهالك، والوَلْجَةُ: المدخل.

(وأحلوكم ورطات القتل): الورطة: المهلكة، وأراد أنهم مكَّنوهم منها حتى حلُّوها، كما قال تعالى: {وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ}[إبراهيم:28].

(وأوطئوكم إثخان الجراحة): أي حملوكم على أن تُجْرَحُوا الجرح المثخن الغليظ الواسع.

(طعناً في عيونكم): بالرماح، وطعناً ينتصب على المصدرية، أي يطعنونكم(4) طعناً.

(وحزاً في حلوقكم): بالشفار والسيوف.

(ودقاً لمناخركم): المنخر(5): مكان النخر وموضعه، وغرضه أنهم يدقون مناخركم(6) ويهشمونها.

(وقصداً لمقاتلكم(7)): أي لا يتركون سبيلاً وذريعة إلى قتلكم إلا فعلوه وأمَّوه.

---

(1) في شرح النهج: فنجمت فيه الحال.

(2) في (ب): ونسخة أخرى: وأراد ظهر بسرائر.

(3) في (ب): منهم.

(4) في (ب): يطعنوكم.

(5) في (ب): المنحر مكان النحر.

(6) في (ب): مناحركم.

(7) في (ب): لمقاتلتكم.

(وسوقاً بخزائم القهر إلى النار المعدَّة لكم): أراد ويسوقكم سوقاً من أجل قهره بخزائمكم إلى النار المهيأة من أجلكم، وذكر الخزائم إنما هو على جهة الاستعارة؛ لأن الإنسان أمنع ما يكون بخزائمه، فإذا أخذت الخزائم قهراً، فلا خير بعد ذلك، فهكذا صنعه هو وجنوده بكم(1).

(فأصبح أعظم في دينكم جرحاً): أصبح إذا دخل في الصباح، وغرضه فأصبح على أعظم ما يكون من الجرح والإبطال لأديانكم.

(وأورى في دنياكم قدحاً): وري الزند إذا ظهرت ناره، والقدح: ما تستورى به النار، وأراد أنه لم يألُ جهداً في تغيير أحوال دنياكم وتكديرها.

(من الذين أصبحتم لهم مناصبين): يريد أنه أعظم عليكم ضرراً وأدخل مكراً من هؤلاء الذين نصبتم لهم العداوة، والمناصبة: المعاداة.

(وعليهم متألبين): مجتمعين في المحاربة.

(فاجعلوا عليه حدَّكم): أي شباتكم وشدة بأسكم.

(وله جهدكم(2)): اجتهادكم في كل وجه ترجون به النكاية له.

(فلعمر الله): قسم مضى تفسيره.

(لقد فخر على أصلكم): بقوله: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}[الأعراف:12].

(ووقع في حسبكم): اغتا بكم بما تكرهون ذكره فيكم، وفي الحديث: ((الوقيعة في العلماء من الكبائر)) يشير به إلى ما يعتقده من أن النار جوهر لطيف، والتراب جوهر كثيف(3).

(ودفع في نسبكم): إما بافتخاره على أبيكم حيث قال: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ}[الأعراف:12]، وإما بما يجري منه من الاحتيال على الزنا وركوب الفروج على غير وجهها، كما أشار إليه بقوله تعالى: {وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ}[الإسراء:64] وقد قررنا تفسيره من قبل.

---

(1) في (ب): فيكم.

(2) في شرح النهج: جدكم.

(3) أي غليظ.

(1501/4)

(وأجلب بخيله عليكم): يريد أنه بلغ الغاية القصوى في الإغواء لكم، والاجتهاد في إزلالكم.

(وقصد برَجْلِهِ سبيلكم): معناه وأقعد رَجْلَه رصداً للإغواء لكم في مواضع السبل وطرائق(1) الهدى تلبيساً عليكم وتعمية.

(يقتنصونكم بكل مكان): الاقتناص: الاصطياد، وغرضه أنهم(2) يصطادونكم بكل طريق يجدون

إليها سبيلاً لايفترون عن ذلك.

(ويضربون منكم كل بنان): يريد الأطراف والأوصال، وهو مأخوذ من قوله تعالى: {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}[الأنفال:12].

(لا تمتنعون بحيلة): لكثرة استيلائهم، وعظم تسلطهم.

(ولا تدفعون بعزيمة): بجد واجتهاد وإن بلغ كل غاية.

(في حومة ذل): الحومة: معظم القتال، وغرضه أعظم ما يكون من الذل فيكم.

(وحلقة ضيق): إذا وقع الرجل في أمر صعب قيل: وقع في حلقة.

(وعرصة موت): مكان الموت وموضعه الذي لا يزال فيه.

(وجولة بلاء): الجولة واحدة الجولات، وهي: المصاولة في الحرب، فهذه الأمور كلها حاصلة من جهته مكراً وعداوة.

(فأطفئوا ما كمن في قلوبكم): استكنَّ واستتر.

(من نيران العصبية): التعصب.

(وأحقاد الجاهلية): الحقد: عبارة عما يكنّه الصدر من العداوة.

(وإنما تلك الحمية في المسلم): أراد أن المسلم لا يخلو عن ذلك، وإنما يكون سببها وانقداحها:

(من خطرات الشيطان): ما يخطره ويحركه من قلب الإنسان، وما يولجه في نفسه.

(ونخواته): من عزته.

(ونزغاته): النزغة من الشيطان هي المرة الواحدة من الفساد والإغواء من جهته.

(ونفثاته): وما يلقيه في الآذان من الوسوسة، فهذه كلها من مكر الشيطان وخدعه.

---

(1) في (ب): وطرق.

(2) في (أ): أنكم.

(1502/4)

(واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم(1)): أي اجعلوه عمدة في أموركم كلها، شبَّه التذلل بشيء يكون فوق الرأس كالتاج والعمامة ونحوهما.

(وخلع التكبر من أعناقكم): نزله ها هنا منزلة الغل لما يلحق بحمله من وخيم العاقبة، ولهذا قال: فاخلعوه من أعناقكم.

(واتخذوا التواضع مُسلَّحة): المسلحة بضم الميم وتشديد اللام: قوم ذوو سلاح، والمَسلحة بفتح الميم وتخفيف اللام: الثغر والمرقب، وكلاهما لائق ها هنا، وغرضه أن يُجْعَلَ بمنزلة العسكر أو بمنزلة

الثغر الحافظ.

(بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده): فإن عداوته لكم ظاهرة لا شك فيها.

(فإن له من كل أمة جنوداً): يصول بهم.

(وأعواناً): يستعين بهم.

(ورَجْلاً وفرساناً): يغالب بهم من ناواه، ويقهر بهم من عاداه، ويستظهر بهم على من خذله الله، وسلبه ألطافه فانقاد لدعائهم، وأوقع في أذنه وقلبه حسن ندائهم.

(ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه): يريد قابيل، فإن الله تعالى حكى قصتهما في كتابه الكريم، روي أنه أول قتيل قُتِلَ في الدنيا(2)، وما حمله على قتله إلا البغي والحسد، وقد نعى الله إليه فعله، وحكى وقوع ندامته.

(من غير ما فضل جعله الله فيه): أراد أن الله تعالى لم يزد هابيل فضلاً زائداً على ما أعطاه قابيل بل هما سواء في ذلك.

(سوى ما ألحقت العظمة بنفسه): أثارته الكبرياء والتعاظم، وكانا كامنين.

(من عداوة الحسد(3)): حيث رُفِعَ قُرْبَانُ أخيه ولم يُرْفَعَ قُرْبَانُهُ.

---

(1) بعده في شرح النهج: وإلقاء التعزز تحت أقدامكم.

(2) الكشاف 660/1.

(3) في شرح النهج: الحسب.

(1503/4)

(وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب): قدح النار إذا أوراها، والحمية: الاحتماء، وأضاف القدح إلى الحمية؛ لأنها هي المؤثرة في ذلك والأصل فيه، ومن هذه للتبعيض، وغرضه أنها حرَّكتها.

(ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر): النفخ والريح ها هنا استعارات حسنة، والغرض تحريك الداعية له على ما فعله بأخيه من القتل، ومن ها هنا للتبعيض.

(الذي أعقبه الله به الندامة): أي من أجله وبسببه.

(وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة): إذ كان أول من قتل، وأول من سنَّ هذه السنة القبيحة السيئة(1)، وفي الحديث: ((من سنَّ سنة سيئة كان له(2) وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنَّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة))، فلهذا قال: (وألزمة آثام القاتلين إلى يوم القيامة) يشير إلى ما ذكرناه لا غير، ويؤيده قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}[يس:12] يريد ماكان من عمل صالح أو سيء.

اللَّهُمَّ، اجعل أعمالنا مرفوعة متقبلة عندك قبل المو ت وبعده، يا أكرم مسئول.

---

(1) وقال ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج 146/13 ما لفظه: وروى الطبري مرفوعاً أنه صلى الله عليه وآله قال: ((ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم عليه السلام الأول كفل منها، وذلك بأنه أول من سنَّ القتل))، وهذا يشيد قول أمير المؤمنين عليه السلام. انتهى.

(2) في نسخة: عليه (هامش في ب).

(1504/4)

يحكى أنه لما قتله اسودَّ جسمه وكان أبيض، فسأله آدم [عليه السلام](1) عن أخيه؟ فقال: ما كنت عليه وكيلاً، فقال: بل قتلته، ولهذا(2) اسودَّ جسدك(3)، وقيل: إن آدم [عليه السلام](4) مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك(5).

ثم لما فرغ من ذكر الكبر التفت إلى أصحابه الذين يقاتلهم من أهل البغي، بقوله:

(ألا وقد أمعنتم في البغي(6)): بالغتم فيه ووصلتم فيه إلى كل غاية، وغرضه ها هنا المبالغة في الإنكار عليهم وبغيهم عليه(7)، ولهذا أتى بحرف التنبيه في أول الجملة منبهة على ذلك.

(وأفسدتم في الأرض): بالقتل والقتال على غير الحق ووجهه.

(مصارحة لله): إظهاراً وتصريحاً.

(بالمناصبة): أي المعاداة.

(ومبارزة للمسلمين(8) بالمحاربة): يريد إما خروجاً، من قولهم: برز الرجل إذا خرج، وإما أن يريد المنازلة(9) في الحرب، وهو أن يبرز أحد الرجلين للآخر في القتال.

(فالله الله في كبر الحمية): تكريراسم الله تعالى يرد على وجهين:

أحدهما: أن يكون في الإغراء وهو أكثر وقوعاً كقولك: الله الله في تقوى الله وطاعته، يريد في(10) الحث عليهما والإتيان بهما.

---

(1) زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.

(2) في (ب): فلهذا.

(3) الكشاف 660/1.

(4) زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.

(5) المصدر السابق 660/1.

(6) في (ب) وفي نسخة أخرى: في السعي.

(7) العبارة في (أ): في الإنكار عليه وبغيه عليهم، وهو خطأ.
(8) في (ب)، ونسخة أخرى: المسلمين، وفي شرح النهج: للمؤمنين.
(9) في (ب)، ونسخة أخرى: المبارزة.
(10) في، سقط من (ب).

(1505/4)

وثانيهما: أن يكون وارداً في التحذير عن المعصية، كقولك: الله الله في البغي والعدوان، وأراد الترك لهما ومجانبتهما، ومنه ما ذكره ها هنا كقوله: الله الله في الحمية أي الكبرة والعظمة، يريد اتركوهما ولا تعزّجوا عليهما.

(وفخر الجاهلية): لا تقربوه وهو تعاظمهم على غيرهم بحسب أو بمال(1)، وهذا كان عادة في الجاهلية حتى وضعه الله بالإسلام.

ويحكى أن الرسول عليه السلام لما دخل يوم الفتح الكعبة(2) وقريش حوله، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: ((إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وافتخارها بالآباء، الناس كلهم من ولد آدم وآدم من تراب)) ثم تلا قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ [مِنْ تُرَابٍ](3)} إلى قوله: {... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[الحجرات:13].

(فإنه): يريد المذكور أولاً من الكبر والفخر(4).

(ملاقح الشنآن): جمع مَلْقَح، والشنآن: البغض، قال الله تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ}[المائدة:2] أي بغضهم.

(ومنافخ الشيطان): جمع منفخ، وهو الذي تنفخ فيه، وهو مجاز كما ذكرناه أولاً.

(اللاتي خدع بها الأمم الماضية): فأزلَّهم عن الحق ونكبهم عن طريقه.

(والقرون الخالية): ممن طغى وبغى وتمرد وعصى، مثل عاد وثمود، وقوم إبراهيم، والمؤتفكات وغيرهم.

---

(1) في (ب): أو مال.
(2) في (ب)، ونسخة أخرى: على الكعبة.
(3) زيادة في (ب)، وفي نسخة أخرى.
(4) انظر سيرة ابن هشام 35/4 تحقيق عمر محمد عبد الخالق، وانظر خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة كاملة في شرح النهج لابن أبي الحديد 280/17 عن الواقدي.

(1506/4)

(حتى أعنقوا في حنادس جهالته): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره: فأصروا على ما فعلوه من الكفر والتمرد حتى أعنقوا، والعنق: ضرب من السير للإبل والخيل مسبطر(1) تمدُّ فيه أعناقها ويزجيها(2)، والحنادس: الظلم، وقيل للحق: نور وضياء لما فيه من التحقق والقطع، وانشراح الصدر، وقيل للجهل: ظلم وحنادس لما فيه من الشك والتردد الذين يورثان الغمّ والضيق.

(ومهاوي ضلالته): المهاوي: جمع مهواة، وهي: الحفرة التي يتردى فيها الإنسان.

(ذللاً): متصاغرين مقهورين.

(عن سياقه): لما ساقهم وقهرهم فلا يخالفون أمره في ذلك.

(سُلسُاً في قياده): من غير مدافعة ولاممانعة ولا مجاذبة، يقال: فلان سلس القياد إذا كان يسير(3) من غير استصعاب ومعاصاة في سيره.

(أمراً): أي احذروا أمراً.

(تشابهت القلوب فيه): أي تماثلت في قبوله فهذا يشبه هذا، وذاك يشبه هذا في كونه مفعولاً به لا ينكره منهم منكر(4).

(وتتابعت القرون عليه): في الاعتراف به والفعل له، يقال: تتابعوا على هذا إذا فعلوه عن آخرهم.

(وكبراً): أي واحذروا(5) كبراً.

(تضايقت الصدور به): أي ضاقت عن كتمانه وإسراره فأظهرته ولم تكتمه.

(ألا فالحذر الحذر): هذا منصوب على الزموا الحذر، وأوجب النحاة فيه إضمار الفعل فلا يظهر بحال لأجل التكرير؛ لأن أحدهما عوض عن الفعل فلا يجمع بينهما أصلاً.

(من طاعة ساداتكم): في مخالفة أمر الله والترفع عن طاعته.

---

(1) في (ب): مستطر، وهو تصحيف، وقوله: مسبطر أي ممتد وسريع.

(2) أي ويدفعها.

(3) يسير، سقط من (ب).

(4) في نسخة أخرى: لا ينكره فيمن ينكر.

(5) في (ب): احذروا، بغير واو في أوله.

(1507/4)

(وكبرائكم): الكبراء: جمع كبير كنذراء في جمع نذير، وأراد والكبار ذوو الأسنان(1) فيكم والحنكة في أموركم.

(الذين تكبروا): تعاظموا وفخروا.

(عن حسبهم): أي ترفعوا عنه، وأرادوا الزيادة عليه تكبراً وفخراً.

(وترفعوا فوق نسبهم): خالفوه وأرادوا(2) الزيادة عليه والمخالفة لماعليه أصلهم حقيقةً.

(وألقوا الهجينة على ربهم): العيب والنقص، وأراد أنهم يقولون: إن الله تعالى جعل فلاناً معيباً منقوصاً لكونه مستحقاً لذلك، فالله تعالى جعله مستوجباً لئلا يخالط لحقارته ويتكبر عليه، ويترفع(3) عن مكالمته، فهذا معنى رد الهجينة على الله تعالى وهو الاستهجان والاستقباح كما أشرنا إليه.

(وجاحدوا الله على ما صنع بهم): أراد أن أحدهم إذا حصل له جاه عند الناس ومحمدة قالوا: إنما حصل(4) له ذلك من جهة نفسه، وذلك إنما كان من أجل جوده وسماحته، وفخره بآبائه، وما كان لهم من المجد والرفعة، وهذا كله جهل، فإن ذلك حصوله إنما هو من جهة الله تعالى، فلهذا قال: (جاحدوا الله على ما صنع بهم) يشير به إلى ما قلناه.

(مكابرة لقضائه): حيث قضى بحصول النقص والعيب على بعضهم.

(ورداً لآلائه): حيث أنعم عليهم بما فعله لهم من المجد والسناء والرفعة، وزعموا أن كل هذا من جهتهم.

(فإنهم قواعد آساس العصبية): أصولها التي هي مبنية عليها، والقرارات التي هي متفرعة عنها.

(ودعائم أركان الفتنة): التي شيدت عليها.

(وسيوف اعتزاء الجاهلية): الاعتزاء هو: الانتساب، وأراد أن اعتزاءهم إلى الجاهلية وانتسابهم إليها بمنزلة السيوف القواطع للحق المهلكة للدين.

---

(1) في (ب): الأنساب.

(2) في (ب): بإرادة الزيادة...إلخ.

(3) في (ب): وترفع.

(4) في (ب): إنما جعل الله له.

(1508/4)

(فاتقوا الله): في ترك المتابعة للرؤساء في مخالفة الحق وموافقة الهوى.

(ولا تكونوا لنعمه عليكم أضداداً): في غمصها(1) وترك الاعتراف بحقها، والإقرار بشكرها؛ لأن من هذه حاله فهو مضادٌّ للنعمة غامص لها.

(ولا لفضله عندكم(2) حسَّاداً): تحبون زواله عنكم، وتريدون ذلك بترك الشكر له، وهذه حقيقة الحاسد، ويحتمل أن يقال: إذا أنعم الله على بعضكم نعمة فلا يحل له أن يضادَّ من لا نعمة له، وإن من كان عنده فضل من الله فلايحل له أن يحسد من ليس عنده ذلك الفضل.

(ولا تطيعوا الأدعياء): الأدعياء جمع دعي وهو: الذي ينسب إلى غير أبيه، ويدعي ما ليس له فيه حق.

(الذين شربتم بصفوكم كدرهم): أراد أنكم خلطتم عقائدكم الصحيحة بعقائدهم الفاسدة، ومزجتموها بها، أو يريد أنكم خلطتم أعمالكم الصالحة بأعمالهم السيئة.

(وخلطتم بصحتكم مرضهم): المقصود من الصحة ها هنا هو الصلاح في الحال والاعتقاد، والمقصود من المرض هو الفساد في الحال والاعتقاد.

(وأدخلتم في حقكم باطلهم): شبتم الباطل بالحق وخلطتموه به، والمقصود من هذا الكلام النهي عن طاعة الذين يدَّعون الولاية من غير استحقاق لها، وعن مصاحبة الذين ينسبون إلى غيرآبائهم، وادّعاء ما ليس لهم أن يدَّعوه؛ لأن من كانت هذه حاله ودأبه وشأنه فلا يتقي شيئاً ولا يخا ف محذوراً يقع فيه، وللصحبة لامحالة أثر في تعدي الأخلاق، واكتسابها لا يمكن إنكاره.

(وهم أساس الفسوق): قاعدته ومهاده.

(وأحلاس العقوق): الحلس: كساء من صوف يكون تحت برذعة البعير لا تفارقه، وكنَّى بهذه الكلمة عن شدة ملازمتهم للعقوق الذي هو خلاف البر، لما كان الحلس لاينفك عن ظهر البعير.

---

(1) غمص النعمة أي لم يشكرها.

(2) في (ب): عليكم.

(1509/4)

(اتخذهم إبليس مطايا ضلال): إما يغير(1) بها إلى حيث شاء من الإغواء، وإما يرحل عليها أنواع الشبه وضروب الجهالات.

(وجنداً بهم يصول على الناس): في أخذ الباطل والتوصل إلى الظلم.

(وتراجمة ينطق على ألسنتهم): أراد أنهم يترجمون عن إبليس ويظهرون مراده، وكأن ألسنتهم لسانه، ولهذا قال: ينطق هو على ألسنتهم، ويقول:

(استراقاً لعقولكم): نهباً لها واستلاباً وإفساداً عن قبول الحق.

(ودخولاً في عيونكم): بتغطيتها عن الحق وتعميتها عن سلوك طريقه، هذا على رواية النون، وأما على رواية الباء فالغرض بالدخول في العيوب هو إظهارها وبثِّها وإفشاؤها .

(ونثاءً(2) في أسماعكم):النثآء ممدود هو: الإشاعة، من قولهم: نثا الخبر إذا أشاعه(3) وشهره، وفي بعض نسخ الكتاب: (نثى) مقصور بالنون والثاء المثلثة وهو مثل الثناء، خلا أن(4) الثناء بتقديم الثاء خاص في الخير، والنثاء بتقديم النون يكون في الخير والشر جميعاً، ويروى أيضاً: (بثًّا) و(نثًّا)، والبثُّ والنثُّ بالباء بنقطة من أسفلها ونون هو: الظهور.

(فجعلكم مرمى نبله): المرمى يصلح أن يكون مو ضعاً، وأراد الغرض الذي يصيبه بسهامه، ويصلح أن يكون نفس الرمي أي سهام الرمي الذي يكون من جهته فلا يخطئ من أصابه.

(ومَوطِئَ قدمه): أراد تحت(5) رجله، يحتكم فيكم كيف شاء وأراد.

(ومأخذ يده): يتصرف فيكم كيف شاء فيأخذ ويترك ما أراد.

(فاعتبروا بما(6) أصاب الأمم المستكبرين): الذين جعلوا الكبر لهم أساساً ومهاداً.

---

(1) في (ب): إما يعبر.

(2) في شرح النهج: ونفثاً.

(3) في (ب): شاعه.

(4) في (ب): على أن الثناء.

(5) في (ب): وتحت.

(6) في (أ): ما.

(1510/4)

(من قبلكم من بأس الله وصولاته): من عذابه ونقماته، وقوله: من قبلكم، يريد ليكونوا لكم عبرة وأسوة وقدوة.

(ووقائعه): التي أوقعها بهم وأحلَّها بديارهم، وأنزلها بساحاتهم.

(ومَثُلاَته): عقوباته.

(واتعظوا بمثاوي خدودهم): واجعلوها موعظة فإنها من أكبر المواعظ، وأعظمها وأجلها وأفخمها، والمثوى: مكان الثوى(1) والإقامة.

(ومصارع جنوبهم): والأماكن التي صرعهم الله فيها(2) بعذابه لهم، كما قال تعالى: {فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}[الحاقة:7]، وقوله: {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[الأعراف:78].

(واستعيذوا بالله من ملاقح(3) الكبر): أي مما يولده الكبر من المقت والبغض في قلوب الناس، وقيل للرياح: لواقح لأنها تبشر(4) بالمطر، كما قال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}[الحجر:22] {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً}(5)[الأعراف:57].

(كما تستعيذونه(6) من طوارق الدهر): حوادثه التي تحدث ليلاً، فالكبر لا خير فيه لأحد، ولا مصلحة فيه في دين ولا دنيا.

---

(1) في (ب) وفي نسخة أخرى: المثوى.

(2) في (ب): بها.

(3) في (ب) وفي شرح النهج: لواقح.

(4) في (ب): تنشر.

(5) ورد لفظ الآية الشريفة في النسخ هكذا: (وهو الذي يرسل الرياح مبشرات)، وأثبتها من المصحف، أو يكون المقصود التي وردت في سورة الروم، ولفظها هكذا: {ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات} فوقع السهو من النساخ فكتبت في النسخ كما أشرت إليه والله أعلم.

(6) في (ب): كما تستعيذوا به، وفي الجملة خطأ، وصواب الجملة: كما تستعيذون به..

(1511/4)

(فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه): يريد أن الله لو أذن في شيء من التكبر والعظمة لغرض من الأغراض، ومقصد من المقاصد لكان ذلك لا ئقاً بالأنبياء؛ لكونهم أشرف خلق الله وأعلاهم منزلة عنده وأقربهم مكاناً إليه.

(ولكن الله(1) كرَّه إليهم التكابر): بغَّضه إليهم ونفَّرهم عن قبوله، والتلبس به.

(ورضي لهم التواضع): فحبَّبه إليهم وكرَّه إليهم خلافه، وزيَّنه في قلوبهم، فهم يقولون به ويفعلون وينطقون.

(فألصقوا بالأرض خدودهم): خضوعاً لعظمة الله وانحطاطاً لكبريائه.

(وعفروا بالتراب(2) وجوههم): التعفير: التمريغ، وأراد أنهم فعلوا ذلك تواضعاً لله تعالى.

(وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين): استعار هذا من خفض الطير لجناحه وهو كسره إذا همَّ بالانحطاط على(3) الأرض، ومدَّه إذا أراد الارتفاع للطيران.

(وكانوا أقواماً): من جهات متفرقة.

(مستضعفين): طالبين للضعف والمسكنة.

(وقد اختبرهم الله): ابتلاهم.

(بالمخمصة): وهي المجاعة؛ لأنها تخمص البطن فلهذا سميت بذلك.

(وابتلاهم بالمجهدة): مكابدة الأمور الصعبة، واحتمالها، وبذل الجهد فيها.

(وامتحنهم بالمخاوف): جمع مخافة، وخوفهم بما(4) كان من أجل من يبعثون إليه من أجل

تغيرأحوالهم، واتباعهم فيتهددونهم بالقتل، والأخذ والحبس، وغير ذلك من أنواع البلاء، فلا يزالون أعمارهم خائفين.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: ولكنه سبحانه كره...إلخ.

(2) في شرح النهج: في التراب.

(3) في (ب): إلى.

(4) في (ب): مما.

(1512/4)

(ومَحَّصهم بالمكاره): يروى بالحاء والصاد المهملتين، أراد اختبرهم وابتلاهم بما كانوا يكرهون، أو بما(1) كانت النفوس تكرهه، فصبروا على إمضائه حتى أمضوه(2)، ويروى بالخاء المنقوطة والضاد المنقوطة من مخض اللبن إذا استخرج منه الزبد.

(ولا تعتبروا(3) الرضا والسخط بالمال والولد): فتظنون أن إعطاءهما رضا من الله تعالى، وأن منعهما سخط من عنده، فليس الأمر كذلك، فكم من مُعْطَى أموال(4) وبنين والله تعالى ساخط عليه، وكم من محروم لهما والله راضٍ عنه، وإنما ذلك كله على قدر ما يعلم من حال المصلحة في الإعطاء والمنع، فذلك يكون منكم:

(جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار): فيما يكون منها صلاحاً، وما يكون منها فساداً.

(في مواضع الغنى والإقتار): يريد الفقر، ثم تلا قوله تعالى(5): {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَ يَشْعُرُونَ}[المؤمنون:55-56]: يريد أن الأمر ليس على ما ظنُّوه، وإنما هوعلى حكمة منَّا في ذلك وعلم بحاله.

(فإن الله تعالى يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم): يريد المتعاظمين أهل الكبر والخيلاء والفخر فيما يكنونه في أنفسهم ويبطنونه في قلوبهم، فاختبرهم وامتحنهم:

---

(1) في (ب) ونسخة أخرى: وإنما.

(2) في (ب): أقضوه.

(3) في (ب) وفي نسخة أخرى: ولا تعتبرون.

(4) هكذا في النسخ: أموال، بالرفع، والصواب، أموالاً بالنصب لأنه مفعول ثانٍ، لقوله: مُعْطَى، والمفعول الأول هو نائب الفاعل، وهو ضمير مستتر في قوله: مُعْطَى.

(5) في شرح النهج: فقد قال سبحانه وتعالى.

(1513/4)

(بأوليائه المستضعفين في أعينهم): الذين تزدريهم أعينهم وأنهم بزعمهم لا يَزِنُوْنَ في أعينهم قلامة ظفر، فجعلهم الله تعالى عبرة وامتحاناً لهم ليعلم كُنْهَ حالهم في التواضع.

(ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون [عليهما السلام](1) على فرعون): لما أرسلهما الله إليه، وأوجب عليهما ذلك حيث قال: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى}[طه:43].

قوله: (ومعه أخوه هارون) جملة حالية من موسى، كقولك: جاء زيد وريحه ينفح من المسك.

(وعليهما مدارع الصوف): الْمِدْرَعَةُ: جُبَّة من صوف قصيرة الأكمام.

(وبأيديهما العِصيُّ): كل واحد منهما له عصاة من عود، فأخذ العَصِيّ أمارة للضعف والمسكنة، ولبس الصوف أمارة لكسر هوى الأنفس واستحقاراً لها.

(فشرطا له –إن أسلم– بقاء لملكه(2) ودوام عزه): أراد فدعواه إلى الله تعالى وإلى التوحيد والإقرار بالربوبية له، فأنكر ذلك ولم يصغ إلى قبوله، فشرطا ما ذكره رحمة من الله تعالى ولطفاً به، وتقريباً لنفسه كيلا يظن أنه إذا أسلم سلب ما هو عليه من تلك الحال في الملك والقهر والعزة؛ قطعاً من الله لمعذرته وإبلاغاً في الحجة عليه، فاستهون أمرهما واستضعف حالهما.

(فقال: ألا تعجبون من هذين): نبَّههم على الاستغراق في الأعجوبة من هذين الضعيفة أحوالهما المستركة هممهما.

(يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك): إن أنا آمنت وأسلمت، واتبعتهما على أديانهما.

(وهما بما ترون): على ما تشاهدون.

(من حال الفقر): بلبس المدارع التي لا يلبسها إلا الفقراء.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) في شرح النهج: ملكه.

(1514/4)

(والذل): بأخذ العصا في أيديهما التي لا يأخذها إلا أهل الذل والمسكنة ومن ضعفت حاله، فمن هذه حاله كيف تصدر عنه هذه المقالة، أو كيف تحمله نفسه على التصريح بذلك، فإذا كان لابد من هذه الدعوى لهما:

(فهلاَّ ألقي عليهما أساورة من ذهب): الأساورة أصله أساوير جمع أسوار لكنها حذفت ياؤه

وعوض(1) عنها الهاء، وأسوار جمع سوار، وأراد بإلقاء الأسورة إلقاء مقاليد الملك، لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل وتمليكه سوَّروه بسوار في يده وطوَّقوه بطوق من ذهب في عنقه، والمعنى فهلا إذا كان صادقاً ملَّكه ربُّه وسوَّده، وجعل الذهب حاصلاً له.

(إعظاماً للذهب وجمعه): حيث جعله دلالة وأمارة على الملك والعظمة.

(واحتقاراً للصوف ولبسه): استضعافاً بحالة الصوف، وإهانة لمن يلبسه.

(ولو أراد الله سبحانه(2) بأنبيائه حين(3) بعثهم): أن يكرمهم بما ذكر من أنواع الحلي.

(أن يفتح لهم كنوز الذهبان): الذهبان جمع الذهب، وإنما جمع مع كونه جنساً لاختلاف أنواعه.

(ومعادن العقيان): العقيان: الذهب الخالص الذي لا يحتاج إلى إخلاص بالكير.

(ومفارش(4) الجنان): جمع مفرش، وهي: الْبُسُطُ والطنافس.

(وأن يحشر معهم طير السماء): جميع ما يطير في جوِّها.

(ووحوش الأرض):و ما فيها من الوحوش إكراماً لهم وإعظاماً لأحوالهم.

(لفعل): اللام جواب لو؛ لأنه قادر عليه ومتمكن من فعله لقدرته على كل المقدورات وأجناسها وأنواعها

(ولو فعل لسقط البلاء): لبطل الامتحان والاختبار.

(وبطل الجزاء): على ذلك الامتحان والاختبار لعدمهما.

---

(1) في (ب)، ونسخة أخرى: وعوضت.

(2) قوله: سبحانه، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(3) في شرح النهج: لأنبيائه حيث.

(4) في شرح النهج: ومغارس الجنان.

(1515/4)

(واضمحل الابتلاء(1)): بطل الاختبار وتلاشى.

وفي نسخة أخرى: (واضمحلت الأنباء): والمراد بطلت الأخبار، ما ورد من الوعد والوعيد، وأخبار الجنة والنار.

(ولما وجب للقابلين): للبلوى.

(أجور المبتلين): الممتحنين.

(ولا استحق المؤمنون): الذين ليسوا بمحسنين.

(ثواب المحسنين): الذين صدر من جهتهم الإحسان.

(ولا لزمت الأسماء معانيها): يريد ولزالت عن مسمياتها فلا يسمى الكافر كافراً ولا المؤمن مؤمناً، وهكذا القول في المتقي والعاصي والمطيع والبر والفاجر إلى غير ذلك من الأسماء، والمعنى في هذا كله أن الله تعالى لو أرسل الرسل والأنبياء على وجه، لا يشك كل من رآهم في أول الأمر بالاضطرار والإلجاء، أنهم صادقون فيما جاءوا به من أمر الرسالة والنبوة، وهو أن يبعث الله معهم الملائكة والطيور والوحوش ، ويبعث معهم كنوز الدنيا ومعادن الذهب والفضة، والياقوت والزمرد لارتفع الابتلاء والاختبار والتعبد، وزالت التكاليف كلها لأنها تكون ضرورية لا محالة، وفي ذلك بطلان التكاليف.

(ولكن الله): استدراك لجميع ما ذكره أولاً من وجوه الفساد والبطلان.

(جعل رسله أولي قوة في عزائمهم): فيمضون فيما أمروا به من غير مخالفة سواء كان ذلك سهلاً سلساً أو صعباً جرزاً، كما قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}[الأحقاف:35].

---

(1) في شرح النهج: واضمحلت الأنباء.

(1516/4)

ويحكى أن نبياً من الأنبياء أوحى الله تعالى إليه، فقال له(1): ((أول ما يلقاك فكله)) فعزم على امتثال الأمر وتهيَّأ له، فإذا الذي لقيه جبل أسود فلم يتمالك في تشمير الهمة، وتجدد العزيمة على أكله وتقرير(2) في النفس أن الله تعالى(3) لا يأمر إلا بما فيه مصلحة، فلما سار إلى الجبل الأسود كان كلما دنا منه خطوة صغر وتلاشى حتى صار لقمة أحلى من العسل، فقال: ((يا رب، بيِّن لي))، فقال له: ((إن ذلك الجبل هو الغيظ، فإذا كفه(4) الإنسان وَحَلُمَ وجده بعد ذلك لقمة(5) أحلى من العسل؛ لما يكون من لذيذ عاقبة الصبر فيه)).

(وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم): من البذاذة(6) واللباس الذي تعافه النفوس وتكرهه.

(مع قناعة تملأالقلوب والعيون غنى): يريد ومع ماوصفناه من ركِّة المنظر، فإن الله تعالى خصَّهم بقناعة غناؤها يملأ القلوب والأعين، حتى يوهمون أنهم ملوك الدنيا لا ستغنائهم عن أهلها.

---

(1) فقال له، سقط من (ب).

(2) في (ب): وتقرر.

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(4) في نسخة: كفَّه (هامش في ب).

(5) لقمه، سقط من (ب).

(6) البذاذة: سوء الحال ورثة الهيئة (انظر القاموس المحيط ص424).

(1517/4)

(وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذىً): يريد وفقراً تكاد الأسماع والأبصار تكون مملتئة منه لكثرة أذائه، وعظم مشقته وبلائه، ولقد كانت حالة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على قرب المكانة وعظيم(1) الزلفة عند الله تعالى، لا تخفى على أحد في شدة الحاجة إلى الطعام، وصبره على مشقة الجوع(2).

(ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام): لا يبلغ كنهها ولا يطاق على وصف حالها.

(وعزة لا تضام): الضيم هو: الظلم، وأراد أنهم معتزون لا يظلمون.

(وملك تمتد(3) نحوه أعناق الرجال): لطلبه والتواضع لتحصيله واكتسابه.

(وتشد إليه عقد الرحال): يريد أنه يوصل إليه من البلدان(4) القاصية والمواضع البعيدة.

(لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار): أسهل لا محالة عند النظر في الحقيقة، وعند العبرة والتفكر(5).

(وأبعد لهم عن الاستكبار): عن أن يلحقهم التكبر، لأن مع هذه الحالة فلا وجه للتكبر والترفع؛ لأنهم أعظم حالاً، وأكبر أُبْهَة وعظمة، ممن بعثوا إليه، إذا كانوا على الصفة التي ذكرناها.

(ولآمنوا): أي ولكان إيمانهم وإقرارهم بجميع الأمور الإلهية.

---

(1) في (ب): وعظم.

(2) ومن ذلك ما أخرجه الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار ص111 برقم(63) بسنده عن ابن عباس قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبيت طاوياً لياليا ماله ولأهله عشاء، وكان عامة طعامه الشعير))، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية207/2، وروى الموفق بالله أيضاً في الاعتبار ص116 برقم (71) عن أنس بن مالك: ((ما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رغيفاً محوراً حتى فارق الدنيا)).

(3) في شرح النهج: تمدُّ، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(4) في (ب): البلاد.

(5) في نسخة: في التفكر (هامش في ب).

(1518/4)

(عن رهبة قاهرة(1)): من شدة بأسهم وبطشهم.

(أو رغبة): في إنعامهم وإحسانهم إلىالخلق.

(مائلة(2)): تميل إليها أعناقهم، وتخشع(3) لها أفئدتهم.

(ولكانت النيات مشتركة): أراد أن الأنبياء لو كانوا على الحال التي وصفناها من العظمة والملك؛ لكان جميع الأعمال المفتقرة إلى النيات مشتركة، بين الله تعالى وبين الأنبياء؛ لأن الرغبة والرهبة كما هي حاصلة من جهة الله تعالى فهي أيضاً حاصلة من جهة الأنبياء.

(والحسنات مقتسمة): أي وما يفعل من الأعمال الصالحة مقتسمة بين الله وبين(4) أنبيائه.

(ولكن الله أراد أن يكون الاتِّباع لرسله): بما أظهر عليهم من المعجزات الظاهرة والحجج النيرة.

(والتصديق لكتبه): التي جاءوا بها من أجل الشرائع واتباع الأحكام.

(والخشوع لوجهه): من أجل وجهه في جميع العبادات كلها.

(والاستكانة لأمره): الذلة والصّغار من أجل امتثال أمره.

(والاستسلام لطاعته): الانقياد لها والاحتكام بسببها.

(أموراً خاصة(5)): لوجهه منفرداً بها عن غيره، لا يشاركه فيها مشارك.

(ولا يشوبها من غيرها شائبة): ولا يخالطها من أمور أخر غيرها مخالط فيغيِّرها عن مجراها، ويزيلها عن وجهتها.

(وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم): يعني في صدق الأنبياء ومعرفة أحوالهم بالنظر والتفكر.

(كانت المثوبة والجزاء أجزل): أكثر ثواباً، وأجزل إعطاءً منه إذا لم يكن الأمر كذلك.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: عن رهبة قاهرة لهم.

(2) في (ب) وفي شرح النهج: مائلة بهم.

(3) في (ب): وتخضع.

(4) بين، زيادة في (ب).

(5) في (ب) وفي شرح النهج: أموراً له خاصة.

(1519/4)

(ألا ترون أن الله سبحانه(1) اختبر الأولين [من لدن آدم صلوات الله عليه](2)): يريد من لدن آدم إلى يومنا هذا امتحنهم.

(إلى الآخرين): إلى أن يطوي الله أيام الدنيا ويفنيها.

(من هذا العالم): من هذه لبيان الجنس، أي الذين هم من جنس هذ العالم.

(بأحجار): بتعظيمها والطيافة حولها تبركاً بها.

(لا تضر): لا يحصل من جهتها ضرر لأحد.

(ولا تنفع): ولا تكون نافعة له بنفع.

(ولا تبصر): تدرك بأعيان.

(ولا تسمع): بآذان تكون لها، يشير بذلك إلى أنها لا فضل لها من أي نوع من الفضائل المحمودة، ويعرِّض بعبادة الأوثان والأصنام في عبادة مثل هذه الأحجار على ما وصف من حالها.

(فجعلها بيته الحرام): الذي حرَّمه أن يدخل إلا بإحرام، وجعل له شرفاً على غيره بخصال وأمور.

(الذي جعله للناس قياماً): عماداً لأمورهم، ومِلاَكاً لأحوالهم ونظاماً لشملهم.

(ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً): الوعر: نقيض السهل، وانتصاب حجراً على التمييز، أراد أن وعورته من جهة خشن أحجاره وصلابتها وجرزها.

(وأقل نتائق الدنيا مدراً): النتائق: جمع نتيقة، وهي بمعنى منتوقة أي مخرجة، تقول: نتقت الحجر إذا قلعتها، وأراد أن غيره من البلاد إذا قلعت عنها الأحجار حصل عند القلع تراب جيد ناعم كثير يصلح للزرع، بخلاف حال مكة فإنها إذا قلعت عنها حجر فلا تراب هناك يلحقها، وإن لحقها فعلى القلة مع ما فيه من الدماثة(3) والحال التي لا تصلح أن تكون منبته.

(وأضيق بطون الأودية): أدخلها في الضيق وأعظمها حالاً فيه.

---

(1) قوله: سبحانه، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) ما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج.

(3) في نسخة: الرمالة (هامش في ب)، قلت: والدماثة في المكان سهولته ورخاوته، وفي الخلق ليونته.

(1520/4)

(قطراً): يريد مطراً، فإنه لا أقلَّ من مطر(1) مكة ونواحيها.

(بين جبال خشنة): يريد جرزة متخشنة لا سلاسة فيها كسائر الأحجار.

(ورمال دمثة): رخوة.

(وعيون وشلة): قليلة الماء ونزرة المنبع.

(وقرى منقطعة): يريد أنها عن القرى على مسافات كبيرة لا يتصل بها إلا على صعوبة، وقطع

مفاوز وخبوت(2).

(لا يزكو فيها(3) خف ولا حافر): أراد أنه لا ينمو ولا تكثر بركته من الإبل والخيل، والبغال والحمير، وغير ذلك من ذوات الحافر، وإن أقام فيها فعلى حالة ضعيفة، وأمور غير مستقيمة.

(ولا ظلف): من البقر والغنم، فهي على هذه الحال التي وصفها من ضيق عيشها،وصعوبة أمرها.

(ثم أمر آدم وولده): الآمر هو الله، فإنه أمر آدم عليه السلام بحجه، فحج من أرض الهند، من أرض يقال لها: سر نديب حيث قبره الآن مشهور، أربعين حجة على رجليه، فتلقته الملائكة وقالت له: (يا آدم، برَّ حجُّك، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام)(4)، فاستمر على هذه الحالة حتى رفعه الله في أيام الطوفان، وقيل: كان من ياقوتة من يواقيت الجنة، له بابان من زمرد شرقي وغربي(5)، فلما رُفِعَ أمر الله جبريل أن يُرِيَ إبراهيم موضعه، فأراه ذلك فأسس القواعد عليه.

(أن يثنوا أعطافهم): يقال: ثنى عطفه إذا توجه إليه وقابله.

(نحوه): جهته وقبالته.

(فصار مثابة): مرجعاً، من قولهم: ثاب إلى كذا إذارجع إليه، يتفرَّق عنه الحجاج والمعتمرون ثم يرجعون إليه.

---

(1) في (ب): قطر.

(2) الخبت: المتسع من بطون الأرض، وجمعه أخبات وخبوت. (القاموس المحيط ص193).

(3) في شرح النهج: بها.

(4) الكشاف 213/1.

(5) المصدر السابق 213/1.

(1521/4)

(لمنتجع أسفارهم): المنتجع هو: الموضع الذي يطلب فيه الكلأ، ويجوز أن يكون مصدراً أي لا نتجاع أسفارهم وهوبعدها.

(وغاية لملقى رحالهم):تنتهي إليه رحالهم فيلقونها عنده؛ لما كان هو البغية والمقصد إذ لا مقصد وراءه.

(تهوي إليه ثمار الأفئدة): هوى الشيء إذا سقط، وثمرة الشيء هي: أعلاه وأنفسه، يقال: ثمرة الفؤاد وثمرة القلب، وأراد تسقط عنده أغلى الأشياء وهي الأفئدة.

(من مفاوز قفار سحيقة): المفاوز جمع مفازة، وهي: الأرض الخالية، والقفار: المواضع التي لا أنيس بها، والسحيقة: البعيدة.

(ومهاوي فجاج): ومساقط طرق، والفجُّ: الطريق الواسع بين جبلين.
(عميقة): بعيدة الغور.
(وجزائر بحار): وأقطار وأقاليم بحرية، إما محيط بها البحر من جميع جوانبها، وإما لايمكن الوصول إليها إلا بركوب البحر.
(منقطعة): عن مواضع العمارة.
(حتى يهزوا مناكبهم): المنكب مضى تفسيره، وأراد بهزِّها تحريكها عند السير، وحتى هذه تصلح أن تكون بمعنكي تعليل للأمر أي أمرهم من أجل أن يهزوا، وبمعنى إلى أن وتكون غاية له، والتعليل فيه أدق.
(ذللاً(1)): أذلاء خاشعين، وانتصابه على الحال من الواو في يهزوا.
(ويرملون على أقدامهم): الرَّمل: فوق المشي وهو دون السعي.
سؤال؛ أراه خصَّ الرَّمَل من الطواف، وخصَّ الأقدام مع أنه يجزي وإن كان راكباً؟
وجوابه؛ هو أنه ها هنا بصدد ذكر التواضع والخشوع والتذلل، فذكر الرَّمل لما فيه من مزيد الاعتناء على السير، وذكر تأديته على الأقدام لما فيه من زيادة الخضوع والتصاغر لعظمة الله وجلاله.

---

(1) في شرح النهج: ذللاً يهللون لله حوله.

(1522/4)

(شعثاً): موفرين للشعور(1)، لا ينقصونها للزينة.
(غبراً): ألوانهم مغبرَّة، لما يلحقهم من مشقة السفر، وتجنّب الزينة، وما يكون سبباً في تطرية الأجسام وتحسينها.
(قد نبذوا السرابيل): نبذه إذا طرحه عن يده وظهره، والسرابيل: جمع سربال، وهو: عبارة عن القميص والسروايل وسائر أنواع ثياب الزينة واللباسات الفاخرة.
(وراء ظهورهم): كناية عن عدم الالتفات إليها لمكان التحريم، يقال: نبذ هذا وراء ظهره إذا كان لا يحتفل به ولا يرعيه طرفاً.
(وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم): أراد أنها ازدادت قبحاً في المنظر والصورة بإعفاء الشارب عن قصه، وترك نتف الإبط، وحلق العانة، والمره(2) في الأعين، وكل ما ذكرناه يزيد الخلقة تشوهاً، ولهذا ورد الشرع بهذه الآداب في غير هذه الحال؛ لما فيها من مزيد النظافة وحسن المنظرفي الخلقة، وفي الحديث: ((عشر من سنن المرسلين، خمس في الرأس، وهي: الكحل، والمفرق، والسواك، وقصُّ الشارب، والمضمضة، وخمس في الجسد، وهي: حلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم

الأظافر، والغسل، والختان))(3).

(ابتلاءً عظيماً): اختباراً من الله تعالى لخلقه؛ ليعلم سرَّ أحوالهم وكُنْهَ حقائق أمورهم، في طاعة من ينقاد لما أمر به، وإعراض من يعرض عن ذلك.

---

(1) في (ب): الشعور، وقوله: موفورين أي مكملين لشعورهم لم يقصوا منها شيئاً.

(2) يقال: مرهت عينه إذا خلت من الكحل.

(3) أخرجه موقوفاً عن علي عليه السلام الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام، في مجموعه ص279 برقم (681) بسنده عن أبيه، عن جده، عن علي " قال: ((عشر من السنة: المضمضة والاستنشاق، وإحفاء الشارب، وفرق الرأس، والسواك، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستجداد، وهو الاستنجاء)).

(1523/4)

(وامتحاناً شديداً): في صعوبة التكليف وعظم حاله.

(واختباراً مبيناً): ظاهراً مكشوفاً لا لبس فيه على أحد؛ لما فيه من الوضوح بالغرض المقصود.

(وتمحيصاً بليغاً): لما فيه من المبالغة في المشقة بتأدية هذه الأمور الشديدة الصعبة.

(جعله الله): الضمير إما للبيت، وإما للحج.

(سبباً لرحمته(1)): إما وصلة إلى ثوابه لما وعد عليه من عظيم الأجر، وإما جعله لطفاً إلى نيل الغرض بتأدية أمور واجبة يكون مقرّباً إليها وداعياً إليها لما فيه من مزيد الحث عليها، والحض على أدائها.

(ووصلة إلى جنته): لأنه وعد على تأديته بالجنة جزاءً عليه، وعوضاً عنه إذ لا جزاء إلا بها.

(ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام):يعني أنه لو شاء أن يجعله على غير الحال التي هو عليها، وعلى غير الصفة التي اختارها له.

(ومشاعره العظام): وأن يجعل المشاعر على غيرحالها، والمشاعر هي: المناسك، والمشعرالحرام هو أحدها، وسميت مشاعر لما جعل فيها من شدة التحفظ على أدائها والمواظبة على فعلها، والتحقق لذلك، أخذاً لذلك من شعور الإنسان وهو علمه، أو من مشاعر الإنسان وهي حواسه.

(بين جنات وأنهار): أشجار ملتف شجرها وأنهار مطردة(2) مياهها.

(وسهل وقرار): لاحزونة ولا جرز في مسالكه.

(جم الأشجار): كثيرها.

(داني الثمار): قريبة المجتنى، لا يحتاج في تناولها إلى تكلف.

(ملتف البنى): متلاصق البنيان، لا تفريق بين الأبنية لتزاحمها.

(متصل القرى): لا حائل بينها عكس ما ذكره من صفته الأولى.

(بين بُرَّة سمراء): وهو لون الأسمر، وهو بياض فيه حمرة.

(وروضة خضراء): الروضة: الشجر المجموع.

(وأرياف محدقة): الريف: كثرة الكلأ، وأحدق به إذا أحاط.

---

(1) في (ب): للرحمة.

(2) في (ب): مطرة.

(1524/4)

(وعراص مغدقة): أي كثيرة الماء(1)، وأغدق الماء إذا كثر وكان غزيراً.

(وزروع ناضرة): أي حسنة من النضارة وهو: الحسن.

(وطرق عامرة): بالسالك لها لما فيها من كثرة الاختلاف، وعمارة الطريق كثرة المارة فيه، أو يريد أنها سهلة للماضين فيها، والسالكين لها لا خراب فيها.

(لكان): اللام هذه هي جواب لو.

(قد صغر قدر الجزاء): أراد نقص الثواب عمَّا كان عليه لو لم يكن على هذه الحالة.

(على حسب ضعف البلاء): يريد على ضعف التكليف وهونه؛ لأن الجزاء إنما يكون على قدرالمشقة وصعوبتها فيضاعف الله الأجر من أجل ذلك.

(ولو كانت الأساسات المحمول عليها): يعني القواعد التي وضع عليها البيت.

(والأحجار المرفوع بها): التي شيدت فوق الأساسات.

(بين(2) زُمُرُّدة خضراء): نوع من الأحجار النفيسة له خضرة عالية.

(وياقوتة حمراء): إنما ذكر هذين الحجرين لتفاوت لونهما، ولأنهما أرفع هذه الأحجار النفيسة قدراً وأعزها ثمناً، ولهذا لا يكاد يوجد منهما إلا الفصوص القليلة.

(ونور وضياء): عوضاً عن الظلمة والسواد.

(لخفف ذلك مصارعة الشك): يريد نوازع القلوب، وتردد الشك.

(في الصدور): فيما يقع في القلب ويهمس في الخاطر من ذلك.

(ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب): إذ لايبقى له مدخل مع زوال تلك الصفات، وحصول هذه الصفات.

(ولنفى): النافي إما الله تعالى لما فعل ما فعل، وإما أن يكون جعل البيت على هذه الصفات التي

ذكرها.

---

(1) الماء، زيادة في (ب).

(2) بين، زيادة من (ب)، وفي شرح النهج: من.

(1525/4)

(معتلج الريب من الناس): ما يقع في نفوسهم ويعتلج بها من وساوس الصدور والظنون المتوهمة، والمعنى في هذا كله أن الله تعالى لو وضع بيته في أطيب البقاع وأحسنها وأعظمها حالة في النضارة والإعجاب، وزيَّنه بالجواهر واليواقيت واللآلئ، والذهب والفضة لكان توجه الناس إليه راغبين إلى حالته هذه من غير أن يكون ذلك لوجه الله تعالى.ولقلَّ الشكُّ الذي يَعْرُضُ للإنسان في تكليفه بالمسير إلى بلد لا ماء فيه ولا نبات ولا زرع، وتحمل المشاقِّ العظيمة، وارتكاب الأخطار الجسيمة؛ لأن الشكوك إنما تنشأ في النفوس إذا كُلِّفُوا ما يخالف أهواءهم ويشق عليهم فعله، فهم يطلبون لذلك علة تكون فيها رخصة لترك ما هم بصدده من التكليف، وأراد باعتلاج الريب منازعة النفس لليقين، ودفعه بالشك، يقال: اعتلجت الأمواج إذا التطمت، واعتلجت الريح إذا اختلفت مهابُّها.

(ولكن الله(1)): استدراك عمَّا ذكره أولاً.

(يختبر عباده بأنواع الشدائد): يمتحنهم بضروب الأمور الشديدة .

(ويتعبدهم بألوان المجاهد): الجهد: المشقة، وأراد بأنواع المشاقِّ العظيمة.

(ويبتليهم بضروب المكاره): بما يكرهون من الأفعال والتروك.

(إخراجاً للتكبر عن قلوبهم): انتصاب إخراج على المفعول له أي فعل ذلك من أجل إخراج ما يقع من الكبر والعظمة من(2) قلوبهم، ويعتقدونه ويفعلون به.

(وإسكاناً للتذلل في نفوسهم): أي وليكون الذلة والصغار لجلاله ساكناً في نفوسهم، لا زوال له ولا انقضاء لحاله ودوامه.

---

(1) في (ب): ولكن الله تعالى.

(2) في (ب): في.

(1526/4)

(وليجعل ذلك أبواباً فُتُحاً إلى فضله): وكما فيه تلك الفائدة(1) التي أشار إليها، ففيه فائدة أخرى وهو كونه باباً وذريعة إلى الا زدياد من فضله وخيره، والفتح بضمتين هي: الأبواب المفتوحة كالذُّلُل أي المذللة.

(وأسباباً دللاً(2) لعفوه): أي وتكون أسباباً دليلة لمن يسلكها ويريد فعلها من أجل تحصيل عفوه.

(فالله الله في عاجل البغي): أراد التحذير عنه وأنهم لايقربوه، لما فيه من المعاجلة بالعقوبة والإسراع فيها.

(وآجل وخامة الظلم): والتحذير أيضاً عما يكون في الآجل، وما يدخر ليوم القيامة من وخيم الظلم، والوخامة والوخومة: ما يستكرهه الإنسان من الأشياء، ولا يستطيبها.

(وسوء عاقبة الكبر): في الآخرة من الخزي من الله تعالى والنكال عليها.

(فإنها): يريد الكبر، والظلم، والبغي.

(مصيدة إبليس العظمى(3)): القياس فيه الإعلال وأن يقال: المصادة كا لمقالة والمقامة، ولكنه شذَّ كما شذَّ قولهم: استحوذ، واستصوب، وأراد أنها أعظم الخصال التي يصيد بها الرجال.

(ومكيدته الكبرى): وأكبر ما يخدع به من المكائد التي أعدَّها وهيّأها.

(التي تساور قلوب الرجال): تواثبها وتغالبها.

(مساورة السموم القاتلة): مواثبتها، فإن من شربها فإنه لا محالة هالك لا برء له ولاخلاص عنها.

(فما تكدي أبداً): أكدى الحافر إذا بلغ موضعاً لا يمكنه حفره لصلابته، وأراد لا يصعب عليها علاج أحد ولا إهلاكه.

(ولا تشوي أحداً): يقال: رماه فأ شواه إذا لم يصب المقتل، وغرضه أن رميها لا ينفك عن إصابة المقاتل.

(لا عالماً لعلمه): أي لا يترك عالماً فيهابه من أجل علمه.

---

(1) في (ب): الإشارة.

(2) في شرح النهج: ذللاً.

(3) في (ب): الكبرى.

(1527/4)

(ولا مقلاً في طمرة): أي ولا يزدري مقلاً متلفعاً في طمرة لا يملك سواه، وغرضه أن مكيدته لاتبقي أحداً ولا خلاص لأحد عنهاإلا بتوفيق الله ولطفه.

(وعن هذا(1)): يشير إلى المذكور أولاً.

(ما حرس الله عباده المؤمنين): الذين أخلصوا إيمانهم لوجهه.

(بالصلوات والزكوات): بافتراض هذه العبادة، وإخراج هذه القطعة من المال المخصوصة.

(ومجاهدة الصيام): بالتحفظ عليه وترك الطعام والشراب.

(في الأيام المفروضات): وهو صيام شهر رمضان وما شاكله من الصيامات الواجبة، فجعل الله هذه العبادات أمارة للخضوع والتذلل والتسكين.

ثم شرع في تفاصيلها(2)، بقوله:

(تسكيناً لأطرافهم): لليد(3) والرجل عن البطش، وإسكان جميع الجوارح كلها.

(وتخشيعاً لأبصارهم): فلا ترتفع إلى خلاف ما هو لها النظر(4) إليه.

(وتذليلاً لنفوسهم): فلا تكون مشتاقة إلى ما أباح الله لها.

(وتخفيضاً لقلوبهم): فلا تسرع إلى غير ذلك.

(وإذهاباً للخيلاء عنهم): يريد الكبر.

ثم بيَّن تصديق ما ذكره من هذه العبادات، بقوله:

(لما في ذلك): واللام متعلقة بقوله: حرس الله، من أجل ما فيه من المصالح العظيمة.

(من تعفير عتائق الوجوه بالتراب): عند الصلاة وعند التيمم إذا عدم الماء، والعتاقة هي: الرشاقة والحسن.

(تواضعاً): أي من أجل التواضع لله والخضوع لجلاله.

(وإلصاق كرائم الجوارح بالأرض): وهي الوجوه عند السجود.

(تصاغراً): أي من أجل التصاغر.

(ولحوق البطون بالظهور(5) من الصيام): أراد أن الإنسان إذا جاع صار بطنه كظهره في الاجتماع والاستواء من شدة الجوع بالصيام والذبول.

---

(1) في (ب)، وشرح النهج: وعن ذلك.

(2) في (ب): تفصيلها.

(3) في (ب): اليد.

(4) في (ب): بالنظر.

(5) في (ب) وفي شرح النهج: بالمتون.

(تذللاً): أي من أجل التذلل.

(مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الأرض، وغير ذلك إلى أهل المسكنة والفقر): يريد أن الزكاة مع ما فيها من التواضع وتزكية النفس، وفيها فائدة جزيلة وهي مواساة الفقراء وأهل المسكنة، من أهل الإيمان والصلاح وأهل التقوى، فهذه التكاليف(1) كلها مشتملة على ما ذكره من هذه المصالح العظيمة، والتوقي بها من هذه المكاره الوخيمة.

ثم أخذ في أسلوب آخر، بقوله:

(انظروا إلى ما في هذه الأفعال): التي أوجبها الله عليكم من المصالح التي قصصتها، وثبت حالها وأمرها.

(من قمع نواجم الفخر): قمع رأسه إذا ضربه بالمقمعة، والنواجم جمع ناجمة، وهو: ما يظهر من هذه الأمور وأعظمها التفاخر.

(وقدع طوالع الكبر): القدع بالقاف والدال بنقطة من أسفلها هو: الكفُّ، يقال: قدع نفسه إذا كفَّها عن هواها، والطوالع: جمع طالعة، وهو ما يكون من تعاظم النفس بتكبرها.

(ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين): خبرت الأشياء ومارستها، فما وجدت أحداً يدعي من أهل العلم والشعور بحاله.

(يتعصب لشيء من الأشياء إلا عن علة): يظهر العصبية من نفسه لشيء من الأشياء إلا عن داعٍ يدعوه إلى ذلك، وإرادة(2) له لغرض من الأغراض.

(تحتمل(3) تمويه الجهلاء): تتضمن وتشتمل على زخرفة الْجُهَّال(4)، وسمي الباطل تمويهاً؛ لأنه عن قريب وقد تلاشى وبطل كأنه شبيه بالماء.

(وحجة(5) تليط بعقول السفهاء): لاط بكذا إذا لزق به، فهذه أنواع الدواعي يتعلق بها كل أحد ممن له غرض.

---

(1) في (ب) ونسخة أخرى: التكليفات.

(2) في (ب) وفي نسخة أخرى: وإرادته لغرض.

(3) في (ب) وفي شرح النهج: تحتمل، كما أثبته، وفي (أ): تحمل.

(4) في (ب) وفي نسخة أخرى: الجهلاء.

(5) في (ب) وفي شرح النهج: أو حجة.

(1529/4)

(غيركم): إلا إياكم.

(فأنتم(1) تغضبون لأمر لايعرف له سبب): فيكون ذلك السبب هو الداعي إليه، والحامل في الفعل عليه.

(ولامس يد علة): يريد ولا لابس يد علة فلمسها، ومس اليد للعلة من غريب الكلام ولطيفه، ويبيِّن ما قلته(2) في حالكم ويوضحه:

(أما إبليس فتعصب على آدم): فكانت عصبيته وحميته(3)، استظهاراً على آدم:

(لأصله): أي من أجل ما رُكِّب منه وخلق.

(وطعن عليه في خلقته): فرأى الفضل لنفسه على آدم من هذه الأوجه.

(فقال: أنا ناري): أي(4) مخلوق من النار.

(وأنت طيني): مخلوق من الطين.

(وأما الأغنياء من مترفة الأمم): الذين طغى بهم الغنى، وبلغ بهم الإتراف في النعم إلى الإعجاب والتفاخر.

(فتعصبوا [لآثار مواقع النعم](5)): فكان السبب في تعصبهم لما هم عليه من كثرة الأموال وجمعها، ثم تلا هذه الآية:

(فقالوا: {نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}[سبأ:35]): وأنتم عادمون لهذه الخصال التي وقع فيها التعصب ليس فيكم واحدة منها.

(فإن كان لابد من العصبية): وأنتم عازمون عليها موطنون لنفوسكم على إتيانها.

(فليكن تعصبكم): فأخص المواقع به وأعظمها اختصاصاً به تعصبكم:

(لمكارم الخصال): من الكرم والبذل، وإغاثة المضطر، وَقِرَى الضيف، وصلة الأقارب.

(ومحامد الأفعال): أي والمواظبة على الأفعال المحمودة من البر والإحسان وأنوع القرب.

(ومحاسن الأمور): أحسن الأمور وأعلاها في المنقبة.

---

(1) في (ب): فإنكم، وفي شرح النهج: فإنكم تتعصبون.

(2) في (ب): ما قلناه.

(3) في (ب): فكانت عصبيته حمية على آدم، وقوله: استظهاراً على آدم، سقط منها.

(4) في (ب): أنا.

(5) ما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج وكذا ذكره في هامش (ب).

(التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء): تنافس فيها أهل المجد والفضل، وأهل النجدة والرئاسة، وأراد بالمجداء الكرماء، والنجداء الشجعان.

(من بيوتات العرب): أهل الرفعة والكرم، وجعل البيوتات عبارة عن بطون العرب.

(ويعاسيب القبائل): واحدها يعسوب وهو: أمير النحل وكبيرها، وقد استعير لسيد القوم ورئيسهم.

(بالأخلاق الرغيبة): الباء ها هنا متعلقة بتفاضلت بهذه الأشياء من الأخلاق التي يرغب فيها من سمع بها ورآها.

(والأحلام العظيمة): التي بلغت كل نهاية في الصفح والتجاوز والاغتفار لكل سيئة.

(والأخطار الجليلة): في موارد الأمور ومصادرها.

(والآثار المحمودة): التي تكون في حياة الإنسان وبعد وفاته من المكارم العظيمة.

(فتعصبوا): إذا كان لابد لكم من ذلك وأنتم فاعلوه:

(بخلال(1) الحمد): جمع خلة وهي: الخصلة الواحدة.

(من الحفظ للجوار): مراقبة(2) حاله ومراعاة جانبه.

(والوفاء بالذمام): يريد أن من جملة الخصال العالية، والمناقب الشريفة هو الوفاء بما عقد به الإنسان من العقود التي تشتمل على الذمة، والعقد أي عقد كان، ويصدق ذلك قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}[المائدة:1] وهي عبارة عما كانوا يتعاقدون فيه من عقود الأمانات والمبايعات.

قال الحطيئة:

قوم إذا عقدوا [عقداً](3) لجارهم

شدوا العِناجَ وشدّوا فوقه الكرَبَا

---

(1) في شرح النهج: لخلال.

(2) في (ب): موافاة.

(3) زيادة في (ب)، وفي لسان العرب والكشاف، والبيت في لسان العرب 896/2، والكشاف635/1.

(1531/4)

والعناج: حبل يشدُّ من أسفل الدلو إلى أعلاها، والكَرَبُ: الحبل الذي يكون في عراقيِّ الدلاء، وغرضه في هذا المبالغة في شدة ما عقدوا ووثاقه، وأنه لا ينتقض أبداً.

(والطاعة للبر): أراد وتكونون(1) منقادين للبر كأنه آمر(2) لهم فيطيعونه.

(والمعصية للكبر): كأنه ناهي لهم فلا يخالفونه ولا يعصونه، وهذا من غريب الكلام وعجيبه حيث جعلهم مطيعين للبر كأنه آمر(3)، والمعصية للكبر فلا ينقادون له.

(والأخذ بالفضل): في جميع الأمور كلها فلا تكون جميع تصرفاتهم مستعملة إلا بالتفضل(4) والإحسان.

(والكف عن البغي): فلا يتلبسون به في حالة من الحالات لتعجيل عقوبته، وسخف طبيعة من يتعلق به.

(والإعظام للقتل): يريد أنه إذا كان عظيماً عندهم لم يتجاسروا عليه لما فيه من المفسدة العظيمة، وهلاك الدين وفساده.

(والإنصاف للخلق): إما بإعطائهم ما يستحقونه، وإما بترك أخذ ما لايكون مستحقاً عليهم فهذا كله إنصاف.

(وكظم الغيظ(5)): عن التشفي، وفي الحديث: ((من كتم غيظه وهو يقدر على إنفاذه، ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة))(6).

(واجتناب الفساد في الأرض): بقتل الخلق ونهب أموالهم، وإخافة السبل، وغيرذلك مما يكون ضرره عائداً إلى جملة المسلمين.

---

(1) في (ب): وتكونوا.

(2) في نسخة: أمير (هامش في ب).

(3) في (ب): أمير.

(4) في (ب): بالفضل.

(5) في شرح النهج: والكظم للغيظ.

(6) الحديث بلفظ: ((من كتم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً)) رواه العلامة المفسر الزمخشري في الكشاف 443/2، ورواه بلفظ الكشاف العلامة القرشي في مسند شمس الأخبار 482/1 الباب (89)، وعزاه إلى مسند الشهاب (وانظر تخريجه فيه).

(1532/4)

(واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات): العقوبات العظيمة المهلكة.

(بسوء الأفعال): أسوأها وأعظمها دخولاً في المفسدة من تكذيب الرسل، وسائر أنواع المعاصي التي حكاها الله تعالى في كتابه الكريم.

(وذميم الأعمال(1)): يريد الأعمال التي يُذَمُّ صاحبها على فعلها.
(فتذكروا في الخير والشر أعمالهم(2)): فإنكم إذا ذكرتموها في النعمة كان ذلك لطفاً في الازدياد من شكر الله على نعمه، وإفضاله عليكم، وإن ذكرتموها في الشر كان ذلك داعياً إلى العياذة بالله أن يكفيكم شر ما أصابهم، ولصق بهم من أنوع العقوبات، وضروب النقمات.
اللَّهُمَّ، إنا نستجير بك من غضبك، وشر انتقامك ياخير مجير، وأكرم مستجار به.
(واحذروا أن تكونوا أمثالهم): حذرهم من أن تصدر من جهتهم المعاصي فيكونون أمثالاً لهم في العقوبة.
(فإذا تفكرتم في تفاوت حالتهم)(3): في دوام النعمة عليهم، وحلول النقمة به.
(فالزموا كل أمر لزمت العزة به حالتهم):انظروا في أحوالهم، فكل أمر تجدون العزة والهيبة والجلالة لازمة لهم من أجله فالزموه، وحثوا عليه، وواظبوا على فعله.
(وزاحت الأعداء له عنهم): ومالت أعداؤهم بسببه ومن أجله.
(ومدت العافية فيه بهم): أي وصارت العافية ممدوداً عليهم ظلالها في تلبسهم به.
(وانقادت النعمة له معهم): وصارت النعمة منقادة لهم، ومصاحبة لحالهم من أجله.
(ووصلت الكرامة عليه حبلهم): وصارت الكرامة والعيش الهنيء الطيب واصلة حبلهم على سببه وأمره.

---

(1) في (ب): الأفعال.
(2) في شرح النهج: أحوالهم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(3) في (ب) وفي شرح النهج: حاليهم.

(1533/4)

(من الاجتناب للفرقة): من هذه لابتداء الغاية، وتعلقها يكون بفعل محذوف تقديره: واحذروا من الوقوع في الفرقة وجانبوها، أو تكون من خبر (1) مبتدأ محذوف تقديره: أي وذلك كله حاصل، أعني جميع ما عدده من اجتناب الفرقة.
(واللزوم للألفة): المصاحبة، وأن كل واحد منكم يألف صاحبه.
(والتحاضِّ عليها): التحاض تفاعل من حضه إذا حثه على الفعل، وأراد أن كل واحد منكم يحض صاحبه على التوالف والترافق والتعاون.
(والتواصي بها): يوصي كل واحد منكم صاحبه بها.
(واجتنبوا كل أمر كسر فِقْرَتَهُمْ): الفِقْرَةُ: واحدة فقرات الظهر وهو منتظم الظهر، يقال: هذا أمريكسر

فِقَرَ الظهر وفِقَارَهُ، إذا كان عظيماً لا يقدر عليه.

(وأوهن مُنَّتَهُمْ): الْمُنَّةُ: القوة.

(من تضاغن القلوب): أوحارها وشدائدها التي تتضمنها.

(وتشاحن الصدور): التشاحن: التحاسد.

(وتدابر النفوس): إدبارها عن بعضها بعض بالنصرة والموالاة، والبغضاء.

(وتخاذل الأيدي): كفَّها عن النصرة عند الشدائد، والاضطهاد.

ثم لما فرغ من خطاب من يخاطب من أصحابه ذكر أحوال الماضين، بقوله:

(وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم): ممن آمن من القرون الماضية، والأمم الخالية من المؤمنين الذين صدَّقوا بالله، واعترفوا بحقه وحق رسله.

(كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء):يريد الابتلاء والاختبار والامتحان.

(ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباء): الأعباء هي: الأحمال والأثقال.

(وأجهد العباد بلاء): أي وأكثرهم مجاهدة للبلاء، وانتصاب أعباء وبلاء على التمييز.

(وأضيق أهل الدنيا حالاً): في معائشهم وأمورهم.

____

(1) في (أ): خبراً.

(1534/4)

(اتخذتهم الفراعنة عبيداً): الفراعنة: عبارة عن كل من تشيطن وشوش(1) الدين، وحادَّ الله تعالى، ومعنى اتخاذهم عبيداً عبارة عن الامتهان والاستصغار.

(فساموهم سوء العذاب): أي أولوهم أشد العذاب وأعظمه.

(وجرَّعوهم المُرار): المُرار: نبت من الشجر شديد المرارة، وهو بضم الميم مخففاً إذا أكلته الإبل ارتفعت مشافرها لما فيه من العفوصة(2) والقبض، والتجريع: شرب الشيء جرعة بعد جرعة.

(فلم تبرح(3) الحال بهم): أي لم تزل دائمة.

(في ذل الملكة(4)): الملك وخضوع الرق.

(وقهر الغلبة): والغلبة القاهرة لهم.

(لا يجدون حيلة في امتناع): يعدمون الحيلة يمتنعون بها عما يصيبهم.

(ولا سبيلاً إلى دفاع): ولا يهتدون طريقاً إلى دفع ما هم فيه.

(حتى إذا رأى الله منهم جد الصبر): حتى هذه متعلقة بمحذوف تقديره: فصبروا على ما هم فيه عليه من البلاء حتى إذا رأى الله، علم من أحوالهم، أو شاهدهم في تقلباتهم، (حد الصبر): يُروى بالحاء

المهملة أي منتهاه وغايته، ويُروى بالجيم، أي صريحه لا هزله.

(على الأذي في محبته): على المكروه من الأذية في فعل ما يحبه ويريده منهم.

(والاحتمال للمكروه): ويحتملون ما يكرههم ويشق فعله عليهم.

(من خوفه): خوفاً على أنفسهم من عقابه.

(جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً): جعل ها هنا جواب لإذا، وأراد أنه جعل لهم من مواضع الضيق، وعوَّضهم عنها إفراجاً من جهته بتفريج الغصص عنهم.

(فأبدلهم العز مكان الذل): فأزال عنهم الذل بلطفه، وجعل عوضه العز.

(والأمن مكان الخوف): وأزال الخوف عنهم، وجعل مكانه الأمن.

---

(1) شوش: خلط.

(2) يقال: طعام عفص، وفيه عفوصة أي تقبّض. (مختار الصحاح ص442).

(3) في (ب)، ونسخة أخرى: فلم تنزع.

(4) في شرح النهج: الهلكة.

(1535/4)

(فصاروا لما فعل بهم): ما فعل من رحمته ولطفه بهم.

(ملوكاً): مقتدرين على الخلق، مالكين لهم.

(حكاماً):حاكمين على الناس في أمورهم، لا يوردون ولا يصدرون إلا عن أمر منهم وَأُذْنٍ.

(وأئمة): يقتدون بهم في الدين.

(أعلاماً): يهتدى بهم في المحارات العظيمة، وتُحَلُّ بهم الشبهات المبهمة.

(وبلغت الكرامة من الله لهم): مبلغاً لا يمكن وصفه ولا تدرك غايته.

(ما لم تذهب الآمال به إليهم(1)): ما لا يؤمل حصره ولا يبلغه الأمل فيكون مدركاً له.

(فانظروا كيف كانوا): تفكروا في حالتهم.

(حيث كانت الأملاء مجتمعة): الأملاء: جمع ملأ وهم: جماعة الرءوساء من الناس، واجتماعهم اتفاق آرائهم وأهوائهم.

(والأهواء مؤتلفة): غير مفترقة.

(والقلوب معتدلة): على الحق غير مائلة إلى الباطل والمخالفة.

(والأيدي مترافدة): الترافد هو: التعاون.

(والسيوف متناصرة): ينصر بعضها بعضاً .

(والبصائر نافذة):في كل إقدام وإحجام، لا يقدمون عن شك(2)، ولا يكون تأخرهم عن تردد.

(والعزائم واحدة): كل ما عزموا فيه فهو عن اجتماع واتفاق من غير افتراق.

(ألم يكونوا): مع حصول ما ذكرناه من المرافدة والمعاونة والمعاضدة.

(أرباباً): مالكين سادة مقتدرين.

(في أقطار الأرضين): في الجهات المتباعدة والأقاليم النائية.

(وملوكاً): كلمتهم غالبة(3) نافذة.

(على رقاب العالمين): لهم الحكمة كيف شاءوا من أخذ وترك.

(فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم): في منتهاها وغايتها وقصاراها.

(حين وقعت الفرقة): الاختلاف في الأهواء والنفوس.

---

(1) في (ب): بهم إليه، و في شرح النهج: إليه بهم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في نسخة: على شك (هامش في ب).

(3) في (ب): عالية.

(1536/4)

(وتشتت الألفة): تباينها وتزايلها وانقطاعها(1).

(واختلفت الكلمة): إما بأن يأمر هذا بشيء فلا يطاع ولا يلتفت إلى أمره، وإما يأمر هذا بشيء ثم ينهى عنه الآخر، فهذا هو الاختلاف والتفرق.

(والأفئدة): بما أوقع فيها من العداوة والبغضاء.

(وتشعبوا مختلفين): صار كل واحد منهم في جهة، على سبيل الاختلاف والتنازع لا يجمعهم جامع.

(وتفرقوا): في البلدان والأقاليم.

(متحاربين): كل واحد منهم يريد قتل صاحبه وإهدار دمه.

(قد خلع الله عنهم لباس كرامته): بما(2) علم من حالهم من البغي والفسوق وأنواع المعاصي كلها، فلأجل هذا خلع عنهم ما ألبسهم من العز والمهابة.

(وسلبهم غضارة نعمته): وأزال عنهم أحسن النعمة وأعجبها، وألذَّها وأطيبها، والغضارة من كل شيء: خلاصته وأطيبه، ومنه غضارة الشباب.

(وبقي قصص أخبارهم): القصص جمع قصة، وغرضه أن ما بقي من ذلك كله إلا ما يقتصه القصَّاص من سيرهم الماضية.

(فيكم): تسمعونها.

(عبراً للمعتبرين(3)): مواعظ لمن اتعظ بها وانتفع، وكان ذلك مزجراً له عن أمثالها.

(فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل["](4)): هؤلاء كلهم أنبياء صلوات الله عليهم وسلامه على أرواحهم الطيبة، وهم أولاد إبراهيم، فإسماعيل وإسحاق هما ولدان لإبراهيم مشهوران، فإسماعيل هو أبو العرب، كما يزعمه نسَّاب اليمن، وأما إسرائيل فهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

(فما أشد اعتدال الأحوال): تعجب من شدة اعتدالها عند تلاومها وتقاربها.

---

(1) شرح العبارة في (ب): شتاتها: تزايلها وانقطاعها.

(2) في (ب): لما.

(3) في (ب) وفي شرح النهج: عبراً للمعتبرين منكم.

(4) زيادة في شرح النهج.

(1537/4)

(وأقرب اشتباه الأمثال): لأن كل واحد منها يماثل صاحبه ولهذا يقع بينهما التشابه، ألا تراك تأخذ تمرتين متماثلتين ثم تعطي أخاك واحدة منهما ثم إذا جمعت بينهما ثم أردت أن تعطيه ما كان حقاً له اشتبه عليك الحال، إلا أن يكون فيها علامة تميزها من صاحبتها.

(تأملوا أمرهم في حال تفرقهم وتشتتهم): يريد أولادهم ومن كان بعدهم من خلفهم، فأما زمان آبائهم فكان جارياً على نعت الصلاح والاستقامة، من جهة الله تعالى بالتأييد بالوحي، والتشريف بكرامة النبوة.

(ليالي كانت الأكاسرة والأقاصرة(1)): الأكاسرة: من كان من ملوك الفرس، والأقاصرة: من كان من ملوك الروم.

(أرباباً لهم): مالكين لرقابهم بتسليط الله لهم عليهم.

(يحتازونهم عن ريف الآفاق): أراد أنهم يجمعونهم ويخرجونهم عن الريف والخصب إلى المواضع المجدبة.

(وبحر العراق): يريد ما يسقيه دجلة والفرات، أو سيحون(2) وجيحون، فكل هذه أنهار، وهي بحار(3) الدنيا؛ لأنها تعبر بالسفن وتحاز عنها بالقناطر لعظمها وفخامة شأنها، وهي مياه عذبة حلوة.

(وخضرة الدنيا): عجائبها ونضارتها(4).

(إلى منابت الشيح): وهو نبت طيب الرائحة.

(ومهافي الريح): مذاهبها ومهابّها المختلفة.

(ونكد المعاش): مواضع العيش المنكد التي(5) لا راحة فيه ولا طيب في أكله، وأراد أنهم ألجأوهم إلى المواضع النكدة، والمعايش الخشنة الضيقة الضنكة.

(فتركوهم): على هذه الحالة.

(عالة): فقراء جمع عائل مثل كافر وكفرة، وفاسق وفسقة.

---

(1) في شرح النهج: والقياصرة، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في (ب): وسيحون.

(3) في (ب): أبحار.

(4) في (ب): ونضائرها، وذكر في هامشها أنه في نسخة: ونضارتها.

(5) في (ب): الذي.

(مساكين): قد غشيتهم الاستكانة، وركبتهم الذلة.

(إخوان دبر ووَبَر): الدبر بالتحريك: جمع دبرة وجمعه أدبار، وهو الجرح من القتب(1)، والوبر بالتحريك للبعير، وأراد أنهم صاروا بدواً يعالجون جروح الإبل وأوبارها، وزالوا عن الثروة والملك والرئاسة.

(وأذل الأمم داراً(2)): إذ لا منعة لهم فيها، ولا يقدرون على منعها عن الضيم لمن يريدها به.

(وأجدبهم قراراً): والمواضع التي يسكنونها جديبة لا رخاء فيها.

(لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها): أي ليس لهم ملجأ فيدعوهم ليحميهم في ظل جناحه.

(ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزها): يعني ولا قلوبهم مؤتلفة فيتفيئون في ظلها، ويلجأون بأمورهم ويعتزُّون بها.

(فالأحوال): مع ما ذكرناه منهم.

(مضطربة): لا تستقر على قاعدة ولا تؤول إلى حالة مستقيمة.

(والأيدي مختلفة): كل واحد منهم في جانب غير جانب الآخر.

(والكثرة متفرقة): فهي غير نافعة مع التفرق.

(في بلاء نازل(3)): من الله عليهم لأجل مافعلوه، وارتكبوه من المعاصي.

(وأطباق جهل): وجهل(4) مطبق عليهم لا يفيقون من سكرته.

(من بنات موؤدة): تفسير للجهل، ومن هذه للبيان، والمراد أنهم يوؤدون البنات، وهو دفنهنَّ وهنَّ

أحياء خيفة عن العار، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}[التكوير:8-9].

(وأصنام معبودة): يعبدونها من غير بصيرة، ولا ثبات قدم(5)، وإنما هو جهل ابتدعوه، وغرور ارتكبوه.

---

(1) القتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير يشد عليه. (وانظر المعجم الوسيط 714/2).

(2) في (ب): أي.

(3) في شرح النهج: في بلاء أزل، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(4) في (ب): أي وجهل.

(5) في (ب): ولا أقدام ثابتة.

(1539/4)

(وأرحام مقطوعة): لا يبالون بها ولا يلتفتون إلى صلتها، ولا يراقبون أحوالها.

(وغارات مشنونة): من كل ناحية ملاحظة للكبر، ومراعاة لجانب الفخر لا يقاتلون لله، ولا يجاهدون أحداً من أعداء الله.

(فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم): يعني أولاد إسماعيل بعد تفرقهم في البلاد، وتشتتهم فيها كيف لحظهم الله تعالى(1) بعين الرحمة ، ورعاهم بأحسن الرعاية.

ثم أردف ما ذكره بالمنة ببعثه الرسول عليه السلام فيهم وجعله فيهم، بقوله:

(حين بعث إليهم رسولاً): خصَّهم ببعثته، وشرَّفهم بأن جعله من صلب أبيهم إسماعيل ووشيجته(2).

(فعقد بملته طاعتهم): أراد فجعل من جملة ما بعث به الانقياد لأمرهم، والاحتكام لطاعتهم.

(وجمع على دعوته ألفتهم): يعني حصل ائتلافهم واجتماعهم ببركته، فاجتمعوا على إجابة دعوته، والإشارة بهذا الكلام إلى بني هاشم، وأمير المؤمنين وأولاده، فإن الله تعالى(3) عز سلطانه أوجب طاعتهم على غيرهم بما فعل لهم من الولاية، وجمع الله شملهم بدعوة الرسول عليه السلام.

(كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها): لا جناح هناك ولانشر، وإنما الغرض الاستعارة وهو عبارة عن التمكين والبسط في الرزق، وقرار الخاطر.

(وأسالت لهم جداول نعمتها): الجدول هو: النهر الصغير، والضمير في قوله: نعمتها راجع إلى الكرامة.

(والتفت الملة بهم في عوائد بركتها): أراد أن اجتماعهم على ملة الرسول وشريعته هي العائدة عليهم بالبركة، والجامعة لشملهم.

(1) تعالى، زيادة في (ب).

(2) الوشيجة: عرق الشجرة، والقرابة المشتبكة المتصلة. (انظر المعجم الوسيط 1033/2).

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(1540/4)

(فأصبحوا في نعمتها(1) غرقين): الضمير للملة، وأراد أنهم أصبحوا في غزارتها وعظيم أُبَّهتها، وعبَّر بالغرق عن ذلك.

(وعن(2) خضرة عيشها فكهين): الفكه: طيب النفس، ولذتها بما هي فيه، وهكذا خضرة العيش كناية عن طيبه ولذاذته وهنائه.

(قد تربعت بهم(3) الأمور): استحكمت وتمكَّنت، استعارة من تربع الإنسان وهو استحكامه في جلوسه.

(في ظل سلطان قاهر): وهو ما أعطاهم الله من الولاية على الخلق والرئاسة عليهم، واستحكام الملك لهم من جهة الله تعالى.

(وآوتهم الحال): رجعت بهم الأحوال.

(إلى كنف عز غالب)(4): لمن غالبه ومذلٌّ لمن ناواه.

(وتعطفت عليهم الأمور(5)): التعطف هو: الرقة والحنو، وهو مأخوذ من تعطف الوالدة على ولدها.

(في ذرى ملك ثابت): الذروة: أعلا الشيء، والثابت: المستقر الثابت القواعد.

(فهم حكام العالمين(6)): لا يصدرون إلا عن حكمهم وقضائهم.

(وملوك في أطراف الأرضين): أقاصيها، والمواضع البعيدة منها.

(يملكون الأمور): حلّها وعقدها وقبضها، ومدَّها وبسطها.

(على من كان يملكها عليهم): يشير بهذا إلى ما حكاه من قبل من كونهم كانوا مملوكين، فردَّ الله عليهم ما فات من ملكهم، ومكَّن بسطتهم.

(ويمضون الأحكام): يلزمونها فتكون ماضية.

(فيمن كان يمضيها فيهم): فصاروا قادرين عليه محتكمين فيه، يفعلون فيه مثلما كان يفعل فيه، وأبلغ من ذلك:

(لا تغمز لهم قناة) الغمز هو: مسُّ الشيء والدرية بِكُنْهِ حاله في الرخاوة والصلابة.

---

(1) في (ب): نعيمها.

(2) في شرح النهج: وفي.

(3) في (ب) وفي شرح النهج: الأمور بهم.

(4) في (ب): عزيز غالب.

(5) في (ب) وفي شرح النهج: وتعطفت الأمور عليهم.

(6) في (ب) وفي شرح النهج: فهم حكام على العالمين.

(1541/4)

(ولا تقرع لهم صفاة): هذا جار مجرى الكناية عن شدة الجانب وقوة الشوكة، وشهامة الأنفس(1) وعزتها.

(ألا وإنكم قد نقضتم(2) أيديكم عن حبل الطاعة): يخاطب أصحابه بذلك كأن أيديهم كانت مربوطة بحبل الطاعة لله تعالى، وبالاستمساك بعروته، فنقضوها(3) بما كان منهم من الخروج عن الطاعة، والتهالك في المخالفة للدين وأحكامه.

(وثلمتم حصن الله المضروب عليكم): الحصن هو: الإسلام، والمراد بثلمه هو نقصه برفض أحكامه، وإحياء(4) ما اندرس من أحكام الجاهلية.

(وإن الله سبحانه(5) قد امتنَّ على جماعة هذه الأمة): تفضل عليهم وجعل من أعظم المنن عليهم.

(فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة): فجعل الإسلام جامعاً لألفتهم، والإيمان حافظاً لجماعتهم، فهم في ظل هذه الألفة.

(التى ينتقلون(6) في ظلها): من جهة إلى جهة، ومن مكان إلى مكان آخر.

(ويأوون إلى كنفها): يرجعون، والكنف: الجانب، وكنفا الطائر جناحاه؛ لأنهما يكتنفان جسمه من عن يمين وشمال.

(بنعمة): الباء متعلقة بقوله: امتنَّ.

(لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة): لا يقع في نفسه مقدار قيمتها وإن جد في ذلك غاية الجد، وكيف(7) يقوم ما لاقيمة له، أو كيف يوزن ما لا يتزن بحال.

(لأنها أرجح من كل ثمن): يوازنها ويقوم مقامها.

(وأجل من كل خطر): الخطر: السبق الذي يكون بين المتراهنين، وأراد أنه لاأجل من خطرها ولاأعظم.

---

(1) في (ب): النفس.

(2) في (ب) وفي شرح النهج: نفضتم.

(3) في (ب): فنفضوها.

(4) في نسخة: وبإحياء (هامش في ب).

(5) سبحانه، زيادة في (ب) و شرح النهج.

(6) في شرح النهج: ينقلبون، وفي نسخة: يتفيئون، (هامش في ب).

(7) في (ب) ونسخة أخرى: فكيف.

(1542/4)

(واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً): يريد أنكم هاجرتم بزعمكم، وأقمتم في دار الحرب وموضع الحرب فصرتم أعراباً جفاة لا تمييز لكم.

(وبعد الموالاة أحزاباً): وبعد موالاة أهل الإسلام تحزبتم على رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، وتألبتم عليه يوم الخندق وغيره.

(ما تعلقون(1) من الإسلام إلا باسمه): أي مالكم من الدين شيء من الأحكام الدينية، ولا يلحقكم شيء من الأحكام الشرعية، إلا أن يقال لكم: إنكم مسلمون بإطلاق هذا القول لا غير.

(ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه): علامته، وما حظكم منه إلا أن تقولوا: من حق المؤمن كذا، وله حكم كذا من غير تخلّق بأخلاق المؤمنين، ولا تلبس بأفعال الصالحين.

(تقولون: النار ولاالعار): أي الزموا النار ولا تقبلوا العار، والغرض ها هنا هو المبالغة في دفع العار بالتزام النار والدخول فيها، فلاأنتم دفعتم العار كما ينبغي الدفع منكم، ولا أنتم سَلِمْتُم من النار.

(تريدون(2)): بما قلتموه من هذا الكلام.

(أن تكفئوا الإسلام على وجهه): كفأت الإناء إذا قلبته وكببته(3) على وجهه، يريد بترك النصرة له(4)، والتخاذل عن القيام بحقه.

(انتهاكاً لحرمته): نهكته الحمى إذا أتعبته وأضعفته، وأراد إضعافاً لحرمته، وإسقاطاً لما رفع الله من مكانه ومنزلته.

(ونقضاً لميثاقه): حيث أخذ الله ميثاقهم في نصرة دينه، حيث قال: {وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}[البقرة:218] وقوله: {قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ}[التوبة:123] وغير ذلك.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: ما تتعلقون.

(2) في شرح النهج: كأنكم تريدون.

(3) في (ب): وكفيته.

(4) في (أ): لهم.

(الذي وضع(1) الله لكم حرماً في أرضه): تعتزون به وتلجأون إليه.
(وأمناً بين خلقه): من تلبس به فهو آمن على نفسه، وأهله وولده.
(وإنكم إن لجأتم إلى غيره): في الانتصار وأسندتم أموركم في الاعتضاد.
(حاربكم أهل الكفر): رموكم عن قوس واحدة، واستظهروا عليكم من أجل خذلانكم الدين، وإعراضكم عن الإسلام .
(ثم لا جبريل ولا ميكائيل ولا مهاجرون(2) ولا أنصار): يريد كما كان في أيام الرسول، فإن هؤلاء كانوا أعواناً له على أعدائه، وهم الناصرون له على من خالفه، وأما الآن فلا شيء من ذلك بموجود، فلهذا يستحكم أمر الكفر عند ذلك وتستقوي حالته، ويظهر أمره.
(ينصرونكم(3)): ويكونون رداً لكم عند المقاتلة والمصافة.
(إلا المقارعة بالسيف(4)): إلا الضرب والقتال الشحيح.
(حتى يحكم الله بينكم): بما كان عنده من الصواب.
(وإن عندكم الأمثال من بأس الله): يريد إن بين أظهركم أخبار الأمم الماضية وما صنع الله بهم بإنزال البأس، وهو : العذاب.
(وقوارعه): وعقوباته التي تقرع.
(وأيامه): كما قال تعالى: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ}[إبراهيم:5].
(ووقائعه): في القرون الماضية كعاد وثمود، وَمَدْيَن وغيرهم ممن طغى وكذَّب وأبى.
(فلا تستبطئوا وعيده): تراخيه، فإن التعجيل إنما يكون في حق من يخشى الفوت(5)، فأما من هو قادر في كل حالة على ما يشاء ويريد، فلاوجه للاستبطاء.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: وضعه.
(2) في شرح النهج: ولا مهاجرين، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(3) في (أ): ينصروكم، وما أثبته من (ب) وشرح النهج.
(4) في نسخة: بالسيوف. (هامش في ب).
(5) في (ب): الفوات.

(جهلاً بأخذه): نصبه إما على المفعولية أي من أجل الجهل بأخذه، وإما مصدراً في موضع الحال أي متجاهلين.

(وتهاوناً ببطشه): البطش هو الأخذ بالعنف والاستئصال.

(ويأساً من بأسه): وأياساً من مجيء عذابه ووقوعه.

(فإن الله لم يلعن القرن الماضي(1) بين أيديكم): في الكتاب الذي يتلى بين أظهركم، كما قال تعالى: {لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}[المائدة:13]، وقال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}[المائدة:78] وغير ذلك مما ورد في لعن اليهود وغيرهم.

(إلا لتركهم الأمر بالمعروف): وهو الإتيان بالواجبات على وجوهها.

(والنهي عن المنكر): والكف عن المحرمات.

(فلعن السفهاء): وبخهم وأكثر من الوعيد عليهم.

(لركوب المعاصي): إتيانها وفعلها، والتلبس بها.

(والحلماء(2)): ولعن الحلماء وأهل العقل.

(لترك التناهي): يعني من أجل أنهم لم ينهوهم عن ارتكاب القبائح، وإتيان المنكرات.

---

(1) في شرح النهج: فإن الله سبحانه لم يلعن القرون الماضية.

(2) في نسخة: والحكماء، (هامش في ب).

(1545/4)

(ألا(1) وقد قطعتم قيد الإسلام): واسترسلتم في إتيان القبائح، وألقيتم حبالكم على الغوارب، فما يمنعكم منها مانع، وإنما قال: قطعتم قيد الإسلام؛ لأنه هو المانع عن أكثر المحرمات، وعن ارتكابها وفعلها، وفي الحديث الشريف: ((الإيمان قيد الفتك))(2) أي أنه يمنع عن الفتك والغدر، وعن كل مكروه يحذر وقوعه.

(وعطّلتم حدوده(3) وأمتم أحكامه): فلا يرى منها حكم قائم على وجهه.

ثم لما فرغ من هذا ذكر حال نفسه، بقوله:

(ألا وإني قد أمرني(4) الله): حيث قال تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}[الحج:78] وغير ذلك من الآيات الدالة على الأمر بالجهاد والمواظبة عليه، ثم هو أحق الناس بالجهاد، وأحقهم بالدعاء لما خصَّه الله من الولاية التي ليست لغيره، والإمامة التي لم يختلف فيها اثنان، والفضائل التي لم يشاركه فيها أحد، فلهذا كان أحق الناس بالأمر لما ذكرناه.

(بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض): فهذه الأمور الثلاثة أعظم ما تكون خللاً في الدين،

وأحق من قام بها وعنى في تغييرها هم الأئمة.

---

(1) ألا، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.
(2) رواه في مسند شمس الأخبار 515/1 في الباب (97) وعزاه إلى مسند الشهاب (وانظر تخريجه فيه)، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 224/4 إلى مسند أحمد بن حنبل92/4، ومسند الشهاب164، وسنن أبي داود رقم (2769)، والمستدرك للحاكم النيسابوري 352/4، والمعجم الكبير للطبراني 319/19، إلى غيرها من المصادر انظرها هناك.
(3) وعطلتم حدوده، زيادة من شرح النهج، وذكره في هامش (ب).
(4) في (ب) وفي شرح النهج: ألا وقد أمرني الله...إلخ.

(1546/4)

(فأما الناكثون فقد قاتلت): نكث بيعته إذا طرحها، وعنى بذلك طلحة والزبير ومروان بن الحكم، فإنهم بايعوا أمير المؤمنين في أول خلافته، ثم نكثوا العهد، وخرجوا إلى البصرة وهيجوا الفتن والحروب(1)، ومالوا لعائشة، وأوقعوا الجمل، فقاتلهم أمير المؤمنين حتى كان ما كان من أمرهم.
(وأما القاسطون فقد جاهدت): القاسط هو: العادل عن الحق، وهؤلاء هم معاوية وأتباعه، جاهدهم أمير المؤمنين(2)، وأبلى معهم في صفين.

---

(1) في (ب): وهيجوا الحروب والفتن ومالوا بعائشة.
(2) قوله: أمير المؤمنين، سقط من (ب).

(1547/4)

(وأما المارقة فقد دوخت): يريد بالمارقة الخوارج، قتلهم أمير المؤمنين بالنهروان وغيره من مواضعهم التي كانوا فيها، وإنما سموا مارقة، لقول الرسول: ((يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية))(1)، ومروق السهم من الرمية: خروجه من الجانب الآخر، دوَّخت إما أهلكت من قولهم: دوَّخت الرجل إذا أهلكته(2)، وإما دوَّخت أي

---

(1) أورده ابن الأثير في النهاية 320/4 وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي

الشريف418/11 إلى سنن الترمذي (2188)، ومستدرك الحاكم النيسابوري 146،147/2، والسنن الكبرى 170/8، والمعجم الكبير للطبراني363/12، 322/17، وتهذيب خصائص علي للنسائي77،80، وأورده من حديث في ذكر الخوارج العلامة ابن أبي الحديد شارح النهج رحمه الله 265/2–266 وقال ما لفظه: قد تظافرت الأخبار حتى بلغت حد التواتر بما وعد الله تعالى قاتلي الخوارج من الثواب على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي الصحاح المتفق عليها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بينا هو يقسم قسماً جاء رجل من بني تميم يدعى ذا الخويصرة، فقال: اعدل يا محمد، فقال عليه السلام: ((قد عدلت)) فقال له ثانية: اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل، فقالصلى الله عليه وآله وسلم: ((ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل!)) فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ائذن لي أضرب عنقه، فقال: ((دعه، فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...)) الحديث إلى آخره، ثم ساق رواية أخرى في ذلك إلى أن قال: وفي بعض الصحاح: ((يقتلهم أولى الفريقين بالحق))، وللحديث مصادر جمة وأسانيد عدة، انظر في ذلك الروضة الندية ص79–81، ومناقب الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله تعالى 324/2–330 تحت الأرقام من(797) إلى (801) وكذلك رقم(804).

(2) قوله: إذا أهلكته، سقط من (ب).

(1548/4)

أذللت، يقال: داخ الرجل إذا ذلَّ وتصاغر.

سؤال؛ أراه قال في الناكثين: قاتلت، وفي حق القاسطين: جاهدت، وفي حق المارقين: دوَّخت، فخالف بين هذه العبارات، وهم كلهم مستوون في إتيانهم بالباطل ومخالفتهم للحق؟

وجوابه؛ هو أن الأمر وإن كان كما ذكرت لكن(1) الأمر في شأن طلحة والزبير، ومن تابعهما من عائشة وغيرها أخف حكماً من أجل التباس الحق عليهم، ولهذا تداركهم الله بالتوبة كما قررناه من قبل، فلهذا قال في حقهم: قاتلت؛ حتى رجعوا إلى الحق واستبانوا الباطل.

وأما معاوية فما كان حربه إلا فسقاً وتمرداً ، ونكوصاً عن الحق بعد ظهوره، ولكنه أبى إلا الفسق والمخالفة، والبغي على أمير المؤمنين، مع معرفته بالحق أين هو ومعرفته بحال نفسه وفسقه، فلهذا قال في حقه: جاهدت، لما علم من حاله التمرد (2) والفسق.

وأما الخوارج فلمكان تهالكهم في الفتنة، وضلالهم عن الحق، ومكابرتهم له في المتابعة، والنصيحة لهم في كل موطن، فلما أبوا غاية الإباء أنفذ أمر الله فيهم، ولم يأل جهداً في ذلك كما قال تعالى: {فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ}[الزخرف:55].

(وأما شيطان الردهة): الردهة: حفرة في صخرة يستنقع فيها الماء، واختلف في شيطان الردهة، فقيل:

هو ذو الثُّديّة من الخوارج، وقيل: هو شيطان من الجن الكفار(3).

(فقد كُفِيْتُهُ بصعقة): يريد كفاه في القتل، وقطع الدابر بصعقة، إما من الله بسبب أمير المؤمنين، وإما من جهة أمير المؤمنين.

(سمعت لها وجبة قلبه): أي حركته واضطرابه.

(ورجة صدره): زلزلته وقلقلته.

(وبقيت بقية من أهل البغي): جماعة قليلة.

---

(1) في (ب)، ونسخة أخرى: ولكن.

(2) في (ب): من التمرد.

(3) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 13/183-184.

(1549/4)

(ولئن أذن الله لي): أذن بمعنى علم، قال الله تعالى: {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}[البقرة:279] وأذن له إذناً أي استمع، قال الشاعر:

صمٌ إذا سمعوا خيراً ذكرت به

وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا(1)

أي سمعوا، وفي الحديث: ((ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن))(2).

(في الكرة عليهم): العودة عليهم بالحرب، وقطع الدابر والاستئصال.

(لأديلنَّ منهم): يعني لأنصرنَّ المؤمنين من بغيهم وباطلهم، يقال: أدالنا الله من عدونا أي نصرنا عليه.

(إلا ما يتشذَّر في أطراف الأرض تشذراً): هذا استثناء منقطع، والتشذُّر هو: التفرُّق والتبديد، يقال: تفرقوا شذر مذر أي ذهبوا في كل جهة.

(أنا وضعت بكلاكل العرب): الكلكل: الصدر، وأراد بوضع الكلاكل هو قتل الرءوساء من العرب قريشاً وغيرهم، يشير إلى ما كان منه في بدر من قتل الصناديد من قريش، وما كان في حنين وغيره من المشاهد التي أبلي فيها، وخصَّه الله بما خصَّ من قَتْلِ من قَتَلَ من الأعزة وأهل الشهامة.

---

(1) البيت هو لقعنب بن أم صاحب، والبيت أورده في لسان العرب1/39 من بيتين لقعنب المذكور

وهما:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً

مني وما سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به

وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

_ ... _وانظر مختار الصحاح ص12، ورواية البيت الأول فيه:

إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحاً

مني وما أذنوا من صالح دفنوا

(2) رواه العلامة الزمخشري في الكشاف 526/2، 726/4، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 25/9 وعزاه إلى سنن الدارمي473/2، وشرح السنة للبغوي484/4، وإصلاح خطأ المحدثين للخطابي30، ومصنف ابن أبي شيبة 528/2.

(1550/4)

(وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر): النواجم: جمع ناجم وهو: الظاهر الطالع، وأراد بقرون ربيعة ومضر عبارة عن الرءوساء والأرحاء(1) الذين عليهم مدار الأمر في كل الأحوال، يقال: نجم القرن إذا ظهر وبدا، وكنَّى عن ذلك بالقرون؛ لأن القرن هو سلاح الحيوان وبه يصول ويستظهر.

(وقد علمتم موضعي من رسول الله [صلى الله عليه وآله](2)): مكاني من نسبه وموضعي من شجرته وأرومته(3)، فإني أخصُّ به من بين سائر الناس:

(بالقرابة القريبة): التي لا شيء أقرب منها، لأن أبا طالب أب أمير المؤمنين، وعبد الله أب رسول الله كانا أخوين من الأم(4).

(والمنزلة الخصيصة): المختصة التي لامنزلة لأحد أخص منها.

(وضعني في حجره وأنا وليد): مولود عند خروجي من بطن أمي.

(يضمني إلى صدره): شفقة وحنواً.

(ويكنفني في فراشه): أي يصونني ويحفظني في فراشه.

(1) الأرحاء: جمع الرحى وهو سيد القوم. (انظر القاموس المحيط ص1661).
(2) زيادة في شرح النهج.
(3) الأرومة: الأصل.
(4) وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وهي أيضاً أم الزبير بن عبد المطلب، وأم جميع بنات عبد المطلب بن هاشم، غير صفية بنت عبد المطلب، فأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. (انظر سيرة ابن هشام 75/1، تحقيق عمر محمد عبد الخالق).

(1551/4)

(ويمسني جسده): يشير إلى حصول التبرك بملامسة جسم الرسول، ويشير إلى قوله: ((من مسَّ جسمه جسمي لم تمسّه النار))(1).

(ويشمني عَرْفَه): العَرْفُ هو: الرائحة الطيبة.

(وكان يمضغ الشيء): أراد يَلُوْكه بلسانه.

(ثم يلقمنيه): إلى فِيَّ يشير بذلك إلى عظم العناية من جهة الرسول بحاله، وإلى اشتمال البركة فيه من جهة الرسول أيضاً، بما وصل إليه من ريقه ولعابه.

(وما وجد(2) لي كذبة في قول): يعني الرسول فإنه ما نقم عليَّ كذبة من جهة القول، وإن كان مبنياً لما لم يسم فاعله فهو عام في حق الرسول وغيره أي أن أحداً ما وجد لي شيئاً من ذلك.

(ولا خطلة(3) في فعل): أي ولا زللاً في فعل من الأفعال.

(ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن كان فطيماً): يريد أن الله لعظم عنايته بالرسول وشدة رعايته له لما يريد به من الكرامة والشرف بالرسالة إلى الخلق:

(أعظم ملك من ملائكته): أقربهم عنده، وأشرفهم لديه، فجعله مقارناً له من عند فطامه، ولدن من ظروف الأمكنة، وفيها لغات كثيرة(4) وهي مضافة إلى ما بعدها.

(يسلك به طريق المكارم): أي لا مكرمة إلا وهو يلهمه لها ويأمره بفعلها.

---

(1) الحديث بلفظ: ((من مس دمي دمه لم تصبه النار)) رواه ابن هشام في السيرة النبوية 32/3، تحقيق عمر محمد عبد الخالق، وقال في تخريجه: أخرجه ابن عساكر في تهذيب تأريخ دمشق 112/6.
(2) كتب فوقها في (ب): معاً، وهو يعني بذلك أن الفعل وجد يصح أن يكون مبنياً للمعلوم (وَجَدَ)

وأن يكون مبنياً للمجهول (وُجِدَ).

(3) في (ب) ونسخة أخرى: ولا خطلاً.

(4) من ذلك ما ذكره في مختار الصحاح ص596 في مادة (لدن) قال: وفيها ثلاث لغات: لَدُنَ، ولَدَى، ولَدُ.

(1552/4)

(ومحاسن أخلاق العالم): أي ويرشده إلى أعظم خصال العالم المحمودة.

ويحكى أنه كان يوماً يلعب(1) مع الصبيان فكشفوا عوراتهم، وأخذوا أُزُرهم(2) على عواتقهم يشيلون(3) عليها الأحجار، فلما رآهم صلى الله عليه وآله فعل مثل ما فعلوا، قال: ((فجاءني رجل(4) فلكمني(5) لكمة شديدة وقال: ائتزر بإزارك))(6).

(ليله ونهاره): أي حافظاً له في ليله ونهاره عن الإهمال والضياع.

---

(1) في (ب) ونسخة أخرى: أنه كان يلعب يوماً.

(2) جمع إزار.

(3) أي يرفعون.

(4) أقول وبالله التوفيق: هذا مشكل عليَّ في الرواية والحكاية هذه لأن قوله: ((فجاءني رجل)) ظاهره أنه آدمي، والمقرون به صلى الله عليه وآله وسلم أعظم ملك من ملائكته كما قال أمير المؤمنينعليه السلام إلا أن يكون الملك عليه السلام تمثل في صورة رجل أو أنه يجوز إطلاق اسم رجل عليه فالله أعلم.

(5) في (ب): فجاءني رجل فكلمني فلكمني.

(6) وقريباً منه أورده ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج 28/13 فقال ما لفظه: وروى محمد بن حبيب في أماليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أذكر وأنا غلام ابن سبع سنين، وقد بنى ابن جدعان داراً له بمكة، فجئت مع الغلمان نأخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله، فملأت حجري تراباً فانكشفت عورتي، فسمعت نداءً من فوق رأسي: يا محمد، أرخِ إزارك، فجعلت أرفع رأسي فلا أرى شيئاً إلا أني أسمع الصوت، فتماسكت ولم أرخه، فكأن إنساناً ضربني على ظهري فخررت لوجهي، وانحل إزاري فسترني، وسقط التراب إلى الأرض، فقمت إلى دار أبي طالب عمي ولم أعد)). انتهى ما ذكره ابن أبي الحديد. وانظر الرواية مع اختلاف يسير في سيرة ابن هشام183/1 تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

وحكى ابن هشام في سيرته عن الرسول عليه السلام أنه قال: ((كنت ذات يوم ألعب مع الصبيان، فجاءني رجلان، ومع أحدهما طست(1) مملوءة ماء فأضجعني أحدهما، ثم شقَّ بطني فأخرج منه علقة ثم غسله بذلك الماء، ثم قال لصاحبه: زنه بعشرةٍ من أمته فوزنه فرجح، ثم قال: زنه بمائة منهم فوزنه فرجح، ثم قال: زنه بألف فوزنه فرجح، فقال: لو وزن بجميع أمته لرجح))(2).

(ولقد كنت أتَّبعه اتّباع الفصيل أثر أمه): لا أفارقه في أي مكان يكون فيه.

(يرفع لي كل يوم علماً(3)): جديداً من الحكم الأدبية، والآداب النبوية.

(ويأمرني بالاقتداء به): بالمتابعة له في أقواله وأفعاله؛ لما فيها من الحكمة والصواب، ومنافع الدين والدنيا.

---

(1) في (ب): طشت. قلت: وقد حكي بهما جميعاً أي طست بالسين المهملة، وطشت بالشين المعجمة.

(2) وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد 13/205-206، وسيرة ابن هشام 1/166-167 تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

(3) في شرح النهج: يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً.

(ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء): اختلف العلماء في حاله عليه السلام قبل النبوة، فقيل: كان متابعاً لغيره من الأنبياء، وقيل: لم يكن متابعاً لأحد منهم، ثم اختلف القائلون بالمتابعة، فبعضهم نسبه إلى نوح، وبعضهم إلى إبراهيم، وبعضهم إلى موسى، وبعضهم إلى عيسى إلى غير ذلك من الاختلاف(1) والتفرق في الأقاويل، وبعضهم يذهب إلى أن الجهل بحاله هو أبلغ معجز في حقه، فكان عليه السلام يحب الخلوات ويكره الأصنام وعبادتها، وكان يخلو بنفسه في حراء أياماً، وحراء: جبل قريب من مكة، وما أتاه الوحي إلا فيه، ولا بدئ بالرسالة إلا في أوقات هذه الخلوة، والله أعلم أي حال كان يفعل، وأي قول كان يقوله، فأما العلم بالله تعالى وانشراح صدره بالصانع وصفاته، والاعتراف بنبوة الأنبياء، والتصديق بهم، فهو عالم بهذا لامحالة، ولكن يبقالكلام هل كان متعبداً بشيء من الشرائع قبل النبوة أم لا، فالله أعلم بحاله في ذلك(2)

---

(1) في (ب): الاختلافات.

(2) وهنا نذكر قول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في ذلك من مجموع رسائله ص456 في جوابه على مسائل سأله عنها إبراهيم بن المحسن العلوي رحمة الله عليه ونص السؤال فيه: وسألته صلوات الله عليه عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كان عمله قبل أن يتنبأ، وهل كان على شريعة عيسى صلى الله عليه أم لا؟

_ ... _[الجواب]" فقال –أي الهادي عليه السلام: سألت عن أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما كان على ما كان عليه الأنبياء من قبله منذ خلق الله آدم إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من الإقرار بالله والتوحيد له، والتعظيم والإجلال والمعرفة به وبعدله، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه خالق كل شيء سبحانه وتعالى، وكان مقراً بالأنبياء كلهم، غير جاحد لنبوتهم، وكان صلى الله عليه وآله وسلم ينظر ما يأتي به أهل الكتاب من عظيم محالهم وقبيح فعالهم الذي ذكره الله سبحانه عنهم وذمهم عليه، فكان ينكر فعلهم، ويذم جرأتهم على ربهم، ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ التوراة ولا الإنجيل، ولا يحسن ترجمتهما، وكان يعيب أفعال الذين يقرأونهما لما يأتون به من الأمر الذي لا يرضاه الله ويستنكره عقله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن معهم في شريعتهم، وكان في أصل المعرفة بالله كمعرفة عيسىعليه السلام، مقراً عالماً بأن كل ما جاء به موسى وعيسى حق صلى الله عليهم جميعاً. انتهى.

(1555/4)

.

(فأراه ولا يراه غيري): لاختصاصي وكرامة لي من الله وتشريفاً لي من جهته بمشاهدتي لذلك وانشراح صدري به، فلم يزل على هذه الحالة حتى أتاه الله بالوحي، ونزل عليه جبريل بصدر سورة إقرأ، وأعطاه الله النبوة، ورفع له الشأن العظيم(1).

(ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام): يريد أنه لا قائل بالتوحيد لله تعالى في ذلك(2) من أهل الدنيا:

---

(1) وقال العلامة شارح النهج رحمه الله 13/208-209 ما لفظه: وأما حديث مجاورته عليه الصلاة والسلام بحراء فمشهور، وقد ورد في الكتب الصحاح أنه كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاء من المساكين، فإذا قضى جواره من حراء كان أول ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرسالة، فجاور في حراء شهر

رمضان ومعه أهله: خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبريل بالرسالة، وقال عليه الصلاة والسلام: ((جاءني وأنا نائم بنمط فيه كتاب، فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ، فغتني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}...إلى قوله: {علم الإنسان ما لم يعلم} فقرأته، ثم انصرف عني، فانتبهت من نومي، وكأنما كتب في قلبي كتاب)) انتهى. وانظر سيرة ابن هشام1/236-237 تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

(2) كتب في (ب) فوق قوله: في ذلك، كلمة: الوقت، أي في ذلك الوقت، وظنن على ذلك بقوله: ظ.

(1556/4)

(غير رسول الله [صلى الله عليه وآله](1) وخديجة وأنا ثالثهما)(2): إلا رسول الله [صلى الله عليه](3) لما شرح الله به صدره، وأمير المؤمنين؛ لأن الرسول تنبئ يوم الإثنين، وكان إسلامه(4) يوم الثلاثاء، ثم خديجة بنت خويلد، وكانت تحت الرسول عليه السلام ذلك اليوم، ثم تتابع الناس بعد ذلك فكان بعدها ولاء إسلاماً زيد بن حارثة، ثم أبو بكر(5)

---

(1) زيادة في شرح النهج.

(2) قال العلامة شارح النهج في المصدر السابق 209/13 ما لفظه: وأما حديث أن الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد إلا النبي وهو عليهما السلام وخديجة، فخبر عفيف الكندي مشهور، وقد ذكرناه من قبل، وأن أبا طالب قال له: أتدري من هذا؟ قال: لا، قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وهذا ابني علي بن أبي طالب، وهذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد، زوجة محمد ابن أخي، وايم الله ما أعلم على الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. انتهى.

(3) زيادة في (ب).

(4) أي إسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد سبق تخريج حديث إسلامه، وللمزيد في ذلك انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 224/13-230، حيث بسط القول في ذلك وأورد عدداً من الروايات الصحيحة والمشهورة التي تحكي جميعها أن أول الناس إسلاماً بعد النبيصلى الله عليه وآله وسلم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وانظر المصابيح لأبي العباس الحسني ص149.146.

(5) ويذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج 224/13، عن أبي جعفر الإسكافي في كتابه (نقض العثمانية) يذكر فيه عن جمهور المحدثين، أن الخليفة أبا بكر لم يسلم إلا بعد عدة من الرجال، منهم

علي بن أبي طالب وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة، وأبو ذر الغفاري، وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وخباب بن الأرت.

، ثم عمر(1)، ثم طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن وقاص(2)، ثم أبو عبيدة بن الجراح، ثم دخل الناس في دين الله أفوجاً(3).
(أرى نور الوحي(4)): يريد إذا نزل جبريل به من السماء.

---

(1) أقول: هذا مشكل، لأن المعلوم من حال الخليفة عمر بن الخطاب أنه لم يسلم إلا بعد من عددهم المؤلف هنا بمدة، في قصة مشهورة، ويعضد هذا رواية ابن هشام في السيرة النبوية، وابن أبي الحديد في شرح النهج في ذكر الذين سبقوا الناس إلى الإسلام، حيث يذكرونهم على الترتيب هكذا: خديجة بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، ثم زيد بن حارثة، ثم أبو بكر بن أبي قحافة، ثم عثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، ثم أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأرقم بن أبي أرقم.
والملاحظ أن المؤلف في روايته هنا لم يذكر إسلام عثمان في حين يذكر ابن هشام، وابن أبي الحديد إسلامه بعد إسلام أبي بكر، وما من شك أن هذا غير خافي على المؤلف عليه السلام، فالذي يترجح عندي أنه قد وقع في النسخ تحريف من النساخ في قوله: ثم عمر، وأن المقصود به هو عثمان، وكتبت هكذا: ثم عثمن، كما هو المشهور من كتابة ذلك في كثير من النسخ، فوهم وسها النساخ فحرفت إلى القول: ثم عمر، ومما يؤكد أن ذلك غير خافي على المؤلف، أن بعض من ترجم له يذكر في أثناء ترجمته مقروءاته، فيذكر في تعداد ذلك: سيرة ابن هشام، وهذا ظاهر، والله أعلم.
(2) سعد بن وقاص، هكذا ورد في النسختين، والصواب: سعد بن أبي وقاص.
(3) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 52/14-53، وسيرة ابن هشام 160/1-167، والرواية فيهما هي عن ابن إسحاق، صاحب المغازي.
(4) في (ب) وفي شرح النهج: أرى نور الوحي والرسالة.

(وأشم ريح النبوة): بمخالطتي للرسول ومجالستي له ومفاكهتي بحديثه.

(ولقد سمعت رنَّة الشيطان): الرَّنَّةُ: صوت، وعن بعضهم في وصف روضة: أطيارها مُرِنَّة، وأشجارها مُغِنَّة.

(حين نزل الوحي(1)): على الرسول وأتى به جبريل.

(فقلت: يارسول الله، ما هذه الرّنَّة): التي سمعتها وأنكرتها.

(فقال: ((هذا الشيطان قد أيس من عبادته))): أراد أنها رنَّة توجّع وتحزّن عن الأياس عن أن يكون معبوداً.

سؤال؛ كيف قال ها هنا: إن الشيطان قد أيس من عبادته، وليس الشيطان هو المعبود، وإنما المعبود هي الأوثان والأصنام، وغيرها من سائر الجمادات؟

وجوابه؛ هو أن الشيطان لما كان هو الأصل في عبادتها بالدعاء إلى ذلك، والتزيين له بحليتها في أعينهم، وتغريرهم بها، وإغوائهم إلى عبادتها صار كأنه هو المعبود، وقد صرَّح الله بذلك في كتابه الكريم في كونه هو المعبود، كما حكى في قصة إبراهيم لأبيه آزر: {يَاأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ}[مريم:44]، وقال في آية أخرى: و{لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ}[يس:60] فسماه الله معبوداً لما كان داعياً إلى عبادتها، وفي هذا من الإيقاظ والتنبيه على أن من دعا إلى بدعة وأحياها وحث عليها فهو بمنزلة المبدع لها والفاعل لأصلها ما لا يخفى حاله على ذي فطنة.

(((إنك تسمع ما أسمع))): حيث سمع الرنة من جهة الشيطان.

(((وترى ما أرى))): من نور الوحي.

---

(1) في شرح النهج: حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله.

(1559/4)

(((إلا أنك لست بنبي(1)))): لأن الرسالة مختومة بي فلا نبي بعدي.

(ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملأ من قريش): الأشراف والرءوساء منهم.

(فقالوا له: يا محمد، إنك قد ادعيت أمراً عظيماً): عظم في أذهانهم لما فيه من مخالفة الآباء من إزالة هذه الأوثان، وخلع هذه الأصنام من بين أيديهم والكف عن عبادتها، وإسناد الإلهية إلى الله تعالى وحده لا إله معه، لما دلَّ عليه العقل وقامت عليه البراهين النيرة، فمن أجل هذا استعظموه.

---

(1) بعده في شرح النهج: ((ولكنك الوزير، وإنك لعلي خير)) والحديث هو في شرح النهج 197/13، وقال ابن أبي الحديد 209/13 ما لفظه: وأما رنة الشيطان، فروى أبو عبد الله أحمد بن

حنبل في مسنده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي أسري به فيها، وهو بالحجر يصلي، فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي، سمعت رنة شديدة فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟ قال: ((ألا تعلم هذه رنة الشيطان، علم أني أسري بي الليلة إلى السماء فأيس من أن يعبد في هذه الأرض))).

إلى أن قال: وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له صلى الله عليه وآله: ((لولا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لا تكن نبياً، فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء))، وذكر هذين الحديثين العلامة يحيى بن إبراهيم جحاف رحمه الله في كتابه (إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين) 509.508/2.

(1560/4)

(لم تدَّعه(1) آباؤك): لأنهم كانوا مستمرين على عبادة الأوثان، وهم أهل الرئاسة في مكة: هاشم ثم عبد المطلب، ثم أبو طالب، فهؤلاء كلهم سادوا الناس بمكة، وهم عاكفون على عبادة الأوثان، داعون إليها بالجد والاجتهاد(2).

(1) في شرح النهج: لم يدِّعه.

(2) أقول وبالله التوفيق: وقد ورد الخبر الدال على كون آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا على دين النبي إبراهيمعليه السلام، ومن ذلك ما أخرجه أبو العباس الحسني رحمه الله في المصابيح في السيرة ص170 برقم (54) قال: أخبرنا محمد بن جعفر بإسناده عن جعفر بن محمد قال: قال عليعليه السلام: (ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط، قيل: وما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم الخليل متمسكين به). كما أخرج أبو العباس أيضاً في المصدر المذكور ص169 برقم (53) حديثاً في جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد المطلب بن هاشم ينفي عنه عبادة الأصنام فقال ما لفظه: أخبرنا محمد بن جعفر القردائي بإسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يبعث عبد المطلب يوم القيامة أمة واحده، قال: وكان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ويقول: أنا على دين إبراهيمعليه السلام))، وأخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص488 برقم (653) عن أبي العباس الحسني رحمه الله تعالى قال: أخبرنا محمد بن جعفر القردائي، قال حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن جعفر بن

محمد، عن أبيه، عن جده " قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر الحديث السابق بلفظه.

(1561/4)

(ولا أحد من(1) بيتك): لأحد من بني هاشم، ولا أحد من بني عبد المطلب، فهؤلاء هم بيت الرسول عليه السلام، والملتصقون به بالقُعدد(2).

(ونحن نسألك أمراً): نمتحنك بامتحان، ونستعجزك بشيء من المعجزات.

(إن(3) أجبتنا إليه): بأنك تفعله لنا، ويفعله الله تعالى(4) لك تصديقاً لما أنت فيه.

(وأريتناه): عياناً ومشاهدة لا شك فيه.

(علمنا أنك نبي): رفع الله درجتك علينا، وأعطاك مالم يعطنا.

(ورسول): إلينا من جهة الله بما أرسلك من الشرائع، وإزالة الأصنام هذه.

(وإن لم تفعل): ما اقترحنا عليك فعله مما نقوله لك.

(علمنا): تحققنا وقطعنا.

(أنك ساحر): بيِّن السحر فيما جئت به من غير هذه المعجزة.

(كذاب): على الله في زعمك أنه أرسلك.

(فقال لهم رسول الله(5)): لما سمع مقالتهم وأنهم ما طلبوافيها شططا، حملاً لهم على كاهل السلامة، وإبلاغاً للحجة عليهم وقطعاً لمعذرتهم.

(((وما تسألون))): ما مطلوبكم من المعجزات التي تريدون حصولها من جهة الله تعالى.

(قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة): تناديها بصوتك فتجيبك.

(حتى تنقلع بعروقها): الراسخة في الأرض.

(وتقف بين يديك): على جهة الطاعة لأمرك، والانقياد لمرادك.

(فقال صلى الله عليه وآله: ((إن الله على كل شيء قدير))): يريد أن الذي طلبتموه سهل عند الله؛ لأن قادريته لا يعجزها شيء، وهو قادر على كل الممكنات، لكني أشرط عليكم شرطاً:

---

(1) في نسخة: ولا أحد من أهل بيتك (هامش في ب).

(2) في أساس البلاغة ص 372 مالفظه: وهو أقعد منه نسباً: أقرب منه إلى الأب الأكبر، وهو قُعُدد، وورثته بالقعدد صفة للنسب. انتهى.

(3) في شرح النهج: إن أنت أجبتنا إليه.

(4) تعالى، زيادة في (ب).

(5) في شرح النهج: فقال صلى الله عليه وآله.

(((فإن فعل الله ذلك لكم(1)))): وشاهدتموه معاينة مطابقة لأغراضكم، وإبلاغاً للحجة عليكم.

(((أتؤمنون))): بي وتصدقونني في كل ما جئت به إليكم.

(((وتشهدون بالحق!))): من عبادة الله وحده، وإزالة هذه الأوثان والأصنام من بين أيديكم.

(قالوا: نعم): إقراراً على أنفسهم بالحجة.

(قال: ((فإني سأريكم ما تطلبون))): من ذلك بإذن الله.

(((وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير))): لا ترجعون إليه، وأنكم تصرون على ما أنتم عليه من التكذيب، وهؤلاء الذين اقترحوا إتيان هذه الشجرة(2) هم: الأسنان من(3) قريش، وأهل الحنكة منهم.

(((وأن منكم(4) من يطرح في القليب))): القليب هي: البئر قبل أن تطوى، وهي بئر كانت في بدر من آبار الجاهلية طرح فيها القتلى من قريش، كالوليد بن عتبة، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف، وأبو جهل بن هشام، فهؤلاء وغيرهم من قريش سحبوا لما قتلوا إلى القليب، وناداهم الرسول بندائه المشهور(5).

---

(1) في شرح النهج: فإن فعل الله لكم ذلك.

(2) في (ب): إتيان الشجرة هذه.

(3) في (ب): في.

(4) في شرح النهج: فيكم.

(5) وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام)) فعدَّد من كان منهم في القليب: ((هل وجدتم وعد ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً))، فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد جيفوا، قال: ((ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني)) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية280/2 عن ابن إسحاق قال: حدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك فذكره.

(((ومن يحزِّب الأحزاب))): يعني أبا سفيان بن حرب فإنه كان رئيساً للأحزاب، قريشاً وأحابيشها، وكانوا يومئذ عشرة الآف، نزلوا بمجتمع الأسيال، فأهلكهم الله بالصَّبا(1).

(ثم قال عليه السلام)(2): مخاطباً للشجرة، إتياناً بما اقترحوه من ذلك لهم.

(((ياأيتها الشجرة))): التي عرفوها وعلموا مكانها وأمرها.

(((إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر))): تصدقين بالإلهية والوحدانية له، وتقرين بأن الله يجمع الخلائق ليوم لا ريب فيه.

(((وتعلمين أني رسول الله))): وتتحققين أني مرسل من عند الله تعالى إلى الخلق، بما أمرني بإبلاغه إليهم.

(((فانقلعي بعروقك))): الراسخة في الأرض.

(((حتى تقفي بين يدي))): خاضعة مستكينة لما أمرت به.

(((بإذن الله))(3)): إما استماعاً لأمر الله إذا أمرك، وإما بعلم من جهته إذا(4) أعلمك بذلك.

---

(1) انظر سيرة ابن هشام 3/130-144 تحقيق عمر محمد بعد الخالق، والصَّبا: ريح ومهبها المستوى، أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. (مختار الصحاح ص356).

(2) في شرح النهج: ثم قال صلى الله عليه وآله.

(3) حديث أمر الشجرة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرجه الإمام أبو العباس الحسني في المصابيح في السيرة ص141، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 13/214 ما لفظه: وأما أمر الشجرة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فالحديث الوارد فيها كثير مستفيض، قد ذكره المحدثون في كتبهم، وذكره المتكلمون في معجزات الرسول صلى الله عليه وآله، والأكثرون رووا الخبر فيها على الوضع الذي جاء في خطبة أمير المؤمنين، ومنهم من يروي ذلك مختصراً أنه دعا شجرة فأقبلت تخدُّ إليه الأرض خدًّا. انتهى. ثم أورد حديث الشجرة من دلائل النبوة للبيهقي.

(4) في (ب): إذ.

(1564/4)

سؤال؛ كيف خاطب الشجرة مخاطبة العقلاء، ولا عقل هناك؟

وجوابه؛ هو أن خطاب العقلاء بالأمر إنما هو على جهة فهمه، والإيتان بالمأمور على الوجه الذي أمربه، فأما أمر الجمادات فإنما يكون على جهة الوقوف على حسب الداعية والإرداة، فمتى أراد وجودها، ودعاه الداعي وجب لا محالة، ومتى لم يردها لم توجد أبداً فهذا وجه أمرها، وكونها ممتثلة للأمر.

(فوالذي بعثه بالحق): قسم ببعض صفات الله تعالى التي لا يختص بها غيره، وهي بعثة الأنبياء، وإنما ذكره ها هنا تشريفاً لمكان الرسول ورفعاً لمنزلته.

(لا نقلعت بعروقها): إذا كان جواب القسم بالفعل الماضي فتارة يكون باللام وقد، كقولك: والله لقد جاء زيد، وقد يأتي بغير اللام كقوله: {قَدْ أَفْلَحَ}، وقد يأتي باللام من دون قد، كما قال ها هنا: لانقلعت، قال امرؤ القيس:

حلفت بالله حلفة فاجر لناموا

فما إن من حديث ولا صالي(1)

(وجاءت): إلى الرسول عليه السلام: كما أمرها من غير مخالفة لأمره.

(ولها دوي شديد): الدويُّ هو: الصوت العظيم.

(وقصيف كقصيف(2) أجنحة الطير): والقصيف: الصوت الهائل، يقال: رعد قاصف إذا كان شديد الصوت، وريح قاصف أيضاً كأنها تقصف ما قابلها(3) أي تكسره، وهذه الجملة ابتدائية في موضع نصب على الحال من الضمير في جاءت.

(حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرفرفة): أراد أن أوراق أغصانها متدلية على الرسول، مضطربة من الريح، يقال: رفرف الطائر بجناحيه إذا حركهما للوقوع.

---

(1) لسان العرب 696/1.

(2) في شرح النهج: وقصف كقصف.

(3) في (ب): ما قابلهما.

(1565/4)

(وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله[صلى الله عليه وآله](1)): أراد الأعظم من أغصانها وضعته عليه، متدلية شجونة(2) ومتهدلة أوراقه عليه.

(وببعض أغصانها على منكبي): المنكب هو: ملتقى الكتفين من الإنسان، وإنما قال: بغصنها فأفرده في حق الرسول، وببعض أغصانها فجمعه في حقه لأنه أوسطها ربما كان غصناً عظيماً هو أعظمها، فلهذا ألقته على الرسول وسائر أغصانها القليلة وضعتها على منكب أمير المؤمنين يريد أطرافها.

سؤال؛ أراه قال: ((أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أني رسول الله)) فذكر

هذه الأمور الثلاثة من بين سائر علوم الدين التي يجب على الإنسان الإقرار بها، والتصديق، كصفات الله تعالى، ومعرفة حال الثواب والعقاب، والإقرار بسائر الأنبياء، فلم خص هذه الأمور الثلاثة من بين سائر العلوم الدينية؟

وجوابه؛ هو إنَّما خصَّ هذه الأشياء الثلاثة تعريضاً بحال هؤلاء الكفرة في كونهم منكرين لها غاية الإنكار بإثبات الشركاء لله، ونفي الوحدانية، وإنكار اليوم الآخر، وهو غايتهم وهجيراهم، ثم إنكار النبوة أيضاً، وهو الذي عليه تعويلهم في هذه الحالة، فلا جَرَمَ خصَّ هذه الأمور الثلاثة مبالغة في أنه لا بد لكل أحد من التصديق بها، وتنبيهاً على أنها هي التي وقع فيها معظم خلاف الملل الكفرية من المشركين وغيرهم، وتعريضاً بحال هؤلاء الكفرة في إنكارها، فأراد أن خلاصة هذه المعجزات من جهة لا تكون إلا بعد الإقرار بها.

---

(1) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) الشِّجنة بكسر الشين وضمها: عروق الشجر المشتبكة. (مختار الصحاح ص330).

(1566/4)

(وكنت عن يمينه [صلى الله عليه وآله](1)): أشاهد هذه المعجزة، وأنظر كُنْه حالها، وعجيب دلالتها على تصديقه وتقرير نبوته.

(فلما نظر القوم إلى ذلك): نظر إعجاب بما رأوا وتفكر حيرة من لطيف صنع الله تعالى.

(قالوا علواً): عن الاعتراف بالنبوة، وتمادياً في ضلال الكفر والجحود.

(واستكباراً): عن قبول الحق وأنفة منه، وعلى جهة التعنت، ومساعدة الأهواء.

(فمرها فليأتك نصفها): تنقسم نصفين فيأتي نصفها.

(ويبقى نصفها): في مكانه وعلى(2) ما كان مستقراً ثابتاً.

(فأمرها): بذلك إبلاغاً للحجة وقطعاً للمعذرة ومساعدة لهم فيما اقترحوه من هذه الآية.

(فأقبل إليه نصفها): متصاغراً لأمر الله، وممتثلاً لما أراده.

(كأعجب إقبال(3) وأشده): في الحضور والوجود، والكاف هذه متعلقة بمحذوف، إما في موضع الحال، وإما أن يكون نعتاً لمصدر محذوف، أي إقبالاً كأعجب ما يكون من الإقبالات.

(دوياً): تخرُّ مصوِّتة(4) بصوت عظيم إجابة للأمر، ومسارعة في مطابقة المراد.

(فكادت تلتف برسول الله[صلى الله عليه وآله] (5)): تشتمل عليه من عن يمينه وشماله.

(فقالوا كفراً): إغراقاً(6) في الكفر وإسراعاً فيه.

(وعتواً):قصد المكابرة ورد الحق بعد ظهوره.

(فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان): فتكون الشجرة على حالتها الأولى من غير مخالفة في حالها.

(فأمره رسول الله [صلى الله عليه وآله] (7) فرجع): فاستمرت حالة الشجرة كما كانت من قبل.

---

(1) زيادة في شرح النهج.

(2) في (ب): على، بدون واو.

(3) في (ب) وفي نسخة أخرى: الإقبال.

(4) مصوتة، سقط من (ب).

(5) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(6) في (ب) وفي نسخة أخرى: اغتراقاً.

(7) زيادة في (ب) و في شرح النهج.

(1567/4)

واعلم: أنهم ما كان مرادهم بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج، كما قال تعالى: {وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا}(1)[الأنعام:25] وقوله تعالى: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ}[الحجر:14] وقوله تعالى: {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ}[الأنعام:7] إلى غير ذلك من الآيات، ولهذا قال عبد الله بن أمية لرسول الله صلى الله عليه وآله: لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلماً، ثم ترقى فيه، وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصكٍّ منشور، معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول(2).

(فقلت أنا): لما رأيت ما هالني من هذه المعجزة.

(لا إله إلا الله): شهادة له بالوحدانية، ولو كان معه إله غيره لم يكن الأمر هكذا.

(أنا(3) أول مؤمن بك يارسول الله): لما ظهر من المعجزة الباهرة على صدق نبوتك.

(وأول من أقرّ بأن الشجرة فعلت ما فعلت): من الامتثال لأمر الله في مجيئها وذهابها، وانقسامها بنصفين، إلى غير ذلك من أحوالها العجيبة التي شاهدت.

(بأمر الله تعالى(4)): لا بسحر من جهة أحد، ولا بعمل من جهة الشياطين والكهّان؛ لأن مثل هذا لا يمكنهم فعله على هذه الحالة، مع أنه لم يحضر واحد منهم.

---

(1) وردت الآية القرآنية الشريفة في النسختين هكذا: {ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنوا بها}، وهو سهو من النساخ، والصواب كما أثبته من القرآن الكريم، إلا أن يكون المراد قوله تعالى في سورة يونس

الآية:97، فلفظها هكذا: {ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم}.
(2) الكشاف 649/2، والرواية عن عبد الله بن عباس.
(3) في شرح النهج: إني.
(4) تعالى، زيادة في شرح النهج.

(1568/4)

(تصديقاً لنبوتك(1)): من جهة الله تعالى.
(وإجلالاً لكلمتك): عن المخالفة والرد.
(فقال القوم كلهم): لما رأوا ما رأوا من ذلك، وبهرهم(2) الحال وأعجزهم ذلك، وما وجدوا وجهاً في ردّه وإبطاله.
(بل): إضراب عمَّا تضمنه الكلام، والتقدير فيه: ليس بنبي بل:
(ساحر): من جملة السحرة.
(كذاب): على الله في دعوى الرسالة من جهته له.
(عجيب السحر): دقيق السحر داخل في الإعجاب كل مدخل، أو يعجب من رآه وسمعه.
(خفيف فيه): قد صار ماهراً، فيده خفيفة في ذلك.
(وهل يصدقك في أمرك): هذا الذي ادَّعيته وهو النبوة من عند الله تعالى(3).
(إلا مثل هذا يعنونني(4)): يشيرون بذلك إلى ضعف عقله حيث كان صغيراً في تلك الحالة، أويريدون من كان من أهلك لا يحب جري النقص عليك في التكذيب.
(وإني لمن قوم لاتأخذهم في الله لومة لائم): يشير بذلك إلى كونه من أفاضل الصحابة، وأعظمهم حالاً وأشرفهم منزلة، وأخوفهم بالله(5)، وأعرفهم بحقه.
(سيماهم سيما الصديقين): علامتهم علامة الصدق والوفاء.
(وكلامهم كلام الأبرار): لا ينطقون إلا فيما يكون صلاحاً في الدين والدنيا كما يفعله أهل الصلاح والبر.
(عُمَّارالليل): بالركوع والسجود، والتلاوة وأنواع الخضوعات والتذللات.
(ومنار النهار): يستضيء بهم الخلق في نهارهم عن الشُّبه، ويهتدون بهم عن ظلمات الجهل.

---

(1) في شرح النهج: بنبوتك.
(2) في (ب): وقهرهم.
(3) تعالى، زيادة في (ب).

(4) بعده في المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني رحمه الله ص141: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((حسبي به ولياً وصاحباً ووزيراً، قد أنبأتكم أنكم لا تؤمنون، والذي نفس محمد بيده، لقد علمتم أني لست بساحر)).

(5) كتب فوقها في (ب) علامة تظنين فقال: ظ: لله.

(1569/4)

(متمسكون بحبل القرآن): لا يخالفون أحكامه في تحليل ولا تحريم، ويطابقونه في جميع أحواله.

(يحيون سنن الله): يظهرونها، ويحثون الخلق على فعلها.

(وسنن رسوله): وما كان من جهة الرسول من السنن.

واعلم: أن أحكام الشريعة التي فرضها الله تعالى، وأنزلها على الخلق منقسمة إلى ما يكون واجباً، وتعريف وجوبه من جهة الله في كتابه، وهكذا القول في التحريم والندب، يكون طريقه من جهة الكتاب، وربما كانت هذه الأحكام من جهة السنة على لسان الرسول عليه السلام، فالكتاب حاكم على السنة، والسنة حاكمة على الكتاب، وكله موكول إلى لسان الرسول عليه السلام، فلهذا قال: (سنن الله)، يريد ما كان معلوماً من جهة الكتاب، (وسنن رسوله)، يريد ما كان معلوماً من جهة السنة كماقررناه.

(لا يستكبرون): عن أخذ الحق وإعطاءه من جهة أنفسهم.

(ولا يعلون): بالعين المهملة أي لا يترفعون على أحد، وبالغين المنقوطة أي لا يصيبهم غلو فيما هم فيه؛ لأن الغلو هو: إفراط عن الحق وتجاوز له.

(ولا يفسدون(1)): بما يعرض من الفسادات كالحسد والبغض وغير ذلك من الخصال المفسدة للقلوب، ولا يفسدون في الأرض بالبغي والقتل والقتال، وإهلاك الحرث والنسل.

(قلوبهم في الجنان): ترتاح بذكر الله، وتشتاق إلى ثوابه، وعظيم ما أعدَّ لأوليائه.

(وأجسادهم في العمل): دائبة في عمل الطاعات، وأنواع العبادات كلها.

وليس يخفى على من له أدنى فطانة ما اشتملت عليه هذه الخطبة من الأنواع الوعظية، وتعليم الحكم الدينية، والإشارة إلى تعريف الآداب الدنيوية بحيث لا يوجد مجتمعاً في كتاب، ولا يحيط به ويستولي على أسراره رمز ولا خطاب.

---

(1) في شرح النهج: ولا يعلون ولا يَغُلّون ولا يفسدون.

(1570/4)

(225) ومن كلامه(1) عليه السلام لعبد الله بن العباس

وقد جاءه برسالة من عثمان بن عفان، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع، ليقل هتف الناس باسمه للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل:

ينبع هذه: قرية من قرى الحجاز على ثمان مراحل من مكة، وعلى ثلاث مراحل من المدينة ، والحصر هو: المنع.

واعلم: أنا قد ذكرنا من قبل عند عروض ذكر عثمان طرفاً مما طعن الناس عليه في خلافته في مواضع متفرقة من الكتاب ، ونزهنا أمير المؤمنين عن الرضا بقتله، ولهذا لعن قاتليه، وأنهم لما قالوا له: قتلوه قال:

(تباً لهم آخر الدهر) ولم يتصد(2) لقتله وحصره إلا أسافل الخلق وأراذلهم. وما أقدم على قتله إلا نفسان أو ثلاثة من الغوغاء، والأوباش، والموالي، وقد كان حصروه في داره ومنعوه عن الشراب والطعام، فأراد الاستعانة بأمير المؤمنين ليخرج إلى ينبع ليسكن الدهماء، ويقلَّ كلام الناس عليه وطعنهم عليه في الخلافة، وقد كان قبل ذلك سأل أمير المؤمنين مثل ذلك ولم يَجِدْ(3) عليه فيه.

فقال أمير المؤمنين:

(يا ابن عباس(4)، ما يريد عثمان): في مقالته هذه لي، وهو أن يسألني أن أحول بينه وبين الناس، ثم أمرني بترك ذلك.

(أن يجعلني الا جملا ناضحاً بالغرب): الناضح: هو البعير الذي يسنى به، والغرب هو: الدلو العظيمة.

(أقْبِلْ وأَدْبِرْ): أراد أقبل عن رأيه وأدبر عن رأيه، ما أملك من التصرف في نفسي شيئاً.

---

(1) في (ب): ومن كلام له.

(2) وردت في النسخ: يتصدى بإثبات الألف اليائي في آخره مع دخول حرف الجزم، وهو خطأ، والصحيح يتصد بحذف حرف العلة في آخره، كما أثبته.

(3) أي يغضب عليه.

(4) قوله: يا ابن عباس، زيادة في شرح النهج.

(بعث إليَّ أن أخرج): إلى ينبع لإصلاح الحال في ذلك.
(ثم): لما خرجت من أجل ذلك.
(بعث إليَّ أن أقدم): واترك الخروج.
(ثم هو الآن يبعث إليَّ أن أخرج!): كلام من لايملك رأيه، ولا يثبت(1) في أمره، ولا يدري ما يورد ويصدر من الأمور كلها.
(والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً): أراد أنه جادل عنه غاية المجادلة، وخشية الإثم التي ذكرها أمير المؤمنين إنما هو من جهة أن الناس نقموا عليه مظالم أخذها عليهم فدافع عنه حتى خشي أن يكون دفاعه منعاً للناس عن أخذ مظالمهم منه، فلهذا قال: خشيت أن أكون آثماً، يريد من هذه الجهة.
واعلم: أن إهراق دمه لاشك في كونه خطأ، ويدل على خطأهم في قتله، أوجه ثلاثة.
أما أولاً: فلأن ما عرض من هذه الحوداث إنما توجب عزله ولا توجب قتله، فإقدامهم على قتله يكون خطأً لا محالة.
وأما ثانياً: فلأنه لو قدَّرنا وجوب القتل عليه، فلأي شيء كان منعه من الطعام والشراب في داره وحصره.
وأما ثالثاً: فلأنه لو استحق القتل، فالمتولي لذلك لا يكون هم سفلة الناس وأوباشهم، وإنما يكون من جهة أهل الدين والمسلمين إذا رأوا لذلك(2) صلاحاً، فبان أن قتله خطأ لا محالة.

(226) ومن كلام له عليه السلام يحث فيه أصحابه على الجهاد
(والله مستأديكم شكره): أي طالب منكم تأدية شكر أياديه ونعمه عليكم.
(ومورثكم أمره): يريد الأمر والنهي، والإيراد والإصدار، والحل والعقد، والتصرف في الناس بالحق، والسيرة فيهم بالمصلحة(3) العامة، والأمر الذي يرضيه، كما أشار إليه بقوله تعالى: {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ}[النمل:62].

---

(1) في (ب): ولا تثبّت.
(2) في (ب): في ذلك.
(3) في نسخة: بالمصالح (هامش في ب).

(وممهلكم في مضمار ممدود): الإمهال هو: التوقف والتلبث، والمضمار هي: المدة تجعل لسباق الخيل، والغرض بمدة تطويله، وغرضه المدة المضروبة في الدنيا.
(لتتنازعوا سبقه): السبق بالتحريك: ما يوضع بين أهل السباق من الأخطار، والتنازع هو: التخاصم، أي كل واحد يدعي أنه السابق فيأخذ السبق.
(فشدوا عقد المآزر): الغرض الجد والتشمير في أمر الجهاد، من جهة أن الواحد إذا أراد استنهاض أمر من الأمور(1)، شدَّ عُقْدَةَ إزاره كيلا ينحلَّ فيشغله عن المقصود.
(وأطروا(2) فضول الخواصر): أراد اقطعوا التنعم بالمآكل الطيبة والتلذذ بها، ولا يشغلكم عن الجهاد، والاطرار هاهنا: القطع، من قولهم: ضربه فأطرَّ يده أي قطعها، وهو بالطاء بنقطة من أسفلها.
(لا تجتمع عزيمة ووليمة): العزيمة هو: القطع وتوطين النفس على إمضاء الفعل، وترك التردد فيه، والوليمة: طعام العرس، والغرض من هذا هو أن الجد في الأمور والترفه والتنعم بالطيبات لا يجتمعان، فكنى بهذا الكلام عما ذكرناه.
(ما أنقض، النوم لعزائم اليوم!): أراد أن الإنسان إذا كان عازماً على أمر يفعله في الغد ثم نام واستراح في تلك الليلة، فإنه ينقض لا محالة النوم ما كان قد قطع على فعله في الغد، والغرض من هذا هو أن الراحة وتذكرها تفتر عن تحمل المشاق العظيمة.
(وأمحى الظُّلَمَ، لتذاكير الهمم!): يعني أن ظلمة الليل تدعو إلى النوم والاستراحة، وتمحو ما تذكره الهمم من تحمل المشاق في طلب معظمات الأمور وكفاية المهمات.

(227) ومن كلام له عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد الهجرة ويذكر لحاقه به

---

(1) قوله: من الأمور، سقط من (ب).
(2) في شرح النهج: واطووا.

(1573/4)

(فجعلت أتبع مأخذ رسول الله[صلى الله عليه وآله](1)): يريد أني خرجت من مكة أقتص أثره وأسلك طريقه التي سلكها.
(فأطأ ذكره): أراد بوطئ الذكر هو أنني(2) كنت أُغطِّي خبره وأعلم به من بدء خروجي من مكة إلى أن انتهيت إلى هذه الغاية، فكنى بقوله: (أطأ ذكره) عن هذا المعنى، وهو من لطيف الكناية وغريبها، وأبلغها في الفصاحة وعجيبها.
(حتى انتهيت إلى العرج): وهو قرية بين مكة والمدينة، وإليه ينسب الشاعر العرجي(3)، وهو من

أولاد عثمان بن عفان، والسبب في ذلك هو أن الرسول عليه السلام لما أذن الله له في الهجرة أمر أمير المؤمنين بالإقامة بعده لردِّ الودائع، وقضاء الديون التي عليه بعده، فلما فرغ من ذلك تبعه يقتصُّ أثره(4)، فكنى بهذه الكناية العجيبة عن ذلك.

---

(1) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) في (ب): أني.

(3) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، المتوفى نحو سنة 120هـ، شاعر غزل مطبوع، كان مشغوفاً باللهو والطرب، وكان من الأدباء الظرفاء، وهو صاحب البيت المشهور:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسداد ثغر

وله ديوان شعر مطبوع. (انظر الأعلام 109/4).

(4) قال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير في الروضة الندية ص36، عن ابن إسحاق ما لفظه: قال –أي ابن إسحاق–: وأقام علي رضي الله عنه بمكة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عنه صلى الله عليه وآله وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزل معه على كلثوم بن هدم ولم يقم بقبا إلا ليلة أو ليلتين. انتهى. (وانظر المصابيح في السيرة للإمام أبي العباس الحسني ص226–228، وشرح النهج لابن أبي الحديد 306.303/13).

(1574/4)

وزعم الشريف علي بن ناصر الحسيني أن مراده بقوله: (أطأ ذكره): أي أني أذكر ما وصاني(1) به من أني لا أسلك الجادة خوفاً من قريش(2)، وهذا من تعسفاته، فإن هذه الكناية لا تستعمل فيما ذكره، والأحق في معناها ما ذكرناه، والله أعلم.

(228) ومن خطبة له عليه السلام

(فاعملوا وأنتم في نَفَسِ البقاء): يريد سعة الحياة ومتنفسها، ومدة الآجال المضروبة.

(والصحف منشورة): لأن الإنسان ما دام حياً تكون صحيفة أعماله منشورة في يد الملك الموكل بها،

يكتب فيها كل مافعل وإذا مات طويت.

(والتوبة مبسوطة): لا يزال من لطف الله ورحمته على هذه الحالة حتى يغرغر بالموت ويزول الاختيار، فعندها ينسدُّ بابها، ويطوى بساطها.

(والمدبر يُدْعَى): والمتولي عن الله تعالى، وعن الإقبال إلى طاعته يدعى بالرجز والوعيد، والتخويف الشديد.

(والمسيء يرجى): له العودة(3) والإسراع إلى التوبة.

(قبل أن يجمد العمل): يروى بالجيم، وأراد بجمود العمل انقطاعه، وذهابه بالموت، كالماء إذا جمد فإنه ينقطع عن الجريان، ويروى بالخاء بنقطة(4)، وهو السكون من خمدت النار إذا سكن لهبها، والمعنى فيهما قريب.

(وينقطع المهل): المهل التؤدة والإرواد، وهوالاسم من الإمهال والاستمهال.

(وتنقضي المدة): مدة الأعمار المضروبة لها.

(ويُسَدُّ باب التوبة): بحضور أمارات الساعة، وزوال الاختيار بالإلجاء.

(وتصعد الملائكة): عن الكتابة والحفظ للأعمال، وتطوي الأعمال كلها.

---

(1) في أعلام النهج: أوصاني.

(2) أعلام النهج –خ–.

(3) في (ب): العود.

(4) أي يخمد، كما هو في شرح النهج.

(1575/4)

(فأخذ امرؤ من نفسه): هذا خبر في معنى الأمر، وأراد فليأخذ امرؤ من نفسه، أراد أنه إذا أخذ في طاعة الله تعالى ورضاه، ومنعها عن اتباع الشهوات واستيفاء اللذات في حياته فإنه يكون آخذاً من نفسه ما ينفعها في الآخرة.

(لنفسه): أي من أجل نفسه وهو تمهيد حالها عند الله تعالى، واستحقاق الثواب العظيم من جهة الله تعالى فيحصل له الفوز به.

(وأخذ من حي لميت): أراد وأخذ من حياته بالاجتهاد في الأعمال(1) الصالحة وهو حي لما يكون بعد الموت.

(ومن فاني(2)): أراد إما من(3) الدنيا فإنها فانية منقطعة، وإما مِمَّا في يده من الأموال فإنها فانية منقطعة.

(لباقي): أراد إما الآخرة فإنها باقية لا نهاية لها، وإما الثواب فإنه أيضاً لا انقطاع له.

(ومن ذاهب): ومما يذهب عن يديه ويزول بالموت، والتفرق والانقطاع.

(لدائم): وهي الآخرة أو الجنة.

(امرؤ خاف الله): أراد ليخف الله امرؤ.

(وهو معمَّر إلى أجله): يعني والعمر حاصل إلى الأجل الذي قدَّره الله تعالى وحتمه.

(ومنظور إلى عمله): لابد من عرضه على الله تعالى وتحققه وانتقاده، كما قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ}[الحاقة:18].

(امرؤ ألجم نفسه بلجامها): يعني ليلجم امرؤ نفسه بلجامها، وهو كناية عن زجرها بالوعيد وكفَّها بالتخويف.

(وزمَّها بزمامها): أخذاً لذلك من زمام البعير، وهو عبارة عن الخيط الذي تشد بها البُرَة(4) في أنف البعير.

(فأمسكها بلجامها): يريدقبضه إليه.

---

(1) في (ب): بالأعمال.

(2) في (ب): من فانٍ لباقٍ.

(3) من، سقط من (ب).

(4) الْبُرَةُ: حلقة في أنف البعير أو في لحمة أنفه. (القاموس المحيط ص1630).

(1576/4)

(عن معاصي الله): مناهيه التي نهى عنها، وقبحها من جهة العقل، وعلى لسان نبيه [صلى الله عليه وآله وسلم] (1).

(وقادها بزمامها): كما يقاد الجمل المخشوش بزمامه.

(إلى طاعة الله تعالى(2)):

سؤال؛ أراه جعل اللجام في حق المعاصي، وجعل الزمام في حق الطاعات، وكل واحد منهما يحتاج إلى إكراه النفس على فعل الطاعة، والكفُّ عن المعصية؟

وجوابه؛ هو أن اللجام لامحالة أملك لرأس الفرس من الزمام لرأس الجمل، فلهذا خصَّ المعاصي باللجام لما في النفوس من محبتها والتقحم عليها، وإيثار الشهوات العاجلة من أجلها، فلا بد من أن يكون في مقابلها زاجر قوي.

فأما الطاعات فانجذاب النفس إليها يكون بداعي الترغيب، فلهذا خصَّها بالزمام لكونها دون ذلك،

فالتكليف تارة يكفُّها عن التوثب(3) عن المعصية، وتارة يكون بإكراهها على عمل الطاعة.

(229) ومن خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين، وذم أهل الشام
(جفاة): يشير بذلك إلى قسوة قلوبهم وغلظتها وفظاظتها(4).
(طغام): أسافل الناس وأراذلهم، وأنشد المبرد:
إذا كان اللبيب كذا جهولاً

فما فضل اللبيب على الطغام

وهم أوغاد الناس.
(عبيد): ليس الغرض أنه جرى عليهم الرق، فإن المعلوم خلافه من حالهم، لكن العرب تكني عن شرار الناس بالعبيد إذ لا حسب لهم، ولا خُلُق يردهم عن اللؤم والقبيح.
(أقزام): جمع قَزَم بالتحريك، وهم: حثالة الناس، قال الشاعر:
وهم(5) إذا الخيل جالوا في كواثبها

---

(1) زيادة في (ب).
(2) تعالى، زيادة في (ب).
(3) ظنن فوقها في (ب): بقوله: ظ: الوثوب على.
(4) في النسخ: وفضاضتها، بالضاد المعجمة، وهو تحريف.
(5) في نسخة: قوم، (هامش في ب).

(1577/4)

فوارس الخيل لا ميل ولا قَزَمُ(1)

(جمعوا من كل أوب): أي من كل ناحية.
(وتلقطوا من كل شوب): أي من كل مكان ذي شوب، وأراد أنهم مشوبون في أنسابهم(2) لا يرجعون إلى حسب صميم(3).
(ممن ينبغي أن يفقَّه ويؤدَّب): يشير إلى جلافتهم فيحتاجون إلى الأدب، وإلى جهلهم بأحكام الله فيحتاجون إلى التفقه في دينه.

(ويعلِّم): الآداب الحسنة، أو معالم الدين إذ هو جاهل بها.

(ويدرَّب): يروى بالدال بنقطة من أسفلها، من الدربة بالشيء وهو اعتياده وتكريره مرة بعد مرة للحكمة، قال الشاعر:

وفي الحلم إدهان وفي العفو دربة

وفي الصدق(4) منجاة من الشر فا صدق

ويروى بالذال بنقطة من أعلاها، واشتقاقه من الذربة، وهي حدة اللسان، والأول أقوى.

(ويولَّى عليه): جعل هذا كناية عن نقصان عقله، كما يولَّى على الصبي والعبد والسفيه.

(ويؤخذ على يديه):كما يؤخذ على أيدي السفهاء عن عمل القبيح، لفقد تمييزهم وتوخيهم للمصالح .

(ليسوا من المهاجرين والأنصار): أهل التقوى والورع، والأحساب العالية، الذين علموا عن الله وفهموا عن رسوله، وفازوا بالخير كله، وأحرزوا الفلاح بحذافيره.

(ولا من(5) الذين تبوءوا الدار): توطَّنوا دار الإيمان والهجرة.

(والإيمان): واتخذوا الإيمان مباءة يسكنون فيها فلا يرتحلون عنها.

(ألا وإن القوم اختاروا): من الرجال في التحكيم.

---

(1) البيت هو لزياد بن منقذ (لسان العرب83/3)، وأورد البيت ابن أبي الحديد في شرح النهج 310/13، وقوله هنا: كواثبها، فيه: كتائبها.

(2) في نسخة: في آبائهم، (هامش في ب).

(3) صميم الشيء: خالصه.

(4) في (ب): وفي الصبر. والبيت هو لكعب بن زهير (انظر لسان العرب 962/1).

(5) من، زيادة في شرح النهج.

(1578/4)

(لأنفسهم): من أجل ما يتعلق بخاصتهم في ذلك.

(أقرب القوم مما يحبون): يعني أن أهل الشام معاوية وأصحابه اختاروا للتحكيم عمرو بن العاص، وهو يدير الحيلة لهم فيما يحبونه ويكون مصلحاً لحالهم.

(وإنكم اخترتم لأنفسكم): من أجل إصلاحها.

(أقرب(1) القوم مما تكرهون): يعني وأنتم اخترتم أبا موساالأشعري وليس هذا بسديد الرأي، لأن أبا

موسى شاكٌّ أو متهم في صلاح أحوالكم، ومن أجل هذا كان منه من الخدع والمكر في التحكيم ما كان.

(إنما(2) عهدكم بعبد الله بن قيس): يشير إلى تحقيق الشك والتهمة في حقه.

(بالأمس): يعني أبا موسى، فإنه:

(قال(3)): بالأمس.

(إنها فتنة): يشير إلى أنهم ليسوا على بصيرة في قتالهم مع أمير المؤمنين.

(فقطِّعوا أوتاركم، وشيموا سيوفكم): شام السيف إذا رفعه وغمده في قِرَابِه(4)، يقول: فمن هذه حاله لا يستنصح، ولا يكون حكماً فيما يتعلق بالأمور الدينية، فقد وقع منكم الخطأ أولاً بتحكيمه، وهو على خلاف رأيي ومشورتي.

(فإن كان صادقاً): فيما قال من قطع الأوتار، وإغماد السيوف.

(فقد أخطأ بمسيره غير مستكره): أراد فإذا كان شاكاً في قتالهم فَلِمَ سار ولا أحد هناك يكرهه.

(وإن كان كاذباً): فيما قاله من ذلك.

(فقد لزمته التهمة): كيف يأمرهم بتقطيع أوتارهم، وإغماد سيوفهم وهم على الحق وبصيرة(5) الجهاد، فمن ها هنا صار متهماً في دينه، فإذا كان ولا بد من التحكيم وأنتم على عزمه:

(فادفعوا في صدر عمرو بن العاص): الدفع في الصدر كناية عن الخصام والمحاجّة.

---

(1) في (ب): دون.

(2) في (ب) وشرح النهج: وإنما.

(3) في شرح النهج: يقول، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(4) القِرَاب: غمد السيف.

(5) في نسخة: ونصرة (هامش في ب).

(1579/4)

(بعبد الله بن العباس):فإنه يقاومه ويصاوله، ولا يغدره ولا يخدعه، فإن عبد الله بن العباس كان في غاية الذكاء والكياسة، فلا يجوز عليه مكر عمرو(1) ولا خديعته.

(وخذوا مهل الأيام): سكونها، وإروادها بكم.

(وحوطوا قواصي الإسلام): أراد احفظوا من كان بعيداً منكم من أهل الدين.

(ألا ترون إلى بلادكم تغزى): يشير إلى ما اختصوا به من الذل؛ لأنه لو كانت لهم هيبة لم يغزوا إلى عقر دارهم، وربما قيل: ما غزي قوم إلى عقر دارهم إلا ذلوا.

(وإلى صَفَاتِكُمْ ترمى): الصفاة: الحجر الأملس الصلب، يشير بذلك إما إلى نفسه؛ لأنه هو عمدة أمرهم، وإما إلى أفنية الدور أي ترمى بالحجارة.

(230) ومن خطبة له عليه السلام، وهي آخرخطبة يذكر فيها آل محمد، صلوات الله [عليه و](2)عليهم أجمعين

(هم عيش العلم): استعارة بالغة، نزَّلهم فيها منزلة العيش، فكما أن الحيوان لا يمكن قوام حياته إلا بالعيش،فهكذا لا يمكن قوام العلم إلا بهم.

(وموت الجهل): لأن من كان حياته في شيء، فموته يكون في نقيض ذلك الشيء.

(يخبركم حلمهم): ما هم عليه من الصفح والتغاظي، وكظم الغيظ.

(عن علمهم(3)): الواسع؛ لأن هذه الأمور إنما تكون حاصلة في حق من علم حقيقة الحال، وأحاط بعلوم الآخرة، أو يريد عن علمهم بما في الحلم من الخصال العظيمة، والآراء المحمودة.

(وصمتهم عن حكم منطقهم): لما كان صمتهم لا يكون إلا عن حكمة وصواب، فإذا انتقلوا عن الصمت كان أدخل في الحكمة أيضاً وأوقع؛ لأنهم ينتقلون من الصواب إلى الأصوب، ومن الحق إلى الأحق.

---

(1) في (ب): عمرو بن العاص.

(2) زيادة في (ب).

(3) بعده في شرح النهج: وظاهرهم عن باطنهم.

(1580/4)

سؤال؛ النطق أدل على الصواب من السكوت والصمت، فأراه ها هنا جعل الصمت هو الدليل، ومن حق النطق أن يكو ن أحق بالدلالة؛ لكونه أظهر وأقوى، وأدل على المقصود؟

وجوابه؛ هو أنه أراد المبالغة بما ذكره، فإن الصمت إذا كان دليلاً على صوابهم، وأنهم لا يصمتون إلا عن حكمة، وعصمة من الله تعالى، فكيف حال النطق فهو لا محالة بالدلالة على الصواب أحق، وبه أولى وأخلق.

(لا يخالفون الحق): فيعدلون عنه إلى غيره.

(ولا يختلفون فيه): فيقول بعضهم: هذا حق، ويقول الآخر عكسه وخلافه.

(هم(1) دعائم الإسلام): أساطينه التي يرتفع عليها أساسه وأبنيته، وعليها يظهر مناره.

(وولائج الاعتصام): دخائله الحسنة التي يعتصم بها كل أحد، ويلجأ إليها وتكون عمدة له في

إسلامه وديانته.

(بهم عاد الحق في(2) نصابه): يشير إلى نفسه، بعد اضطراب الأمر في خلافة عثمان، وظهور الفتنة بقتله، واضطراب أمر المسلمين في ذلك.

(وانزاح الباطل عن مقامه): ذهب وزال ما كان من الأحاديث الباطلة، أو يشير بذلك إلى حرب معاوية والخوارج، وما كان من الفتنة، بسبب حربهم وحرب أهل الجمل؛ فإن الفتنة هناك كانت عظيمة، ولكنها صغرت بالإضافة إلى ما كان من عنايته في الدين بحربهم، وتحصيل البصيرة في أحكامهم، فزالت تلك الأمور كلها ببركته، وحميد سعايته، فلهذا قال: انزاح الباطل عن مقامه، يشير إلى تلك الحالات العظيمة، وارتباك الأمر وعظمه من أجل ذلك.

(وانقطع لسانه عن منبته): عن أصله الذي نبت منه، بما كان من اقتطاع الدابر لمن ذكرناه، واستئصال الشأفة.

(عقلوا الدين): فَهِمُوه وأحكموا المراد منه وأوضحوه.

---

(1) في شرح النهج: وهم.

(2) في شرح النهج: إلى.

(1581/4)

(عقل وعاية(1)): فَهْمَ من وعى وتدبَّر الأمر في أوله وعاقبته، واستبان الرشد في بدايته ونهايته.

(لا عقل سماع ورواية): وليس الغرض مما فهموه هو روايتهم له، وسماعهم لألفاظه؛ فإن مثل هذا لايكون نافعاً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ}[ق:37] وبقوله تعالى: {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}[الحاقة:12].

(وإن(2) رواة العلم كثير): لا يُحْصَوْنَ، يريد قُصَّاص الآثار، ورواة الأخبار.

(ورعاته قليل): الرعاة: جمع راعي، وهو الذي يرعى العلم بالعمل به، ويحوطه بالتفقه فيه.

وبتمام ما ذكرناه وقع الانتهاء من شرح خطب أمير المؤمنين، وهو القطب الأول من أقطاب الكتاب المؤسس عليها كما ذكرناه في صدره.

وأقول: إنها قد اشتملت على الترغيب والترهيب، وبيان صفات الثواب والعقاب، وأحوال الجنة والنار، وأهوال القيامة، وذكر الموت، وغير ذلك من أمور الآخرة وأحوالها ما لا يوجد في كلام الخطباء، ولا تسمح به قريحة واحد من البلغاء، ومصداق هذه المقالة: إن أبلغ من وعظ من المتقدمين الحسن البصري، وأحسن من خطب منهم واصل بن عطاء(3).

---

(1) في شرح النهج: عقل وعاية ورعاية.
(2) في شرح النهج: فإن.
(3) هو: واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة [80-131هـ] رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين، ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة، وكان ممن بايع لمحمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) في قيامه على أهل الجور، له تصانيف منها: أصناف المرجئة، والمنزلة بين المنزلتين، ومعاني القرآن وغيرها. (انظر الأعلام8/108-109).

(1582/4)

وأعجب من خطب من المتأخرين يحيى(1) بن نباتة، وأبلغ من وعظ من المتأخرين أيضاً هو ابن الجوزي(2)، فهؤلاء الأربعة ممن تقدم وتأخر قد فاقوا أهل زمانهم في الخطب والوعظ، وأنت إذا أعملت الفكرة في ذلك، وحققت النظر وجدت كلاماتهم كلها لاتداني أقصر خطبة من خطب أمير المؤمنين، ولا أحقر موعظة من مواعظه الشافية، وما ذاك إلا لأنه سبق وقصروا، وتقدَّم وتأخروا، وآتاه الله من ذلك ما لم يؤت أحداً من العالمين.

فهرس الموضوعات

ومن خطبة له عليه السلام في الوعظ_ ... _
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا_ ... _
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها من تقدم من القرون الماضية_ ... _
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها صفة النار وحالها_ ... _
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها المتقين، ويصف أحوالهم_ ... _
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها المنافقين_ ... _

---

(1) يحيى بن نباته، كذا ورد الاسم في النسختين، والصواب أبو يحيى بن نباته، وهو عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته الفارقي، أبو يحيى [335-374هـ] صاحب الخطب المنبرية، ولد في ميافارقين (بديار بكر) ونسبته إليها، وسكن حلب فكان خطيبها، واجتمع بالمتنبي في خدمة سيف الدولة الحمداني، توفي بحلب، وله ديوان الخطب المنبرية مطبوع. (انظر الأعلام 3/347-348).
(2) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج [508-597هـ] عالم بالتأريخ والحديث، مولده ووفاته ببغداد، وهو كثير التصانيف، له نحو ثلاثمائة مصنف منها: تلقيح

فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، وروح الأرواح، وتلبيس إبليس، والمدهش في المواعظ وغرائب الأخبار، والمنتظم في تأريخ الملوك والأمم وغيرها. (انظر الأعلام 3/316-317).

(1583/4)

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها أحوال القيامة_ … _
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا_ … _
ومن خطبة له (ع) [ينبه فيها على فضيلته لقبول قوله وأمره ونهيه]_ … _
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الإسلام_ … _
ومن كلام له عليه السلام يوصي به أصحابه_ … _
ومن كلام له عليه السلام يذكر فيه عقوبة من مضى من الأمم والقرون_ … _
ومن كلام له (ع) [في معاوية]_ … _
ومن كلام له عليه السلام عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام_ … _
ومن كلام له عليه السلام في ذكر الدنيا_ … _
ومن كلام له عليه السلام يخاطب به أصحابه، وكان كثيراً ما يناديهم به_ … _
ومن كلام له (ع) كلَّم به طلحة والزبير بعد أن بايعه الناس بالخلافة، وقد عتبا من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما_ … _
ومن كلام له (ع) وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام_ … _
وقال عليه السلام بصفين وقد رأى الحسين يتسرع للحرب_ … _
وقال عليه السلام لما اضطرب عليه أصحابه في أمرالحكومة_ … _
ومن كلام له (ع) بالبصرة، لما دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده_ … _
ومن كلام له (ع) وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الأخبار _ … _
ومن كلام له عليه السلام يذكر فيه خلق السماء_ … _
ومن خطبة له(ع)كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه_ … _
ومن خطبة له (ع) [في تمجيد الله وتعظيمه]_ … _
ومن كلام له (ع) يصف جوهر الرسول ويصف العلماء ويعظ بالتقوى_ … _
ومن دعاء له عليه السلام كان كثيراً ما يتضرع به_ … _
ومن خطبة له عليه السلام بصفين_ … _

ومن كلام له عليه السلام على جهة الدعاء_ ... _

ومن كلام له (ع) في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه (ع) _ ... _

(1584/4)

ومن كلام له (ع) لما مرَّ بطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عتاب وهما قتيلان يوم الجمل_ ... _

ومن كلام له (ع) [في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه]_ ... _

ومن كلام له (ع) بعد تلاوته: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ_ ... _

ومن كلام له (ع) عند تلاوته: رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ_ ... _

ومن كلام له (ع) قاله عند تلاوته: يَاأَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ_ ... _

ومن كلام له عليه السلام يخاطب به أخاه عقيل بن أبي طالب_ ... _

ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به_ ... _

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا_ ... _

ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به_ ... _

ومن كلامه (ع) [يريد به بعض أصحابه]_ ... _

ومن كلام له (ع) في وصف بيعته بالخلافة_ ... _

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الموت_ ... _

ومن خطبة له (ع) بذي قار، وهو متوجه إلى البصرة _ ... _

ومن كلام له (ع) كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً_ ... _

ومن كلام له (ع) [في فضل أهل البيت ووصف فساد الزمان]_ ... _

ومن كلام له (ع) [رواه ذعلب اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية]_ ... _

ومن كلام له (ع) قاله وهو يلي غسل رسول الله (ص) وتجهيزه_ ... _

ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد_ ... _

ومن خطبة له (ع) في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة غيرها_ ... _

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الملاحم_ ... _

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الموت_ ... _

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الهجرة_ … _
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الموت وأهواله_ … _
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا_ … _

(1585/4)

ومن خطبة له عليه السلام تسمى: القاصعة_ … _
ومن كلامه عليه السلام لعبد الله بن العباس_ … _
ومن كلام له عليه السلام يحث فيه أصحابه على الجهاد_ … _
ومن كلام له (ع) اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد الهجرة ويذكر لحاقه به_ … _
ومن خطبة له (ع) [في المسارعة إلى العمل]_ … _
ومن خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين، وذم أهل الشام_ … _
ومن خطبة له (ع) وهي آخرخطبة يذكر فيها آل محمد (ص) _ … _
فهرس المحتويات_ … _

(1586/4)

الديباج الوضي
في الكشف عن أسرار كلام الوصي(السفر الثاني)
المجلد الخامس

الديباج الوضي
في الكشف عن أسرار كلام الوصي
للإمام الأعظم يحيى بن حمزة عليه السلام

تحقيق
خالد بن قاسم بن محمد المتوكل

(1587/5)

القطب الثاني من كلام أمير المؤمنين

في الكتب والرسائل والعهود والوصايا

ويدخل في ذلك رسائله إلى أعدائه، وأمراء بلاده، وما اختير من عهوده إلى عماله ووصاياه لأهله وأصحابه.

واعلم: أن الكتاب عبارة عن القرطاس المكتوب فيه، والكتاب: الفرض والحكم، قال الله تعالى: {كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}[النساء:24] أي فرضه، قال الشاعر:

يا ابنة عمي كتاب الله أخرجني

عنكم وهل أمنعنَّ الله ما فعلا(1)

والعهد أيضاً عبارة عن الأمان والموثق، وهو ها هنا عبارة عمَّا يوصي به أمراءه، والذين يقلدهم أمر البلاد والخراجات.

وأما الرسالة فهي: عبارة عمَّا يرسل به من مو ضع إلى موضع، والرسول أيضاً الرسالة، قال:

ألا أبلغ أبا عمرو رسولاً

بأني عن فتاحتكم(2) غني(3)

وأما الوصية فهي: عبارة عن الكلام الذي يعهده إلى الأمراء والعمال، والكل من هذه الأشياء معانيها متقاربة، والغرض هو التعويل على المعاني.

ونشرع الآن في شرح كتبه مستعينين بالله وهو خير معين.

[بسم الله الرحمن الرحيم] (4)

(1) ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة

---

(1) البيت للجعدي، لسان العرب 217/3.

(2) في النسخ: قبائحكم، وأصلحته من اللسان.

(3) البيت للأسعر الجعفي، المصدر السابق 1166/1، وقوله: فتاحتكم أي حكمكم.

(4) زيادة في (ب).

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة): هكذا كانت التعريفات في الكتب والرسائل والعهود، أن يذكر اسمه واسم من يكون إليه الكتاب من غير زيادة، وعلى هذا مضى الصدر الأول من الصحابة وخلفائها وجميع خلافة بني أمية، معاوية ومن بعده منهم على هذا، وما حدثت هذه الألقاب إلا من أيام أبي الدوانيق أبي(1) جعفر، فإنه تسمى بالمنصور بعد أخيه عبد الله بن محمد بن علي، ثم جرى ذلك بعده في أولاده المهدي بن المنصور، ثم الهادي بن المهدي، ثم الرشيد هارون بن المهدي، ثم المأمون والأمين، إلى آخر خلفاء بني العباس، ما زالت هذه الألقاب فيهم إلا أن انقرضوا واقتلع الله جرثومتهم(2)، فبعداً لقوم لا يؤمنون، ثم هي الآن جارية، وليس ورائهاكثير فائدة، ولو كان فيها خير سبق إليها الصدر الأول.

(جبهة الأنصار): الجبهة يكنى بها عن أحسن الشيء وخياره وأعلاه؛ لأنه أوردها ها هنا مورد المدح والثناء على الأنصار، فلهذا(3) وجب حملها على ما قلناه، وأراد أنهم أعظم الناصرين له وأكثرهم جهاداً في حقه.

(وسنام العرب): والسنام أيضاً: عبارة عن خيار الشيء ووسطه، ومنه سنام الناقة والجمل لكونه وارداً مورد المدح، ولا وجه بحمل السنام والجبهة على غير ذلك لفساد معناه.

(أما بعد): وهذه كلمة فصيحة تراد للقطع للكلام الأول عمَّا يأتي بعده.

(فإني أخبركم عن أمر عثمان): وما جرى فيه من الفتنة والخصومة العظيمة.

---

(1) حاشية في (ب) لفظها: المشهور في غير هذا الكتاب أن أبا الدوانيق هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، تمت.

(2) جرثومة الشيء بالضم أصله. (القاموس المحيط ص1405).

(3) في (ب): ولهذا.

(1589/5)

(حتى يكون سمعه كعيانه): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف، تقديره: أخبركم خبراً عظيماً جامعاً للقول فيه واضحاً جلياً، السامع له بمنزلة المعاين.

(إن الناس طعنوا عليه): في سيرته مطاعن كثيرة، ونقموا عليه أشياء أحدثها.

(فكنت رجلاً من المهاجرين): أراد واحداً منهم، وغرضه تميزه عن المهاجرين في حقه.

(أكثر استعتابه): الاستعتاب: الاسترضاء، وأراد أنه يكثر من طلب الرضا له.

(وأَقِلُّ عتابه): والعتاب هو: ذكر الخطأ الذي أخطأه، وغرضه من هذا كله أنه يسترضيه، ولا يذكر له ما يكرهه.

(وكان طلحة والزبير): في حقه وبالإضافة إليه.

(أهون سيرهما الوجيف(1)): الوجيف: ضرب من سير الإبل والخيل كثير السرعة والعجلة، وغرضه من هذا أن سعيهما في قتل عثمان أبلغ من سعي غيرهما من أفناء الناس.

(وأرفق حدائِهِمَا العنيف): العنف: الشدة، وجعل هذا كناية عن مبالغتهما في قتله ومحبتهما لذلك وتأليب الناس عليه.

(وكان من عائشة فلتة(2) غضب فيه): يقال: كان هذا الأمر فلتة إذا لم يكن عن تدبُّر وتحقق، وكان صدوره فجأة، فكانت تسبُّه وتؤذيه، وتحرض الناس على قتله، حتى أنها قالت يوماً: اقتلوا نعثلاً لعن الله نعثلاً، بالعين المهملة والثاء المثلثة(3)، والنعثل: ذكرالضباع، وقيل: اسم رجل كان طويل اللحية، وكان عثمان إذا نيل من عرضه شبه به، وهو مراد عائشة ها هنا.

(فأتيح له قوم فقتلوه): أي قُدِّر له أقوام قليلون قتلوه من غيربصيرة في قتله.

(وبايعني الناس): بعد قتله.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: أهون سيرهما فيه الوجيف.

(2) في شرح النهج: وكان من عائشة فيه فلتة غضب.

(3) أورده ابن الأثير في النهاية 81/5، وابن منظور في لسان العرب 668/3.

(1590/5)

(غير مُسْتَكْرَهِيْنَ): لم يكن من أحد لهم إكراه ولا حمل.

(ولا مُجْبَرِيْنَ): مقهورين على البيعة، وإنما جاءوا من جهة أنفسهم بالطوع والاختيار دون الإكراه.

(بل طائعين مُخَيَّرِيْنَ): تأكيد ومبالغة في ذكر حال بيعته، وأن إمامته لا مغمز فيها لأحد، ولا فيها وجه من وجوه الاعتراض الحاصلة في إمامة غيره.

(واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد بدارالهجرة الكوفة، ومعنى قلعت بهم أي أخلتهم وطردتهم، وقلعوا بها أي أخلوا عنها وأهملوها فصارت خالية بعدهم.

وثانيهما: أن يكون المراد بدار الهجرة المدينة، وهو السابق إلى الأفهام من دار الهجرة؛ لأن ما عداها من المدائن والأمصار لا يقال فيه: دار الهجرة، وأراد أنهم أخلوها وخلوا عنها، وغرضه أيام الفتنة بقتل عثمان.

(وجاشت جيش المِرْجَل): جاش القدر إذا عظم غليانه، واشتدت حركته، وَالْمِرْجَلُ: القدر.

(وقامت الفتنة على القطب): أراد استقرت رحاها على قطبها؛ لأن كل ما يدور على القطب إذا لزم القطب وقام عليه، و(1)استوسق واستقر.

(فأسرعوا): بالإقبال فيما يأمركم به وينهاكم عنه.

(إلى أميركم): من جعله الله والياً عليكم، وسلطاناً قائماً على أموركم كلها.

(وبادروا جهاد عدوكم): أن يحال بينكم وبينه بعارض من العوارض.

(2) [ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة](2)

ثم كتب إليهم بعد فتحه للبصرة:

(جزاكم الله من أهل مصر): يريد أهل الكوفة لما بالغوا في النصيحة، وأخذوا في امتثال أمره، ومن هذه لابتداء الغاية.

---

(1) الواو، زيادة في (ب).

(2) ما بين المعقوفين زيادة من شرح النهج.

(1591/5)

(عن أهل(1) بيت نبيِّكم): يريد نفسه وأولاده إذ هم أهل البيت في ذلك الزمان لا شيء غيرهم.

(أحسن ما يجزي العاملين بطاعته): من الثواب العظيم ورفع الدرجات العالية.

(والشاكرين لنعمته): أي وأحسن ما يجزي الشاكرين على نعمته، كما قال تعالى: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}(2)[آل عمران:144] إشارة إلى عظم(3) ما أعدَّ الله لهم من كرامته من جزيل ثوابه وحسن عطائه.

(فقد سمعتم): ما أقوله من المواعظ والآداب.

(وأطعتم): أمري بما أمرتكم به من أمر الجهاد.

(ودعيتم): إلى الطاعة أو إلى مقاتلة العدو وجهاده.

(فأجبتم): إلى ذلك مسرعين منقادين.

(3) ومن كتاب له [عليه السلام](4) كتبه لشريح بن الحارث(5) قاضيه

روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً، فبلغه ذلك فاستدعاه وقال له(6):

(1) قوله: أهل، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) الآية القرآنية الشريفة في (ب): {وسنجزي الشاكرين}.

(3) في (ب): عظيم.

(4) زيادة في (ب).

(5) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، المتوفى سنة78هـ، من أشهر القضاة في صدر الإسلام، أصله من اليمن، استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة، وولي القضاء للإمام علي على الكوفة أيضاً، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: وسخط عليعليه السلام مرة عليه فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء، وأمره بالمقام ببانقيا –وكانت قرية قريبة من الكوفة– فأقام بها مدة حتى رضي عنه وأعاده إلى الكوفة. انتهى. وَعُمِّر عمراً طويلاً قيل: إنه عاش مائة سنة وثمانياً وستين،، وقيل: مائة سنة، ومات بالكوفة. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 28/14–29، والأعلام161/3).

(6) له، زيادة في (ب).

(1592/5)

(بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً، وأشهدت شهوداً، وكتبت كتاباً)(1).

فقال شريح: قد كان ذلك ياأمير المؤمنين.

قال: فنظر إليه [عليه السلام] (2) نظر مغضب(3) ثم قال له:

(ياشريح، أما إنه سيأتيك): يصل إليك، ويحلُّ بفنائك.

(من لا ينظرفي كتابك): الذي كتبته تقريراً لملكك، وخوفاً عن دعوى من يدَّعيها.

(ولا يسألك عن بينتك(4)): إما عن بيتك(5) الذي جعلت هذه(6) العناية من أجله ، وإما عن بينتك التي تقيمها من عندك(7) لو جحدها جاحد، فلا يزال بك:

(حتى يخرجك منها شاخصاً): شخص عن البلد إذا خرج عنها.

(ويسلمك إلى قبرك خالصاً): من قولهم: أسلمته إلى كذا أي خلَّيت بينه وبينه، وأراد بقوله: خالصاً عن العلائق كلها لا شيء معك من الدنيا، وأراد بما ذكره ملك الموت، فإنه يأتي إلى(8) الإنسان، فيفعل(9) به هذه الأفاعيل كلها.

(فانظر يا شريح): تفكَّر في أمرك وشأنك، وحقِّق النظر فيما أنت فيه.

(لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مَالِكٍ): أراد أن مالكها الذي أخذتها منه، لعله غصبها(10) أو أخذها على غيره وباعها منك، فانظر في هذا.

(1) في (ب): وكتبت كتاباً وأشهدت شهوداً، وفي شرح النهج: وكتبت لها كتاباً وأشهدت فيه شهوداً.
(2) زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.
(3) في شرح النهج: المغضب.
(4) في (ب) وفي شرح النهج: بينتك.
(5) في (ب): بينتك.
(6) في (ب): هذا.
(7) في (ب): من غيرك.
(8) إلى، سقط من (ب).
(9) في (ب): فيفعلن.
(10) في (ب): اغتصبها.

(1593/5)

(أو نقدت الثمن من غير حلالك): وكان نقدك للثمن من غير مال تملكه، بأن تكون قد أخذته من غير حله، فانظر فإن تطرق الشبهة يكون(1) إما في المبيع، وإما في الثمن، وكل واحد منهما يكون محرماً للبيع، ويقع الخطأ والإثم بالوقوع في أحدهما لامحالة.

(فإذاً أنت): بالوقوع في أحد هذين الشبهتين أو كلاهما.

(قد خسرت دار الدنيا): بكونك شريت ما لا يحل لك شراؤه.

(ودارالآخرة): بالوقوع في معصية الله تعالى وإثمه، والمراد بالخسران هو فوات الدارين كلاهما، وذهابهما عن يده كما قررناه.

(أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت):من هذه الدار بثمنها المعلوم.

(لكنت كتبت لك كتاباً)(2): حررت فيه ألفاظاً وعظية، وقوارع شافية مرغِّبة عن الدنيا.

(على هذه النسخة): التي سأذكرها بعد هذا بمعونة الله تعالى.

(فلم ترغب): عند معرفتك بها.

(في شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه): لاشتماله على الزهد في الدنيا، والترغيب في الآخرة.

(والنسخة: هذا ما اشترى عبد ذليل): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد بذلك على جهة العموم، والغرض أن كل الخلق عباد الله ذليلون لأمره، خاضعون لجلاله.

(1) في (ب): قد يكون.

(2) في شرح النهج: لكتبت لك كتاباً.

(1594/5)

وثانيهما: أن يكون مراده على جهة الخصوص، وأراد بالعبد شريحاً؛ لأنه كان عبداً، ولهذا فإنه يحكى أنه نقم عليه(1) نَقْماً في بعض الأقضية التي قضاها، فقال: ائتوني بهذا العبد الأبظر(2) والبظر بظاء منقوطة من أعلاها: لحمة ناتية(3) في الشفة العليا، وكان شريح بهذه الصفة.

(من ميت قد أزعج بالرحيل(4)): ممن يموت ويستعجل الرحيل(5) إلى الآخرة، والتولي عن الدنيا، فهذه حالة البائع والمشتري وأوصافهما.

(اشترى منه داراً من دار(6) الغرور): الدار الأولى هي المشتراة، والدار الثانية هي الدنيا، فإنها دار المكر والخديعة بأهلها.

(من جانب الفانين [وخطة الهالكين] (7)): مِمَّا يجري عليه الفناء، والخطة: ما يُخْتَطُّ للعمارة، وأراد من مكان الهالكين، وأراد بذلك ذكر هذه الأوصاف مبالغة في تخليتها وإظهار أمرها، كما يقول أهل الشروط: من خطة بني فلان، وشارع بني فلان لئلا تكون ملتبسة بغيرها تهكماً لأمرها واستركاكاً لحالها.

(وتجمع هذه الدار): بحيث لاتلتبس بغيرها على مشتريها.

(حدود أربعة): مشتملة على أقطارها، ومستولية عليها من جميع نواحيها.

(الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات): يريد أن هذه الدار لايخلو أمرها أصلاً عن طرو الآفات وعروض المتالف لها.

---

(1) عليه، سقط من (ب).

(2) وله شاهد أورده ابن الأثير في النهاية 138/1 فقال: وفي حديث علي (أنه قال لشريح في مسألة سألها: ما تقول فيها أيها العبد الأبظر) هو الذي في شفته العليا طول مع نتو. انتهى. وهو في لسان العرب 230/1.

(3) أي بارزة.

(4) في شرح النهج: للرحيل، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(5) في (ب): بالرحيل.

(6) في نسخة: بدار، (هامش في ب).

(7) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات): وهكذا أيضاً فإن هذه الدار لا تخلو عن المصائب الجارية على الخلق، والذين هم بصددها، ولا خلاص عن ذلك.

(والحد الثالث ينتهي إلى الهوى(1) المردي): في الهلاك فإنه لا ضرر على الإنسان أضر من اتباع الهوى، وإليه الإشارة بقوله:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى}[النازعات:40].

(والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي): للخلق عن مصالحهم الدينية، وعمَّا أراد الله بهم من مسالك الخير والصلاح.

(وفيه(2) يشرع باب هذه الدار): أي يسلك.

سؤال؛ أراه جعل مشرع باب الدار من جهة حد الشيطان، دون غيره من سائر الحدود التي ذكرها، مع أنها كلها مستوية في الإهلاك للإنسان؟

وجوابه؛ هو أن باب الدار إنما شرع(3) من أجل دخولها، ولما كان الشيطان له مداخل عظيمة في الإنسان، ويأتي له في الإغواء من أبواب متفرقة، وجهات مختلفة حتى يستولي عليه ويستحكم من أي باب وجده يهلك فيه، فلهذا جعل مشرع باب الدار من جهة الشيطان وإغواءه وزلله واستحواذه.

وعن إبليس أن الله لما لعنه، قال: يارب، قد جعلتني رجيماً، وأنظرتني إلى الوقت المعلوم فاجعل لي بيتاً.

قال: ((الحمام)).

قال: فاجعل لي مجلساً.

قال: ((الأسواق ومجامع الطرقات)).

قال: فاجعل لي حديثاً.

قال: ((الغنا(4))).

قال: فاجعل لي كتابة.

---

(1) في نسخة: البلاء، (هامش في ب).

(2) في (ب): ومنه.

(3) في (ب): يشرع.

(4) في نسخة أخرى: العياذة.

قال: ((الوشم(1))).

قال:فاجعل لي مؤذناً.

قال: ((النوائح)).

قال:فاجعل لي مصائد.

قال: ((النساء)).

(اشترى هذا المغتر بالأمل): حيث شرى منزلاً يطمأنَّ إلىالسكون إليه والمقام فيه، والاستقرار عليه ثقة بالدنيا واطمئناناً إليها، وفي الحديث: ((ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر ما يرجع إليه))(2).

(من هذا المزعج بالأجل): يريد البائع فإن الليالي والأيام تحثه لا محالة إلى الآخرة، وفي الحديث: ((الدنيا حلم، وأهلها مجازون ومعاقبون وهالكون)).

(هذه الدار): المخصوصة بهذه الصفات، والمحدودة بهذه الحدود التي ذكرناها.

(بالخروج من عز القناعة): كأنه جعل ثمنها الخروج من عز القناعة، يشير إلى أن هذا المشتري لو تقنَّع ما شراها ورضي بالحقير عنها؛ لأن فيه كفاية عن الجليل، وفي الحديث: ((من أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته،ومن أحبَّ آخرته أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى))(3).

---

(1) الوشم: أن يغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزرق أثره أو يخضرّ، وقد وشمت تشم وشماً فهي واشمة، وفي الحديث ((لعن الله الواشمة والمستوشمة)) ويروى ((الموتشمة)) و((المستوشمة))، والموتشمة: التي يفعل بها ذلك. (نهاية ابن الأثير189/5).

(2) أخرج مثله المرشد بالله في الأمالي الخميسية 162/2 بسنده عن المستورد بن شداد، وص172 بسنده عن ابن فهم، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 50/9 وعزاه إلى سنن الترمذي رقم(2321)، وكنز العمال رقم (6138)، (وله شواهد فيها عدة انظرها هناك).

(3) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده الكوفيين برقم (18866) و(18867) عن أبي موسى الأشعري.

(1597/5)

(والدخول في ذلِّ الطلب والضراعة): الضراعة هي: الذلة والمسكنة، فقد دخل بشرائها في الذل، وخرج عن العزِّ بالتقنع(1).

(فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك): الدرَك والدرْك بالفتح والسكون(2) هو: التبعة، وأراد فما اتبع فيما اشتراه من هذه الدار.

(فعلى مبلبل أجسام الملوك): البلبلة: القطع والاستئصال، أخذاً من قولهم: تبلبلت الإبل الكلأ إذا قطعته فلم تُبْقِ منه شيئاً، وأراد فإنه موكول إلى الله تعالى الفاعل لهذه الأشياء، وذكرها إنما هو على جهة التهويل وإعظام الأمر وإكباره.

(وسالب نفوس الجبابرة): مزيلها عن أجسامهم.

(ومزيل ملك الفراعنة): من تشيطن في البلاد بإكثار الفساد في الإرض فهو فرعون، وقد أزال الله كل من تفرعن في الأرض وأهلكه.

(مثل كسرى): ملك الفرس.

(وقيصر): ملك الروم.

(وتبَّع): والتبابعة هم ملوك اليمن، وكانوا ثمانين تبعاً.

(وحمير): وملوك حمير، كانوا في اليمن.

(ومن جمع المال على المال فأكثر): من جمعه، وكنزه وادخاره.

(ومن بنى): القصور العظيمة.

(فشيَّد(3)): بناءها وزخرفها وزينها.

(وزخرف): نقش.

(ونجَّد): والتنجيد: التزيين، قال ذو الرمة:

حتى كأن رياضَ القفرِ ألبسها

من وشي عبقر تجليلٌ وتنجيدُ(4)

---

(1) أي بالسؤال والتذلل من القُنُوعُ بالضم وهو السؤال والتذلل، ومن دعائهم: (نسأل الله القناعة، ونعوذ بالله من القُنوع) والقُنوع بالضم أيضاً: الرضا بالقسم وهو من الأضداد. (انظر القاموس المحيط ص977).

(2) قوله: بالفتح والسكون، سقط من (ب).

(3) في شرح النهج: وشيد.

(4) لسان العرب 583/3، وقوله هنا: القفر، في اللسان: القُفّ: وهم اسم جبل، وعبقر: قرية ثيابها في غاية الحسن. (انظر القاموسى المحيط).

(1598/5)

(وادخر): الأموال النفيسة.

(واعتقد): أن ليس أحداً مثله، أو أنه لا جمع كجمعه.

(ونظر بزعمه للولد): أراد إما ونظر بزعمه فيما جمعه أنه مصلحة لولده، وإما كان منتظراً للولد فيستَرُّ به كما يستَرُّ بالمال إذا جمعه.

(إشخاصهم(1)): هذا على حذف مضاف تقديره: وقت إشخاصهم، والعامل فيه ما تعلق(2) به على في قوله: فعلى مبلبل، أي فهو حاصل وقت إشخاصهم لكن حذف الوقت، وترك المصدر(3) لما فيه من الدلالة على الوقت، كما قالوا: انتظرتك نحر جزور، ومنه قوله تعالى: {فَسَبِّحْهُ(4) وَإِدْبَارَ النُّجُومِ}[الطور:49].

(جميعاً): مجتمعين بكليتهم.

(إلى موقف العرض والحساب): العرض على الله تعالى والمحاسبة على الأعمال.

(وموضع الثواب والعقاب): وفي هذا الوقت أيضاً، وأراد عند هذه الأحوال الهائلة، والأمور الخطرة.

(إذا وقع الأمر بفصل القضاء): إذا متعلقة أيضاً بما تعلق به الظرف المقدر، أو يكون هذا بدلاً من ذاك(5)؛ لأنهما مستويان.

({وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ})[غافر:78]: لأعمالهم بإحباطها بالسيئات، أو ذوو البطلانات والجحود في اعتقاداتهم.

(شهد على ذلك): الذي ذكرناه في هذه الأشياء كلها.

---

(1) كتب فوقها في نسخة أخرى: معاً يعني بفتح الهمزة وكسرها أي إشخاصهم وأشخاصهم، وفي نسخة: أشخصهم (هامش في ب).

(2) في نسخة أخرى: ما تتعلق.

(3) في نسخة: والعامل فيه المصدر لما فيه من الدلالة ...إلخ (هامش في ب).

(4) ورد في (أ) وفي نسخة أخرى: وسبحه، ولعلها قراءة، وما أثبته من المصحف الذي بين يدي على قراءة حفص، ومن (ب).

(5) في (ب): ذلك.

(1599/5)

(العقل): وهو الذي ركَّبه الله في الإنسان قاضياً بصحة هذه الأمور كلها ومعترفاً بها، وأنها كلها حق وصواب، وهو إنما يشهد بها إذاكان باقياً على الخلقة الغريزية والفطرة الإلهية التي جعله الله عليها، وذلك إنما يكون:

(إذا خرج عن(1) أسر الهوى): لأن الهوى إذا [كان] آسراً للعقل(2)، وصار موطوءاً بقدم الهوى فلا حيله له هناك ولا وقع لتصرفه، ولا يقدر على التخلص عن وثاق الهوى، وعند هذا لا نفع فيه لصاحبه.

(وسلم من علائق الدنيا): وكان أيضاً سالماً عن أطماع الدنيا وعوارضها، فمهما سلم عن(3) هذين الأمرين فإنه قاضٍ بما ذكرناه، ومهما فسد بأحد هذين الأمرين فإنه يبطل أمره، ويخرج عن النظام الذي ركَّبه الله عليه.

اللَّهُمَّ، إنا نعوذبك من أسر الهوى، والانقياد لحكمه.

واعلم: أن هذا الكتاب حذا عليه كتَّاب الشروط في البياعات(4) والإجارات والمزارعة وغير ذلك، وجعلوه إماماً لهم يحتذون عليه كتب شروطهم.

(4) ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه

(فإن عادوا إلى ظل الطاعة): استعار الظل للطاعة لما فيه من موافقة مراد الله تعالى، ورضوانه عليهم، فعاقبة ذلك راحة ولذة، فلهذا جعل عودتهم مما يلتذ به لما كان يؤول إلى ذلك.

(فذاك الذي نحب): الإشارة إلى العود إلى الطاعة، أي فهو الأمر المحبوب منهم، والمطلوب حصوله من جهتهم.

(وإن توافت الأمور بالقوم): أي تطابقت الأمور بالقوم بتمامها وكمالها.

---

(1) في شرح النهج: من.

(2) في (ب): أسر العقل شيئاً، وما بين المعقوفين وهو قوله: كان، سقط من (أ،ب)، وهو زيادة من نسخة أخرى.

(3) في (ب): من.

(4) ظنن فوقها في (ب)، بقوله: ظ: البيوعات، قلت: والبياعات جمع بياعة بالكسر وهي: السلعة.

(إلى الشقاق): المشاقة والعصيان لأمري والمخالفة عليَّ.

(والعصيان): لأمر الله وأمري.

(فانهد بمن أطاعك): نهد الرجل في الأمر إذا نهض إليه بجد وسرعة، وأراد فانهض مستصحباً بمن(1) أطاعك.

(إلى من عصاك): إلى جهاد من خالفك وبغى عليك.

(واستعن(2) بمن انقاد معك): اجعله عوناً لك وبصِّره واستصحبه، واجعله غنىً عن غيره لك.

(عمن(3) تقاعس عنك): أي تأخر بتكبر وعتو.

(فإن المكره(4)): الآتي إلينا كرهاً لا عن خيرة من نفسه، ولا انجذاب منها خوفاً من ربه.

(مغيبه خير من شهوده(5)): لأنه ربما بكراهته أفسد غيره، وخذله عن النهوض، وفتَّ في عضده.

(وقعوده): في بيته عن الجهاد والقتال.

(أغنى): أكثر غناءً ونفعاً.

(من نهوضه): بزعمه مكرهاً للجهاد، لما في ذلك من الضررو حصول المفسدة، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى الذي ذكره أمير المؤمنين في كتابه، حيث قال في حق أهل النفاق: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ}[التوبة:47] يريد في تبوك {مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً}[التوبة:47] فساداً وشراً، {وَلاَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ}[التوبة:47] بالمكر والخديعة، والسعي بها بينكم، وإفساد ذات البين، {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ}[التوبة:47]: يطلبون فتنتكم، وإفساد نياتكم في مغازيكم هذه، ومن هذه حاله فقعوده خير من مسيره، كما أشار إليه ها هنا.

---

(1) في (ب): من.

(2) في شرح النهج: واستغنِ.

(3) في (ب): على من.

(4) في شرح النهج: المتكاره، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(5) في (ب) وفي شرح النهج: خير من مشهده.

---

(5) ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس [وهو](1) عامل أذربيجان(2)

(وإن عملك ليس بطعمة لك): يعني أنه ليس أمراً سهلاً ولا تبعة عليك فيه، فلا تظننَّ أنه بمنزلة الطعمة الهنية.

(ولكنه في عنقك أمانة): يريد فيه تكليف عليك وأمانة في عنقك حتى تؤديها إلى من ائتمنك عليها.

(وأنت مسترعى لمن فوقك): يريد جعلك راعياً من هو فوقك في الأمر ووجوب الطاعة.

(ليس لك أن تفتات في رعية): الافتيات(3): افتعال من الفوت، وهو السبق إلى الشيء من دون أمر

من له الأمر فيه، يقال: فلان لا يفتات عليه أي لا يعمل شيء دون أمره، وفي الحديث: ((أمثلي يفتات عليه في أمر بناته(4))).

(ولا تخاطر إلا بوثيقه): أي ولا تركب خطراً من الأمور تكون مغروراً فيه من دون أن تستوثق، وأراد أن هذه الأمور كلها واجبة على المتولي فيما ولي عليه.

(وفي يدك(5) مال من مال الله عز وجل): إنما نكَّر المال، إما لجلالته وكثرته كأنه قال: مال وأي مال، وإما لقلته كأنه قال: ما يقع عليه اسم المال.

(وأنت من خزاني(6)): ممن جعلته خازناً له، والواجب عليه حفظه ورعايته.

(حتى تسلمه إليَّ):وعند هذا قد أدَّيت أمانتك، والفرض الواجب عليك لله فيه.

---

(1) وهو، زيادة في شرح النهج.

(2) أذربيجان اسم بلد، ويعرف اليوم: بجمهورية أذربيجان، وهو اسم أعجمي غير مصروف، الألف مقصورة، والذال ساكنة، والنسبة إليه أذري بسكون الذال هكذا القياس. (وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 33/14).

(3) في (ب): الافتعال.

(4) في (ب): بيانه، والحديث أورده ابن الأثير في النهاية406/3 موقوفاً لعبد الرحمن بن أبي بكر.

(5) في شرح النهج: يديك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(6) في شرح النهج: خزانه.

(1602/5)

(ولعليَّ ألاَّ أكون شر ولاتك لك(1)): وأرجو من الله تعالى أن أكون خير من تولى عليك بحفظ ما أديت من المال وصرفه في أهله، وإنما قال: ولعليَّ، جرياً على عادته في الأدب عند الدعاء، كما قال الرسول عليه السلام: ((وأرجو أن أكون أخوفكم بالله، وأعرف بما آتي وأذر))(2).

(6) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان): الضمير للشأن والقصة، والجملة بعده مفسرة له، وأراد أمير المؤمنين الملاطفة له في الخطاب والنزول معه، وإفحامه بالإلزام على قرب، وتقريره(3) أن يقول: هب أن إمامتي ليس منصوصاً عليها بالبراهين الواضحة، والنصوص الواردة، فالذين كانوا قبلي(4) هم أئمة على زعمك، وما كانوا أئمة إلا من أجل من عقد لهم من المهاجرين والأنصار، والذين عقدوا لهم ورضوهم قد عقدوا لي ورضوا بي إماماً لهم وبايعوني:

(على ما بايعوهم عليه): من امتثال أمرالله، وأمر رسوله، والقيام بالواجبات كلها، وليس الغرض اجتماع الناس بأجمعهم، وإنما انعقاد الإمامة بالعدد المعتبر من الأعيان والجماهير.

(فلم يكن للشاهد أن يختار): أمراً خلاف ما أجمعوا عليه واختاروه، ولكن الواجب الانقياد لهم والمتابعة لما فعلوه.

(ولا للغائب أن يرد): ما قد فعلوه من ذلك ويزعم أني لم أحضر.

(وإنما الشورى): المشاورة في الأمر، وهي فُعلى بضم الشين.

---

(1) بعده في (ب) وشرح النهج: والسلام.

(2) روى قريباً منه بلفظ: ((أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به)) العلامة الزمخشري في الكشاف3/620.

(3) في (ب): وتقديره.

(4) في (ب): قبل.

(1603/5)

(للمهاجرين والأنصار): تعريض بحال معاوية، يريد أن المشاورة في هذا الأمر، وعقد الإمامة إنما يكون لرجال أهل الدين من المهاجرين والأنصار الذي تبوأوا الدار والإيمان دونك، فليس لك فيها ورد ولا صدر، ولا أنت ممن يستشار في هذا الأمر، وإنما الحكم والأمر لهم.

(فإن اجتمعوا على رجل): ورأوه صالحاً لهذا الشأن وعقدوا له ورضوه.

(وسموه إماماً): وقالوا: هذا إمام المسلمين وأميرهم.

(كان ذلك لله رضاً): لأن ((ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن))، وبعد إجماعهم عليه فهو الحق الذي لا يُعْدَلُ عنه، إذ لا يجتمعون على ضلالة.

(فإن خرج من أمرهم خارج): يريد مما أجمعوا عليه هاهنا.

(بطعن): في الإمام على غير بصيرة وحق.

(أو بدعة): فسق وتمرد.

(ردوه): بالمراجعة والمناظرة و إيضاح الخطأ لماهو عليه.

(إلى ما خرج منه): وهو إمامة الإمام المجمع على إمامته.

(فإن أبى): إلا الفسق والتمرد والطعن

(قاتلوه): حاربوه.

(على اتباع(1) غير سبيل المؤمنين):على فسقه وخرقه للإجماع، وخروجه عمَّا عليه المسلمون.

(وولاَّه الله ما تولَّى): من عذابه ونكاله في الآخرة لأجل فسقه، وهذا كله تعريض بحال معاوية، وتحذير له عن البغي والتمرد والمخالفة للحق، وإيضاح للأمر(2) له.

(ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك): العمر قسم قد مرَّ تفسيره، لئن كان نظرك عن عقل وبصيرة وتروي في الحق واتباع له وانقياد لأمره.

(دون هواك): يريد ولم تحكِّم هواك ولم تكن سِيْقَةً له.

(لتجدنَّي أبرأ الناس من دم عثمان): لأنه لم يكن تعويلة ولا ديدنه الذي يصول به إلا أنه ثائر بدم عثمان، فلهذا كان سبباً للخروج والبغي على أمير المؤمنين.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: على اتباعه.

(2) في (ب): الأمر.

(1604/5)

(ولتعلمن أني كنت في عزلة منه(1)): جانب ومعزل لا علقة لي به، وكيف يظن بمثلي أن يكون من جهتي أمر يكون فيه إهدار دم رجل من أفناء المسلمين فضلاً عن دم عثمان كلا وحاشى!.

(إلا أن تتجنى): تتجرَّم عليَّ بجرم لم أجترمه، وهذا الاستثناء يكون منقطعاً لعدم اتصاله بما قبله، وفي المثل: أجناؤها أبناؤها(2)، أي الذين جنوا على هذه الدار بالخراب والهدم هم الذين كانوا بنوها، وهذا المثل خارج عن القياس لأن فاعل لا يجمع على أفعال، ولعل المثل: جناتها بُناتُها، فإن كان هذا فالمثل مستقيم، وإن كان على الرواية الأولى فقد يغتفر في الأمثال ما لا يغتفر في غيرها من الخروج عن القياس.

(فتجنَّ ما بدا لك!): ما هذه يحتمل أن تكون موصولة، أي فتجرَّم الذي تحبّ وتريده، ويحتمل أن تكون نكرة موصوفة، وتقديره: فتجرَّم شيئاً ظهر لك.

(7) ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً

(أما بعد، فقد أتتني منك موعظة موصَّلة): يريد موعظة طويلة يتصل بعضها ببعض لطولها.

(ورسالة مُحَبَّرة): تحبير الكلام: تزيينه وتحسينه.

(نَمَّقتها بضلالك): التنميق: التزيين أيضاً، قال النابغة:

كأن مجر الرامسات ذيولها

عليه(3) قضيم نَمَّقَته الصوانع(4)

وأراد زينتها بما أودعتها من المكر والخديعة بزعمك.

---

(1) في شرح النهج: عنه.

(2) المثل في لسان العرب 519/1: أبناؤها أجناؤها. (انظر الأقوال الواردة في شرحه هناك).

(3) في (ب): عليها.

(4) البيت للنابغة الذبياني، وانظر لسان العرب 723/3، والرامسات: الطير التي تطير بالليل أو كل دابة تخرج بالليل، والقضيم: الجلد الأبيض يكتب فيه. (انظر القاموس المحيط).

(1605/5)

(وأمضيتها بسوء رأيك): وجعلتها ماضية فيما دلت عليه من المخالفة، والخروج عن الحق بالرأي السوء، المخالف للدين،والناكب عن طريقه.

(وكتاب امرئ): أي وكتابك كتاب امرئٍ.

(ليس له بصر يهديه): بصيرة ترشده إلى الحق.

(ولا قائد يرشده): يأخذه(1) بزمامه إلى طريق الرشاد.

(قد دعاه الهوى فأجابه): أراد أن هواه صار مالكاً له، يصرِّفه كيف شاء فلا حيلة له معه.

(وقاده الضلال فاتَّبعه): يريد وضلاله عن الحق هو القائد له، ومن كان مقوداً بزمامه في يد غيره فلا ملك له في نفسه، ومن كانت هذه حالته ملكه الشيطان واستولى عليه.

(فهجر لاغطاً): الهجر: الهذيان، واللغط: الأصوات الكثيرة واللجبة(2).

(وضلَّ خابطاً): وضلَّ عن الطريق يخبط على غير جهة مستقيمة، كمن تخبط من غير هداية ولا إرشاد، وانتصاب لاغطاً وخابطاً على الحال من الضميرفي الجملة قبلها، وهي حال مؤكدة؛ لأنها معطية فائدة الجملة قبلها، كهي في مثل قوله تعالى: {وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا}[البقرة:91].

ثم خرج إلى ذكرالبيعة بقوله:

(لأنها بيعة): أراد ليست من عقود المعاوضات، وإنما نكَّرها مبالغة في عظم شأنها، أي بيعة وأي بيعة لما ينشأ عنها من الأمور المهمة، ويتفرع(3) عليها من الفوائد الدينية.

(واحدة): لا يكون فيها تكرير.

سؤال؛ التاء في بيعة دالة على الوحدة، فلِمَ أردفه بقوله: واحدة؟

---

(1) في (ب): يأخذ.

(2) اللجب محركة: الجلبة والصياح واضطراب أمواج البحر. (القاموس المحيط ص171).

(3) في (ب): ويتفرغ.

(1606/5)

وجوابه؛ هو أن دلالة التاء على الوحدة ليس أمراً قاطعاً، ولهذا فإنها قد ترد والغرض فيها الجنس لا الوحدة كالزلزلة، فلهذا وصفها بالوحدة رفعاً لهذا الوهم، وإزالة له، كما قال تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ}[الحاقة:13].

(لا يُثنّى فيها النظر): يرجع إليه مرة بعد مرة.

(ولا يستأنف فيها الخيار): ولا يبتدأ فيها خيار لمن بلغته.

(الخارج عنها(1)): بالرد لها، والتكذيب.

(طاعن): أي ذو طعن على المسلمين، ومريد لتفريق كلمتهم، وتبديد شملهم.

(والمروِّي فيها): والمتفكر فيها بعد جريان العقد لصاحبها، وانبرام الأمر له من جهة أهل الدين.

(مداهن): المداهنة: المصانعة.

وأقول: إن هذا هو غاية النصح والرشد لمعاوية لو قَبِلَهُ.

(8) ومن كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية

(أما بعد، فإن(2) أتاك كتابي): بلغك وقرأته.

(فاحمل معاوية على الفصل): بالصاد المهملة أي على القطع والحتم فيما هو فيه، واالجد الذي لا هوادة له ولا مهازلة(3) فيه.

(وخذه): عامله، من قولهم: فلان يأخذ اليهود بالصَّغار أي يعاملهم.

(بالأمر الجزم(4)): فيما يجري بينكما من المحاورة بالأمر بالجزم، يروى بالجيم، أي بالأمر المقطوع به، ويروى(5) بالحاء أي ضبط الأمر وشده(6)، وأراد أنه إذا فعل ذلك فلعله يَسْلَمُ من مكر معاوية وخدعه، ولعل أمير المؤمنين أراد ذلك؛ لأنه إذا عامله معاملة الجد لم يجد سبيلاً إلى الخديعة.

---

(1) في شرح النهج: منها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في شرح النهج: فإذا.

(3) في (ب): ولا مهلة له فيه.

(4) في (ب): الحزم.

(5) في (ب): وروي.

(6) في نسخة أخرى: وشدته.

(1607/5)

(ثم خيِّره): بعد فعلك ما أمرتك به من الجزم(1).

(بين حرب مجليَّة): أراد إما أنها تجلي القوم عن أوطانهم أي تخرجهم عنها، وإما ينفرجون(2) بسببها أي يتفرقون، من قولهم: أجلوا عن القتيل إذا تفرقوا عنه(3).

(أو سلم مخزية): أو وضع الحرب على الخِزي والذلة.

سؤال؛ قد فهمنا أن الحرب يصاحبها الجلاء والتفرق، فكيف قال: أو سلم مخزية، والسلم مسالمة، ومصالحة فمن أين يلزمها الخزي؟

وجوابه؛ هو أن أمير المؤمنين لو سالمه ووضع الحرب عنه، لم يكن ذلك إلا على ما يُهينه ويُذِلُّه ويسقط حاله وقدره، وهو ألاّ يكون له أمر ولا حلٌّ ولا عقد، ولهذا قال: أو سلم مخزية، يشير إلى ما ذكرناه.

(فإن اختار الحرب فانبذ إليه): العهد الذي جرى بيننا وبينه، وأظهر أنه لا مصالحة واقعة الآن.

(وإن اختار السلم): وضع الحرب بيننا وبينه.

(فخذ بيعته): على السمع والطاعة والانقياد لأمر الله، والاحتكام لي من غير مخالفة منه.

(والسلام): أراد والسلام على من اتبع الهدى، أو والسلام منَّا على أهله، والسلام هو تحية من عند الله، ومعناه السلامة(4) جارية عليك أيها المخاطب، ولم يفعل ذلك في أوائل كتبه إلى معاوية وغيره ممن يخالفه ويضاد أمره؛ لأن من هذه حاله فليس أهلاً للسلامة من الله تعالى.

(9) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(فأراد قومنا): سائر بطون قريش ما خلا بني هاشم.

(قتل نبينا): إهدار دمه بغياً وحسداً.

واعلم: أن الرسول عليه السلام قد هُمَّ بالفتك في روحه في مواطن أربعة من قريش وغيرهم:

---

(1) في (ب): الحزم.

(2) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: ينجلون بسببها.

(3) في مختار الصحاح ص108: وأَجْلَوْا عن القتيل لا غير أي انفرجوا.

(4) في (ب): السلام.

(1608/5)

أولها: ما كان من قريش حين اقتعدوا له يريدون قتله على بابه، فجاءه جبريل فأخبره بمقامهم، وأنزل عليه صدر سورة يس، فخرج يقرؤها وحثا التراب على رؤوسهم(1).

وثانيها: ما كان من اشتوارهم في أمره في دارالندوة، وإجماعهم على الرأي الذي جاء به إبليس، وهو أن يجتمع فتيان من قريش، من كل قبيلة واحد فيضربونه ضربة ضربة(2) فيتفرق دمه في قبائل قريش، فلا يطالب به أحد(3).

---

(1) انظر سيرة ابن هشام 2/96-97 تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(2) في نسخة أخرى: ضربة واحدة، وظنن في (ب) فكتب فوقها: ظ: ضربة واحدة.

(3) في المصابيح لأبي العباس الحسني ص225 ما لفظه: قال ابن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنهم غدوا إليها -أي دار الندوة، دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها -في اليوم الذي اتعدوا له، فاعترضهم إبليس فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد يعنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأغلقوا عليه باباً، فقال إبليس: لا والله ما هذا برأي لئن حبستموه ليرقينَّ أمره إلى أصحابه، وفي نسخة: ليرجعن، فلأوشك أن يثبوا عليكم فينتزعونه من أيديكم.

فقال قائل: ننفيه من بلدنا، فلا نبالي أين يذهب._ ... _قال إبليس: ما هذا لكم برأي، ولو فعلتم ما أمنت أن يحل على حي فيبايعونه فيسير إليكم بهم.

فقال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة شاباً نسيباً ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فيتفرق دمه في القبائل.

فقال إبليس: القول ما قال هذا الرجل، فتفرقوا على ذلك، فأتى جبريل رسول الله فقال له: ((لا تبت هذه الليلة على فراشك)).

(1609/5)

وثالثها: ما كان من عمرو بن جحاش وقد قعد رسول الله تحت جدار، فأراد أن يلقي عليه صخرة من فوق(1)، فجاءه جبريل فأقامه من تحت ذلك الجدار(2).

ورابعها: هو أن رجلاً استلَّ سيف الرسول فلما صار في يده هَمَّ بقتله، وقال: من يمنعني منك؟ فقال: ((الله)) ثم نزلت الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ

يَبْسُطُوا...}الآية[المائدة:11](3).

(واجتياح أصلنا): اجتاحه إذا استأصله، يريد بني هاشم، فإن سائر بطون قريش وأحلافها نصبوا لهم العداوة العظيمة بسبب الرسول عليه السلام.

(وهموا بنا): أي قصدوا.

(الهموم): أراد إما إنزال الهموم بنا والغموم من جهتهم، وإما يريد وقصدوا بنا فعل كل ما يهم في نفوسهم، ويخطر على قلوبهم من الأفعال الرديَّة.

(وفعلوا بنا الأفاعيل): أراد إما الأفاعيل القبيحة، وإما الأفاعيل ذات الألوان في القبح والشناعة.

---

(1) في (ب): من فوقه.

(2) في الكشاف للزمخشري 648/1 ما لفظه: وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى بني قريظة يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين، فقالوا: نعم، يا أبا القاسم، اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به، وعمد عمرو بن جحاش إلى رحا عظيمة يطرحها عليه، فأمسك الله يده، ونزل جبريل فأخبره، فخرج.

(3) في المصدر السابق أيضاً 648/1 ما لفظه: نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاة يستظلون بها، فعلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي فسلّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أقبل عليه فقال: من يمنعك مني؟ قال: ((الله)) قالها ثلاثاً.

(1610/5)

(ومنعونا العِذَاب(1)): أراد العيش الطيب، يشير بهذا إلى ما كان من حديث الصحيفة، وهو أن قريشاً تعاقدوا حلفاً على إخراج بني هاشم إلى الشعب، وهو مكان من أودية مكة، فاحتلفوا أن لا يصلهم أحد بطعام ولا شراب، وكتبوا بينهم صحيفة متضمنة لما ذكرناه، ثم وضعوها في الكعبة، والكاتب لها منصور بن عكرمة، ثم استمر الأمر في ذلك حتى قام في نقضها جماعة من قريش، فجاءوا وإذا الصحيفة قد أكلتها الأرضة، ومنصور هذا شلت أنامله(2).

(وأجلسونا(3) الخوف): أي مجالس الخوف، وهذا من باب الإسناد المجازي كقولك: فلان بحر، وتعليقها(4) الأسراج والألجام.

(واضطرونا إلى جبل وعر): أراد إما الحقيقة وهو ما كان من حديث الشعب، وإما أن يريد المجاز أي إلى الأمر الصعب الشديد.

(وأوقدوا لنا نار الحرب): أي ورمونا عن قوس واحدة بالحرب، واجتمعت آرائهم عليه حتى مابقي منهم بطن واحد إلا وهو محارب لنا، وناصب للعداوة من أجلنا.

(فعزم الله لنا): أي أراد لنا وقطع على ذلك، من قولهم: عزمت على الشيء إذا قطعت عليه، قال الله تعالى: {فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}[طه:115] أي قطعاًعلى ذلك.
(على الذب عن حوزته): المنع عن حوزة الإسلام، وهي: بيضته.

---

(1) في (ب): الغذاء، وفي شرح النهج: العَذْب.
(2) في (ب): قد سلت أنامله، وعن حديث تحالف قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى بني هاشم وكتبهم لصحيفة المقاطعة وما كان منهم من حصار بني هاشم في شعب مكة، وقيام جماعة من قريش في نقض الصحيفة انظر ذلك كله بالتفصيل في شرح ابن أبي الحديد52/14-61.
(3) في شرح النهج: وأحلسونا الخوف بالحاء المهملة أي ألزموناه.
(4) في (ب): ويعلقها.

(1611/5)

(والرمي من وراء حرمته(1)): الحرمة: ما يمنعه ويكون العار عليه باجتياحه وأخذه من مال أو حريم أو غيرذلك، وأراد بالرمي إما حقيقته وهي المحاماة(2) بالنبال، وإما أن يريد بالرمي الدفع، والضميران في الحوزة والحرمة إما لله تعالى، وإما لرسوله.
(مؤمننا(3) يبتغي بذلك الأجر): يشير إلى نفسه، وإلى من آمن في ذلك اليوم من بني هاشم، فإن دفاعه إنما كان من أجل الله تعالى، وطلباً لما عنده من مذخور الأجر.
(وكافرنا يحامي على(4) الأصل): أراد من كفر(5) من بني هاشم نحو حمزة والعباس وأبو طالب وغير هؤلاء، ممن كان كافراً في ذلك اليوم، فإنه لا غرض له بالدفاع(6) إلا محاماة على الأصل والجرثومة أن تضيع أو ينهدم أصل من أصولها، وتزول قاعدة من قواعدها، ونذكر من ذلك أموراً ثلاثة:
أولها: ما كان من عناية أبي طالب في حق الرسول، وكان كافراً مظهراً للكفر وعبادة الوثن، وما كان من حديث قريش إليه من أنه يسلِّم إليهم الرسول يفعلون به ما شاءوا ويعطونه عمارة، فأبى عن ذلك، وشرح الله صدره،وقال: أعطيكم ابن أخي تقتلونه، وتعطونني صاحبكم أكفله وأربيه، ماهذا إلا الرأي السوء(7).

---

(1) في شرح النهج: حومته.
(2) في (ب): المحامات.

(3) في (أ):مؤمناً، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(4) في شرح النهج: عن، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(5) في (ب)، ونسخة أخرى: من كفار.

(6) في (ب): في الدفاع.

(7) في نسخة أخرى: إلا رأي السوء، وانظر السيرة النبوية لابن هشام 266/1-267 تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

(1612/5)

وثانيها: ما كان من حديث حمزة لما نال أبو جهل بن هشام من عرض رسول الله بالسبِّ والأذية، فبلغه ذلك، وكان يصطاد على يد امرأة، وقالت له: لقد نال أبو الحكم من ابن أخيك نيلاً عظيماً، فدخل مغضباً، فلما رآه في فناء الكعبة علاه بقوسه فشجَّه شجَّةً منكرة، فتواثب الناس، فقال أبو جهل: إنه معذور، إني نلت من عرض ابن أخيه، وكان ذلك سبباً في إسلام حمزة(1).

وثالثها: ما كان من حديث العباس واجتهاده في أمر رسول الله في بيعة العقبة، ومبايعته للأنصار(2)، وهو باقٍ على الشرك و الكفر، ووصيته لهم في حقه والحثُّ لهم على منعه، والتأكد عليهم في ذلك(3)، فكل بني هاشم كان حريصاً على الرسول عليه السلام عن أن تجرى عليه نكبة، أو يضام بضيم.

---

(1) انظر المصدر السابق 291/1-292، وانظر تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص226-228 برقم(187).

(2) في (ب): ومبايعة الأنصار.

(3) حديث العباس بن عبد المطلب للأنصار عند بيعة العقبة نصه: (يا معشر الخزرج، إن محمداً منَّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده). (انظر سيرة ابن هشام441/1-442).

(1613/5)

(ومن أسلم من قريش خِلْوٌ عما نحن فيه): أي والذين أسلموا من سائر بطون قريش خالين عن مثل هذه العناية، وهذا الاجتهاد والخوف والبلاء والتمحيص، وإنما خصَّ المسلمين من قريش لأنهم ربما تلحقهم أنفة الإسلام، فإذا كانوا خالين عن ذلك، فالكفار أعظم خلواً وأبعد عن ذلك، فلا ناقة لهم في هذا ولا جمل.

(بحلف(1) يمنعه):كما كان من حديث أبي بكر فإنه كان جاراً لابن الدُّغَنَّة، وما أمكنه المقام في مكة إلا بجواره، وهو حليف لقريش(2)، وأما عثمان بن مظعون فإنه استجار بالوليد بن المغيرة، ثم أبو سلمة بن عبد الأسد(3) كان في جيار(4) أبي طالب إلى غيرذلك(5)، ممن كان مستضعفاً فاستجار(6).

(أو عشيرة تقوم دونه): كما كان في حق الرسول فإن بني هاشم منعوه عن أن يسام خسفاً أو يحمل ضيماً.

---

(1) في نسخة: لحلف (هامش في ب).

(2) انظر قصة دخول أبي بكر في جوار ابن الدُّغنّة سيرة ابن هشام 1/372-374.

(3) في (ب): الأشد، وهو تصحيف.

(4) كتب فوقها في (ب): جوار، ولعلها حياز بالحاء.

(5) انظر المصدر السابق 1/369-372.

(6) في نسخة: استجاره.

(1614/5)

وحكى ابن هشام في سيرته: أن ناساً من أسنان قريش ورؤسائها(1) منهم أبو سفيان واسمه صخر، وأبو جهل بن هشام، وأبو البختري بن هشام، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، مشوا إلى أبي طالب وقالوا له: إن ابن أخيك هذا سفه أحلامنا وعاب آلهتنا، فإما أن تكفّه عنَّا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فقال أبو طالب لرسول الله: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني فقالوا هذه المقالة فَأَبقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني ما لا أطيق من الأمر، فظنَّ رسول الله أن عمه قد بدا له في نصره وأنه مُسلّمه إليهم، وأنه قد ضعف عن(2) نصرته، فأقبل الرسول على عمه وقال: ((والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى أظهره أو أهلك فيه ما تركته)) ثم استعبر رسول الله فبكى، ثم قام، فلما ولى ناداه عمه أبو طالب فقال له: أقبل يا ابن أخي فأقبل، ثم قال: إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً(3).

وهكذا ما كان من عثمان وعمر، فإن بني عبد شمس وبني عدي كانوا يمنعونهما عن(4) أن يجري

عليهما نقص، فمن عدانا من سائر بطون قريش:

(فهو من القتل بمكان أمن): إذ لا غرض لهم في قتلهم(5)، وما تصدوا بالقتل والعداوة البالغة إلا لنا يا بني هاشم.

(فكان رسول الله [صلى الله عليه وآله] (6) إذا احمرَّ البأس): يريد اشتدَّ الحرب وقامت على ساق.

---

(1) في (ب): ورؤسائهم.

(2) في (ب): في.

(3) السيرة النبوية لابن هشام 264/1-266، وانظر الرواية في المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ص183، وشرح النهج لابن أبي الحديد 53/14-54.

(4) عن، سقط من (ب).

(5) في (ب): قتله.

(6) زيادة في (ب) و في شرح النهج.

(1615/5)

(وأحجم الناس): عن التقدم في القتال لشدة الأمر وصعوبة الحال.

(قدَّم أهل بيته): من يليه من أقاربه وبني عمه وخاصته.

(فوقى بهم أصحابه): تمحيصاً لأهله ومبالغة في زيادة أجورهم، ورفع درجاتهم، واجتهاداً في صيانة أصحابه فلهذا وقاهم به.

(حرَّ السيوف والأسنة): إكراماً لأهله بالشهادة، وإعظاماً لأمر أصحابه.

(فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر): يريد ابن عبد المطلب، وكان الحارث أكبر أولاد عبد المطلب، وكانوا عشرة(1)، قتل يوم بدر عن مبارزة لبعض المشركين(2).

(وقتل حمزة يوم أحد): قتله وحشي(3).

(وقتل جعفر يوم مؤتة): وكان معه الراية فقطعت يداه، ثم قطع بنصفين(4).

(وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة): يشير إلى نفسه؛ لأنه قد كان محباً في حصول الشهادة في تلك الأيام، ولكن الرسول عليه السلام أخبره أنه يستشهد من بعد، فقرَّ خاطره بذلك.

(ولكن آجالهم عجلت): فأزهقت أرواحهم إلى الجنة.

(ومنيته أخرِّت): لم تحضر، أجلها إلى وقت آخر.

(فيا عجبا للدهر!): أراد يا عجباه أو يا عجبي، أبدلت الياء ألفاً، من أجل صنع الدهر هذا الصنع.

(1) أي من الذكور، وهم: عبد الله، وأبو طالب، والعباس، وحمزة، والزبير، والحارث، وحجلا، والمقوم، وضرار، وأبو لهب. (انظر سيرة ابن هشام75/1).
(2) انظر المصدر السابق 214/2.
(3) انظر المصدر السابق 3/24-26.
(4) انظر المصدر السابق 9/4.

(1616/5)

(إذ صرت يقرن بي): العامل في إذ هاهنا هو المصدر، وهو قوله: فيا عجباً لأنه نازل منزلة الفعل وعوض عنه، ولهذا فإنه لا يجوز ذكره معه، أي وقت أن صرت أقرن إلى غيري وأكون مثلاً له، لئن معاوية ربما جرى في كلامه حال عثمان وغيره من الخلفاء قبله، وذكر مناقبهم وتفضيلهم على أمير المؤمنين، فلهذا قال: كيف يقرن بي، ويُفَضَّلُ عليَّ.

(من لم يسع(1) بقدمي): في الفضل وإحرازي لقصب(2) السبق دون غيري في العلوم وسائر خصال الفضائل.

(ولم تكن له كسابقتي): من القرب إلى رسول الله، وجهاد أعدائه، واستئصال شأفتهم، وقطع دابرهم.

(التي لا يدلي أحد بمثلها): فمن يزاحمني في هذه الدرجة؟! أو فمن ترمز إليه يا معاوية بزعمك، وتدَّعي أنه أفضل مني؟!.

(إلا أن يدَّعي مدَّعي(3) ما لا أعرفه): مما ذكرت اختصاصي به دونه.

(ولا أظن الله يعرفه): وأراد أنه قاطع على أنه لم يكن وأن مدّعيه كاذب فيما ادَّعاه من ذلك؛ لأنه لو كان يعلمه، لعلمه الله تعالى(4) فإن علمه محيط بكل المعلومات، وعدة من قتله أمير المؤمنين كرم الله وجهه من بني أمية خمسة نفر:

العاص بن سعيد، وعقبة بن أبي معيط، وحنظلة بن أبي سفيان، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

ومن حلفائهم: عامر بن عبدالله من بني أنمار، ومن بني أسد أربعة نفر: نوفل بن خويلد، وزمعة بن الأسود، [والحرث بن الأسود] (5)، وعقيل بن الأسود بن المطلب، وقتل من بني نوفل: طعيمة بن عدي.

---

(1) في (أ): يسمع، وفي (ب) وشرح النهج كما أثبته.
(2) في (ب): لقصبه، وكذا في نسخة أخرى.
(3) في (ب) وفي شرح النهج: مدعٍ.

(4) تعالى، زيادة في (ب).

(5) سقط من (ب). والصواب: الحرث بن زمعة بن الأسود.

(1617/5)

ومن بني عبد الدار: النضر بن الحرث، [وطعيمة بن الحرث](1).

ومن بني تيم(2) بن مرة: عمير بن عثمان، ومن بني مخزوم: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، ومسعود بن لعبة(3).

وأبو قيس(4) وحذيفة بن أبي حذيفة [و](5) من بني عائذ أبو المنذر المخزومي، وعبد الله بن المنذر، والحاجب بن السائب.

ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج، والعاص بن منبه، وأبو العاص بن قيس.

ومن بني عامر: سعيد بن وهب(6).

ومن بني جمح(7): أوس(8) بن سعيد(9).

فانظر إلى ما خصَّه الله به من إظهار الدين على يديه بقتل أعدائه قبل النبوة وبعدها.

(فالحمدلله(10) على كل حال): من نقص حق أو إيفائه أو اعتراف به أو إنكاره، أو إقراركم بفضلي أو جحوده، فالله تعالى مشكور على كل هذه الأحوال.

---

(1) في (ب): والحرث بن الأسود.

(2) في (ب): ومن بني تميم.

(3) هكذا في النسختين، ولعل الصواب: مسعود بن أبي أمية بن المغيرة. (انظر سيرة ابن هشام، وشرح ابن أبي الحديد).

(4) وهو أبو قيس بن الوليد بن المغيرة.

(5) الواو، سقط من (ب).

(6) في سيرة ابن هشام، وشرح ابن أبي الحديد: معبد بن وهب.

(7) في (ب): جميح.

(8) هكذا في النسختين، وفي سيرة ابن هشام361/2: أوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح، وفي شرح ابن أبي الحديد 212/14: أوس بن المغيرة بن لوذان.

(9) انظر سيرة ابن هشام 355/2-362، وشرح ابن أبي الحديد 208/14-212.

(10) في (ب) وفي شرح النهج: والحمدلله.

(وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك): اعلم أن معاوية بخدعه ومكره ما وجد ما يعتلُّ على أمير المؤمنين في البغي عليه إلا ثأره بدم عثمان، وتسليم قاتليه إليه يتحكم فيهم كيف شاء(1)، خدعاً ومكراً، وإراءة لطلب الحق، وهو عنه بمعزل.

(فإني نظرت في هذا الأمر): يشير إلى إمامته وقتلة عثمان، وطلب معاوية لتسليمهم.

(فلم أره يسعني): عند الله تعالى من جهة الدين.

(دفعهم إليك): كما زعمت، ولا إلى غيرك، أما إليك فلأمرين:

أما أولاً: فلعل أمير المؤمنين كان لا يعلمهم بأعيانهم لأنه قتله من لا يؤبه له، ولا هو أهل للذكر من أوباش الناس وأخلاطهم.

وأما ثانياً: فلأنك لست بولي لدم عثمان فيجب الدفع إليك، والمطالبة بالدم إنما تكون في حق الأولياء والأقارب على جهة الاختصاص، وأما غيرك فلا يتوجه ذلك أيضاً لأمرين:

أما أولاً: فلأنهم وإن كانوا أقرباء فلعلهم لم يطالبوا أمير المؤمنين بالتسليم، ولو قدَّرت أنه عرفهم بإقرار أو بيِّنة، فإنه لا يجب تسليمهم إلا عند المطالبة من جهة الأولياء لا غير.

وأما ثانياً: فلأن بعض أولياء الدم كانوا في غاية النكوص والإدبار عن أمير المؤمنين، والبعد عن إمامته، والقول بها، ولابد في ذلك من حكمه، وإصداره عن رأيه، وإذا كان لايقول بإمامته فلا وجه لوجوب القول بتسليمهم إليهم والحال هذه، فهذا وجه المعذرة لأمير المؤمنين عن تسليمهم، وإبطال دعوى معاوية الفاسدة.

(ولعمري لئن لم تنزع عن(2) غيك): تهدد وإرعاد بالفيء إلى الحق، والانكفاف عن القول الخطأ والمكابرة.

(وشقاقك): تمردك وعنادك، وطلبك ما ليس لك أن تطلبه.

(لتعرفنهم عن قليل): يريد قتلة عثمان، تعرفهم على القرب:

---

(1) في (أ): شاءوا.

(2) في نسخة: من، هامش في (ب).

(يطلبونك، لا يكلفونك(1) طلبهم): يبحثون عنك أشد البحث من غير حاجة لك إلى طلبهم كما زعمت.

(في بر ولا بحر، ولا جبل ولا سهل): ولعل مراد أمير المؤمنين بطلبهم لمعاوية على أحد وجهين:

أما أولاً: فبأن يكونوا في معسكر أمير المؤمنين طالبين لمعاوية لفسقه وبغيه.

وأما ثانياً: فبأن يأمرهم على الخصوص بطلب معاوية، وإحضاره لفصل الخصومة فيما بينهم، وقطع الشجار.

(إلا أنه طلب يسوءك وجدانه): وجوده وحصوله، أما على الوجه الأول فلأنه طلب لإزهاق روحه، وأما على الوجه الثاني فلأنه طلب لإنصاف الحق منه، وكلاهما طلب لا يسره.

(وَزَوْرٌ لا يسرك لقيانه): مكان زور أي بعيد، وأراد أنه لا يسره لما فيه من إيحار صدره، وضنكه عليه.

(والسلام لأهله): أراد عدم استحقاقه للسلام، وبطلان أهليته له، فلهذا قال: والسلام لأهله من الملائكة والصالحين، ثم أخَّره إلى آخر الكتاب، يريد بذلك التنبيه على ركة حاله، وأنه ليس أهلاً لشيء من ذلك.

(10) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً

(وكيف أنت صانع إذا انكشفت(2) عنك جلابيب ما أنت عليه): الجلباب: الملحفة من الثياب، وهذا استفهام وارد على جهة الإنكار، والمعنى ليت شعري ما حالك عند انكشاف هذه الجلابيب عنك عند الموت، أو في يوم القيامة التي أنت لابس لها، والتي أنت مقيم عليها.

(من دنيا قد تَبَهَّجَتْ بزينتها): البهجة: الحسن والنضارة، ومن هذه مفسرة لإبهام قوله: ما أنت عليه.

(وخدعت بلذتها): يريد آثروا لذتها، فكان سبب الخدع بهم من جهتها.

(دعتك): بزخرفها وزهرتها.

(فأجبتها): مسارعاً في تحصيلها، ومنهمكاً في لذاتها.

(وقادتك): جذبتك بزمامك.

---

(1) في (ب): ولا يكلفونك.

(2) في شرح النهج: تكشفت.

(فاتبعتها): من غير مخالفة لها، ولا اعتياص(1) منك لها.

(وأمرتك): بمراداتها وشهواتها ولذاتها.

(فأطعتها): في ذلك كله.

سؤال؛ أراه أطلق الخطاب في الابتهاج والخدع، ولم يظهر فيه الكاف، ثم أظهرها بعد ذلك في سائر الأفعال؟

وجوابه؛ هو أن الابتهاج والخدع عام في جميع أبناء الدنيا، لا يختص به واحد دون واحد، فلهذا أطلقه لعمومه، فأما الدعاء والانقياد والأمر فربما يختص به بعض الأشخاص بكثرة المثابرة عليها، والتعلق بها، وكثرة الانهماك في حبها والإصغاء إليها، فمن أجل هذا وصل به الكاف.

(وإنه يوشك): أي يقرب.

(أن يقفك واقف): أراد إما الله يقفه عند الموت على حقائق أعماله، وأسرارها وخفاياها، وإما أن يريد نفسه بأن يقفه في الحرب، ويلجيه إلى مضائق صعبة، وأمور هائلة.

(على ما لا ينجيك منه منجي(2)): لا خلاص لك عن أحد الأمرين اللذين ذكرناهما، ولا ينفعه(3) عنهما نافع.

(فَاقْعَسْ عن هذا الأمر): اخرج، من قولهم: تقعوس الرجل عن الأمر إذا ظهر منه، وغرضه أنه لا حق لك فيه بزعمك ولا ولاية لك عليه في حال، وأراد الخلافة فإنه أخذها من غير أهلية، وطلبها من غير استحقاق.

(وخذ أهبة الحساب): لعدته في الآخرة، فإنك لا محالة مسئول عن أمورك كلها، وإقدامك فيها وإحجامك.

(وشَمِّر لما قد نزل بك): من جلائل الأمور، وعظائمها بقطع الدابر بالحرب(4) واستئصال شأفتك.

(ولا تمكِّن الغواة من سمعك): فيولجوا فيه العُجْبَ، فيكون سبباً في هلاكك في الدين والدنيا، وغرضه الإصغاء إلى مقالات الناس، وفتح أذنه لسماع كلامهم.

---

(1) في (ب): ولا اعتراض.

(2) في (ب) وفي شرح النهج: منج.

(3) في نسخة: ولا ينفعك. (هامش في ب).

(4) في (ب): في الحرب.

(وإلاَّ تفعل): إما خروجك عن الأمر(1)، وإما تمكين الغواة من سمعك.
(أُعْلِمْك، ما أَغْفَلْتَ عن(2) نفسك): من أمر الآخرة ونسيانك الوقوف بين يدي الله للمحاسبة على القليل والكثير.
(فإنك مترف): أراد كثير التنعم وإيثار اللذة العاجلة، فلهذا أطغتك النعمة إلى الأشر والبطر والورود في كل مكروه، وإليه الإشاة بقوله تعالى: {وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[المؤمنون:33].
(قد أخذ الشيطان منك مأخذه(3)): أي سلك بك(4) طرقه وساريك مواضعه، قال أبو عمرو: ويقال: استعمل فلان على الشام وما إخذه(5).
(وبلغ فيك أمله): أي ما كان يؤمِّلُه فيك ويصدِّق ظنّه عليك، ويحدسه بفراسة رأيه من المساعدة والانقياد لما أراده.
(وجرى فيك(6)): خالطك، وباشرك.
(مجرى الروح والدم): أراد إما مخالطة الروح والدم للجسم؛ فإنهما يجريان فيه جميعاً ويخالطانه معاً، وإما أن يكون غرضه مخالطة الروح مع الدم؛ فإن الروح مخالط للدم غاية المخالطة، حتى لقد قال بعض الناس لما بينهما من المناسبة: إن الروح هو الدم.
بلغ أمير المؤمنين أن معاوية يقول: إنهم الولاة لأمور الناس، وإنهم ساسوا الخلق، وجمعوا أمر قريش وغيرها وسادوهم، فلهذا قال أمير المؤمنين:

---

(1) في (ب): عن هذا الأمر.
(2) في (ب) وفي شرح النهج: من.
(3) في (أ): ما أخذه، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى، ومن شرح النهج.
(4) في (أ): به.
(5) هذا القول ذكره في لسان العرب 218/1، ولم يذكر قائله، ولفظه فيه: واستعمل فلان على الشام وما أخذ إخذه بالكسر أي لم يأخذ ما وجب عليه من حسن السيرة، ولا تقل آخِذه، وقال الفراء: ما والاه وكان في ناحيته. انتهى.
(6) في شرح النهج: منك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(1622/5)

(ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية): أراد أعلمني متى كنتم على هذه الحالة، فإني لا أعرف ذلك، ولا يعرفه أحد غيري، والساسة: جمع سائس وهم: الذين يدبرون الأمر، ويحسنون إيالته(1).
(وولاة أمر الأمة): والمتولين بالقيام على أمة(2) محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والحافظين لحوزة

الإسلام، والحامين عن ذِماره(3).

(بغير قدم سابق): يريد رتبة عالية في الذين يستأهلون أخذ الولاية لأجلها.

(ولا شرف باسق): أي عالي، من قولهم: بسق فلان على قومه أي علاهم، وأراد ولا حصل لكم شرف عالي تستحقون به الولاية، وهي لا تستحق إلا بأحد هذين الأمرين وأنتم خالون عنهما.

(ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء): غلبتها واستحكامها، بدعوى ما ليس حقاً، ولا قام عليه برهان، ولا أوضحته دلالة.

(وأحذرك أن تكون متمادياً في غرة الأمنية): الغرة: الغرور والانخداع، وأراد التحذير عن الاستمرار في غرور الأماني الكاذبة، والتسويفات الباطلة.

(مختلف السر والعلانية(4)): أي وأحذِّرك عن اختلاف السر والعلانية فإن هذه هي علامات أهل النفاق، وفي الحديث: ((نهى رسول الله عن ذي الوجهين، وذي اللسانين))؛ لأن من هذه حاله فلا يوثق بكلامه ولا وقع له بحال.

(وقد دعوت إلى الحرب): أسرعت إليها وحشدت جموعك مواظبة عليها، وإذا أردت الإنصاف وركوب غارب التحقق والاعتراف:

(فدع الناس جانباً): أي في جانب ومعزل، وانتصابه على الظرفية أو على الحال من الناس أي منعزلين(5).

(واخرج إليَّ): من بين هذه الجموع التي أنت متوسط بينها بالمكر والخديعة.

---

(1) الإيالة: السياسة.

(2) في (ب): على أمر أمة.

(3) الذِّمار: ما يحق للإنسان أن يحميه.

(4) في شرح النهج: مختلف العلانية والسريرة.

(5) في (ب): معتزلين.

(1623/5)

(وأعفِ الفريقين): من جانبي وجانبك عن القتل وإهراق(1) الأرواح، وإراقة الدماء وأسكنهم عن ذلك وصنهم:

(من(2) القتال): الذي قد تأهَّبوا له، وشَمَّروا من أجله.

(لتعلم): تعليل للخروج، أي لتكون متحققاً بعد خروجك وشخوصك:

(أينا المرين على عقله(3)): المطبوع على قلبه، والرين: الطبع بالغفلة والقسوة، أو المغلوب على

عقله من ران على قلبه أي غلب، وهو أن يرين الذنب على القلب فيكون مسوداً.

(والمغطّى على بصره): بحجاب الغفلة وأكنة الفساد والقسوة، وأغشية العناد والشقوة.

(فأنا أبو حسن): أراد فأنا أب للولد الذي تعرفون، وقد يعظم الأب باعتبار حال الابن، ويعظم الابن باعتبار حال الأب، وأراد ها هنا عظم حال الأب والابن جميعاً، فيكون مقصود التعريف والإعظام من مجموع الأبوة والبنوة معاً، وأراد بهذا الإيقاظ والتنبيه لمعاوية عن سكرة ضلالته(4)، وغمرة جهالته في تعاطيه ما ليس أهلاً له، وارتقائه مكاناً ليس يناله، ثم أزيدك تعريفاً آخر إن كنت جاهلاً بحالي:

(قاتل جدك): عتبة بن ربيعة، وهو أب هند أم معاوية، وهي الآكلة لكبد حمزة تشفياً عمَّا لحقها من الغيظ بقتل من أقاربها(5).

(وخالك): الوليد بن عتبة.

(وأخيك): حنظلة بن أبي سفيان، فهؤلاء وغيرهم من أهل الشرك قتلهم أمير المؤمنين، وكان هو المستولي على قتلهم باتفاق أهل التأريخ وأهل السير، وما شاركه فيهم مشارك إلا على الندرة والقلة(6).

---

(1) في نسخة: وإزهاق، (هامش في ب).

(2) في (ب): عن.

(3) في (ب) وفي شرح النهج: على قلبه.

(4) في (ب): عن سكره وضلاله.

(5) انظر السيرة النبوية لابن هشام 40/3 تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(6) انظر المصدر السابق 278/2-283.

(1624/5)

(شدخاً): الشدخ: كسر الشيء المجوَّف كالهامة وما شاكلها، وانتصاب شدخاً على المصدرية، وهو في موضع الحال أي قاتل هؤلاء شادخاً لهاماتهم، وكاسراً لها.

(يوم بدر): في اليوم العظيم الذي أعزَّنا الله فيه وأذلَّكم، ورفعنا ووضعكم، وشيَّد أمورنا وصغَّركم، وحمى به الحوزة، ودوَّخ من أجله الصناديد منكم والأعزة، وقتل فيه الرؤوس والأكابر، وأورثنا فيه المجد ببلائنا وصبرنا، كابراً عن كابر.

(وذلك السيف): الذي شدخت به الهامات من أعزتك وأهل ولايتك ومحبتك.

(معي): مصاحباً لي لا يزال، ولا أفارقه أبداً.

(وبذلك القلب): الذي لقيتهم به يوم بدر، وكافحتهم بالنصال بحدته(1).
(ألقى عدوي): أنت وغيرك من أعداء الله وأعداء دينه والخارجين عن أمره، والنابذين لطاعته وأمره.
(ما استبدلت(2) ديناً): يخالف التوحيد وما جاء به الرسول إليَّ وأقرَّه في سمعي، ووعته أذناي وقلبي.
(ولا استحدثت نبياً): خلاف من جاء بالرسالة، وعرفت صدقه بالمعجزات الظاهرة عليه.
(وإني لعلى المنهاج): الطريق.
(الذي تركتموه طائعين): يشير بذلك إلى من قتل كافراً من بني عبد شمس مثل عتبة وشيبة ابنا(3) ربيعة وغيرهما من رهطهما، فإنهم ولَّوا الإسلام ظهورهم، واختاروا الكفر لأنفسهم، فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدينا بالقتل، ولعذاب الآخرة أخزى.

---

(1) في (ب): بحديه.
(2) في (ب): وما استبدلت.
(3) هكذا في النسخ، بالرفع، فلعله خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هما ابنا ربيعة.

(1625/5)

(ودخلتم فيه مكرهين): يشير [بذلك](1) إلى من بقي منهم من القتل كأبي سفيان، فإنما دخل مكرهاً يوم الفتح حيث جاء به العباس رديفاً على بغلة رسول الله قد أَمَّنه والمهاجرون والأنصار يتبادرون إلى قتله، لولا إجارة العباس له، فأسلم لذلك، وشهد شهادة الحق على جهة الإلجاء والضرورة عن حزِّ الرأس واصطلام(2) المال، فلما رأى ما دخل به رسول الله من العساكر يوم الفتح، التفت إلى العباس وقال: لقد أعطي ابن أخيك ملكاً عظيماً، فقال له: ويحك! إنها النبوة(3).
(وزعمت أنك جئت ثائراً بعثمان): الزعم: القول الذي ليس على حقيقة(4) من حاله، فإنه كان كثيراً ما يقول معاوية: ما أريد إلا طلب الثأر بدم عثمان.
(ولقد علمت حيث وقع دم عثمان): يريد من غريمه، وأين صار، ومع من هو، فطلبك لي بدم عثمان مع معرفتك بحاله مكر وخديعة وإظهار لشيء، وباطنك مشتمل على خلافه نفاقاً وتمرداً، والثائر هو: الذي يطلب بالدم.
(فاطلبه من هناك): هنا(5) إشارة إلى الأمكنة، وغرضه من الأمكنة التي يعرفها، ووقوعه فيها.
(إن كنت طالباً): أراد إن كنت طالباً على الحقيقة فاطلبه في موضعه، فإن كنت غير مطالب فلاتخدع نفسك بالأكاذيب في الطلب والطمع في غير مطمع من ذاك.
(فكأني قد رأيتك): فعن قريب وقد أبصرتك.

(تضج من الحرب): الضجيج: رفع الصوت خوفاً وجزعاً.

(إذا عضَّتك): كنى بالعضِّ عن القتل الكثير واجتياح الأموال.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) اصطلام المال: استئصاله.

(3) انظر سيرة ابن هشام 2/402-404.

(4) في (ب): الحقيقة.

(5) في (ب): هذه إشارة.

(1626/5)

(ضجيج الجمال بالأثقال): مثل صياح الجمال عند حملها ما يثقلها؛ لأنه إذا كان الأمر كما قلناه ظهرت لها أصوات عظيمة من ثقل ما حمِّلت، وانتصاب ضجيج على المصدرية.

(وكأني بجماعتكم): المجتمعين من أوباش أهل الشام وأجلافهم الذين خدعتهم فانقادوا بزمامك، وزيَّنت لهم الأكاذيب فأحاطوا بك من خلفك وقدامك.

(يدعونني(1) جزعاً من الضرب المتتابع): يشير إلى ما كان من الخديعة من رفع المصاحف لما رأوا الموت عياناً، وبلغت الأرواح منهم التراقي(2)، فلأجل هذا صاحوا خوفاً مما حل بهم من الضرب، المتتابع فيه روايتان:

أحدهما: متتابع أي متدارك بعضه في إثر البعض(3) تابعاً له.

وثانيهما: بالياء بنقطتين من أسفلها، والتتايع: التهافت، وسكران متتايع أي يرمي بنفسه، والريح تتايع بالنفس، قال أبو ذؤيب:

وَمُفْرِهةٍ عَنْسٍ(4) قَدَرْتُ لِسَاقِها

فخرَّتْ كما ريح تَتَّايعُ بالقفلِ(5)

(والقضاء الواقع): الحاصل من جهة الله تعالى على أيدي أوليائه من المؤمنين؛ قطعاً لدابر البغاة.

(ومصارع بعد مصارع): أي يصرعون جماعات بعد جماعات، وجيلاً بعد جيل، لا يرفع عنهم السيف، ولا تكفُّ عنهم الرماح.

---

(1) في شرح النهج: وكأني بجماعتك تدعوني ...إلخ.

(2) التراقي: العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال. (الكشاف 664/4).

(3) في (ب): بعض.

(4) في (ب): عيش، وهو تصحيف، ومفرهة أي خفيفة ونشيطة، والعَنْسُ: الناقة القوية، شبهت بالصخرة لصلابتها.

(5) لسان العرب 341/1، ورواية الشطر الثاني فيه:_ ... _ فخرّت كما تَتَّايَعُ الرِّيحُ بالقَفْلِ

والقفل: ما يبس من الشجر.

(1627/5)

(إلى كتاب الله(1)): يكون حاكماً بيننا وبينهم خديعة(2) ومكراً من معاوية وعمرو في ذلك لما طاشت حلومهم من إزهاق الأرواح، وأرعدت فرائصهم من أفاعيل الصوارم(3) والرماح، {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ}[غافر:84-85].

(وهي كافرة): أراد إما كافرة بأنعم الله تعالى في البغي والظهور على إمام الحق، وهذا هو الذي عليه التعويل، فإنه ما عاملهم معاملة الكفار في حال أصلاً، وإنما هم بغاة، وقد صرَّح بذلك غير مرة وفي غير موطن، أو أراد من يعلم من حاله النفاق والكفر بالله لوجه غير البغي.

(جاحدة): للنعم غير وافية بشكرها.

(أو مبايعة): أعطوني أيمانهم وعقودهم على الطاعة لله تعالى(4) ولي.

(حائدة): مائلة عن الحق والطريق الواضح، فأهل الشام على كثرتهم لا يخلون عن الحال التي ذكرها، وقررها هاهنا.

(11) ومن وصية له عليه السلام أوصى بها جيشاً له

(فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم عدو(5)): أراد أنكم إذا نزلتم ببعض أعدائكم، وأردتم حصارهم، أو نزل بكم بعض الأعداء يريد حصاركم فالرأي الحزم لكم، والأمر الذي يكون نافعاً لكم حسن التصرف في الحرب والمكيدة.

(فليكن معسكركم في قُبُل الأشراف): أراد أن العساكر تكون قدام الأماكن العالية، والأشراف: جمع شَرَف وهو المكان العالي.

---

(1) في (ب): إلى كتاب الله تعالى.

(2) في (ب): خدعاً.

(3) الصوارم: السيوف القاطعة.

(4) تعالى، زيادة في (ب).

(5) في (ب): عدوكم.

(1628/5)

(وأسفاح الأجبال(1)): سفح الجبل: أسفله، والأجبال: جمع جبل كفرس وأفراس.

(أو أثناء الأنهار): غضونها ومعاطفها، وأراد أن العساكر لا تكون مجتمعة في مكان واحد، وإنما تكون متفرقة في هذه المواضع على اختلافها أعلى وأسفل، ورفع وخفض.

ثم قرر ذلك وأبان وجه المصلحة فيه، بقوله:

(كيما يكون لكم ردءاً): أي عوناً تستظهرون بهم.

(ودونكم مَرَدًّا): أي ويردون عليكم من جاءكم يريد القتال، وهؤلاء كلهم عن معظم العسكر وأكثره .

(ولتكن مقاتلتكم): أي قتالكم.

(من وجه أو اثنين): لأن الجموع والعساكر إذا كثرت، وغلبت الحد(2) في الكثرة، كان قتالهم على هذا الوجه أنفع وأوقع من حاله إذا كان من جهة واحدة.

(واجعلوا لكم رقباء): حفاظاً يحفظونكم عن أن تُؤْتَوا على غِرّة أو تخدعون بخديعة لا تشعرون بها.

(في صياصي الجبال): أعاليها.

(ومناكب الهضاب): الهضبة هي: الأكمة المرتفعة، ومناكبها: أعلاها.

ثم ذكر وجه المصلحة في ذلك، بقوله:

(لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن): لأنكم إذا فعلتم ما ذكرته لكم(3) فلا سبيل للعدو إليكم، لا من مكان تخافون منه هجومه عليكم، ولا من مكان تأمنون فيه على أنفسكم لتحصنكم عنه؛ لأن من فعل هذه الأفعال فقد أحرز نفسه عن مكر العدو في المواضع الآمنة والخائفة.

(واعلموا أن مقدِّم(4) القوم عيونهم): أراد أن مقدمة العساكر بمنزلة العيون لها(5) تنظرون ما قدامهم، وهم بمنزلة الأعين لمن يتلوهم من سائر العساكر.

---

(1) في (ب): الجبال، و في شرح النهج: أو سفاح الجبال.

(2) العبارة في (ب): وغلبت الحد الكثرة.

(3) لكم، سقط من (ب).

(4) في شرح النهج: مقدمة، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(5) في (ب): بها.

(وعيون المقدمة طلائعهم): أراد والطلائع أيضاً وهم(1): الفرسان القليلة الذين يطالعون الجيوش نحوهم هم أيضاً، بمنزلة الأعين للمقدمة(2)، وهم العالمون بِكُنْهِ حقائق الجيوش وتفاصيلها ليعلموا(3) ذلك من ورائهم.

(وإياكم والتفرق): عند النزول؛ لأن التفرّق يورث الذلة ويكثر الفشل والدهشة عند إلمام ملمة أو حدوث حادثة .

(فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً): أي مجتمعين.

(وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً): مجتمعين(4).

سؤال؛ قال هنا: (إذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً) وقد قال فيما تقدم: (إذا نزلتم بعدو أو نزل بكم عدو فليكن معسكركم في قُبُل الأشراف، وأسفاح الجبال وأثناء الأنهار) فيكف يمكن أن يجمع بين الكلامين؟

وجوابه؛ هو أن في كلامه ما يزيل المناقضة، وذلك أنه إنما أمر بالتفرق في أشراف الجهات والجبال والأنهار إذا نزلوا بعدو أو نزل بهم عدو لا غير، فالتفرق هناك مصلحة، فأما ما عدا ذلك فالاجتماع هو المصلحة لما أشار إليه من تلك الحكم والمصالح في ذلك.

(وإذا غشيكم الليل): بظلمته شبه دخول الليل واشتماله على كل شيء بالشيء يكون غاشياً لغيره مشتملاً عليه، كما قال تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}[الليل:1].

(فاجعلوا الرماح كِفةً): الكفِة من كل شيء: ما كان(5) مستديراً، وانتصابها على الحال من الرماح.

(ولا تذوقوا النوم إلا غِراراً أو مضمضة): الغِرَارُ: قلة النوم، ويقال: ما مضمضت عيني بنوم أي ما نمت؛ لأن ذلك يكون أعظم للحزم، وأبعد عن الغفلة، وأكثر ما يكون الأخذ والاستئصال في مواطن الغفلة.

---

(1) في (ب): هم، بغير واو.

(2) في نسخة أخرى: المتقدمة.

(3) في (ب): ليعلم.

(4) في (ب): أي مجتمعين.

(5) في (ب): ما يكون.

(12) ومن وصية له [عليه السلام](1) لمعقل بن قيس الرياحي(2) حين أنفذه مقدمة إلى الشام في ثلاثة آلاف

(اتق الله الذي لا بد لك من لقائه): بدَّ الشيء يبدُّه إذا فرَّقه، والتبديد: التفريق، وأراد ها هنا أنه لا تفرّق يبطل التلاقي ويحول دونه بحال حتى يلاقيه، ويجوز أن يكون المراد بقوله: لا بد أي حقاً أنه لا بد من لقائه.

(ولا منتهى لك دونه): أي ولا تنتهي إلى غاية إلا إليه، فإن إليه مصائر الأمور كلها، كما قال تعالى: {أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ}[الشورى:53].

(ولا تقاتلنَّ إلا من قاتلك): أراد أن دماء الناس محرَّمة لا اعتراض إليها، والإسلام مسترسل على الخلق، ودار الإسلام عامة فلا سبيل إلى إهراق الدماء إلا من بغى واعترضك بالقتال.

(وسر الْبَرْدَيْنِ): يعني أول اليوم وآخره؛ لأن فيهما ترويحاً على النفوس وتنفيساً عليها من قائم الظهيرة، أو ظلمة الليل.

(وغوِّر بالناس): أراد بالتغوير القيلولة، من قولهم: غار النهار إذا اشتدَّ حرُّه.

(ورفِّه في السير): أراد سِرْ سيراً ليناً سلساً لا عناء فيه ولا إملال.

(ولا تسر أول الليل): يريد عند دخول الليل، وغشيانه، ثم علل ذلك بقوله:

---

(1) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) هو معقل بن قيس الرياحي، من ولد رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، كان معقل من رجال الكوفة وأبطالها وله رئاسة وقدم، أوفده عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهرمزان لفتح تستر، وكان من شيعة الإمام علي عليه السلام، وجهه إلى بني ساقة فقتل منهم وسبى، وحارب المستورد بن عُلْفة الخارجي من تميم الرباب، فقتل كل واحد منهما صاحبه بدجلة. (انظر نهج البلاغة لابن أبي الحديد 92/15).

(1631/5)

(فإن الله جعله سكناً): يسكن فيه كل من غشيه وأجنه، وإليه الإشارة بقوله تعالى(1): {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}[الأنعام:13].

(وقَدَّره مُقَاماً): يقيم فيه المقيم.

(لا ظَعْناً) أي أنه لم يجعل ظعناً، والظعون هو: التحرّك والانتقال من مكان إلى مكان، ((وقد نهى

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن السير في أول الليل، وأومئ(2) أن ذلك وقت تنتشر(3) فيه الشياطين(4)))، ويقال: أفحموا من الليل أي لا تسيروا في أول فَحْمَته(5).

(فأرح فيه بدنك(6)): عن النصب والتعب.

(وروِّح ظهرك): أعفها يريد الخيل والإبل عن الرواح، وهو اسم للوقت ما بين زوال الشمس إلى الليل.

سؤال؛ هل من تفرقة بين بنائي(7) الفعلين حيث جعل في البدن أراح، وفي الخيل والإبل روح، مع أن المقصود بهما جميعاً هو الاستراحة؟

وجوابه؛ هو أن المعنى فيهما واحد، وهو الأمر بالاستراحة، لكن اختلافهما من جهة تصريف الفعل، فأراح(8) من قولهم: أراح الرجل إذا رجعت إليه نفسه من الإعياء والتعب، وروح من قولهم: روح إبله ترويحاً إذا تركها عن السير في الرواح.

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).

(2) في (ب): فأومى.

(3) في (ب): تسير.

(4) أورد الخبر ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج 93/14.

(5) القول هذا أورده الزمخشري في أساس البلاغة ص335 ولفظه فيه: وفحموا عنكم من الليل وأفحموا أي لا تسيروا في أوله حتى تذهب الفحمة. انتهى، وهو في لسان العرب 1058/2، وفحمة الليل: سواده وظلمته أو أشده سواداً.

(6) في نسخة: نفسك، (هامش في ب).

(7) في (ب): بناء.

(8) هكذا في النسخ، ولعلها: فأرح.

(1632/5)

(فإذا وقفت حين ينبطح(1) السحر): السحير، والسحر: اسم للوقت قبل طلوع الفجر، يقال: بطحه أي ألقاه على وجهه فانبطح(2)، وأراد أنك إذا عرفت انبساط السحر وامتداده؛ لأن المنبطح ينبسط على الأرض.

(أو حين ينفجر الفجر): يطلع الفجر يريد أحد هذين الوقتين، وقوله: ينفجر الفجر من باب الاشتقاق، كقوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ}[الروم:43] ولا يخفى عليك موقعه في(3) البلاغة.

(فسر على بركة الله): يُمْنه وتيسيره إلى حيث تريد.

(فإذا(4) لقيت العدو): الذي تريد طلبه.

(فقف من أصحابك وسطاً): أي في وسطهم وهم عن يمينك وشمالك مكتنفون لك.

(ولا تَدْنُ من القوم): تقرب منهم.

(دنو من يريد أن ينشب الحرب): بين الناس، يقال: نشبت الحرب بينهم إذا غشي بعضهم بعضاً، أراد أن ذلك ليس مصلحة لأجل القلة فيخاف الكثرة عليكم.

(ولا تباعد عنهم): تتأخر عمن تريد قتاله.

(تَبَاعُدَ من يهاب البأس): لأن ذلك يورث الذل والفشل(5) ويفت في أعضاد الناس، وقف على ما أمرتك وأدبتك من هذه الآداب، وأريتك من هذه المصالح(6) في الحرب، ولا تحدث شيئاً:

(حتى يأتيك أمري): بما تفعل من ذاك(7)؛ لأن هذا هو نهاية المقدمة وغايتها، وبعد وصول الإمام والعساكر يقضي الله على لسانه ويده ما قضى.

(ولا يحملنَّكم سبابهم(8) على قتالهم): نهاهم أن يكون سبب الجرأة عليهم ما يسمعونه من الأذى.

(قبل دعائهم): إلى الله تعالى وإلى دينه، وترك البغي وإهماله.

---

(1) في (ب): يتبطح.

(2) في (ب): فابتطح.

(3) في (ب): من.

(4) في (ب): وإذا.

(5) في (ب): يورث الفشل والذل.

(6) في (ب): النصائح.

(7) في (ب): ذلك.

(8) في شرح النهج: شنآنهم.

(1633/5)

(والإعذار إليهم): أعذر إليه إذا بالغ في المعذرة إليه.

ولله درُّ أمير المؤمنين فإنك إذا تصفحت كلامه، وأوامره ونواهيه فيما يتعلق بأهل البغي وجدته كلام من يريد نجاة الخلق وتقريبهم إلى الله تعالى، وبلوغ الغاية في المناصحة وبذل الحق بجهده.

(13) ومن كتاب له إلى أميرين من أمراء جيشه

(وقد أمَّرت عليكما): أي جعلت عليكما أميراً يكون أمركما موكولاً إليه، ورأيكما مفوضاً إلى رأيه، لا

أمر لكما معه.

(وعلى من في حيزكما): خطتكما وناحيتكما.

(مالك بن الحارث الأشتر): الشتر: انقلاب في جفن العين، ورجل أشتر إذا كان بهذه الصفة، والأشتران: مالك، وابنه، وكان أميراً من أمرائه، وهو عنده بمكان عظيم، ومنزلة رفيعة وسيأتي ذكره.

(فاسمعا له وأطيعا): فيما أمركما به ونهاكما عنه من غير مخالفة.

(واجعلاه درعاً): تتحصنان به عن كل مكروه.

(وَمَجِنًّاً): المجن: الترس، أي واجعلاه سترة بينكما(1) وبين الأمور العظائم.

(فإنه ممن لا يخاف وَهْنُه): ضعفه عمَّا إليه القيام به وعمَّا له تولّيه، والوَهْنُ: الضعف، قال تعالى: {إنّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنّي}[مريم:4].

(ولا سقطته): عثاره وزلله في أمره وحاله.

(ولا بُطْؤُه عمَّا الإسراع إليه أحزم): أي ولا يخشى منه التواني والتثاقل عما يكون الإسراع فيه أخذاً بالحزم وأبعد عن التساهل.

(ولا إسراعه عمَّا البُطء(2) عنه أمثل): أي ولا يخشى إسراعه في أمر من الأمور يكون التثاقل فيه والتأني أحسن وأجود، يشير بما ذكره إلى عظم(3) الخبرة، وكثرة الحنكة، وثبات الرأي والحزم.

---

(1) في (أ): بينهما.

(2) في شرح النهج: ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل.

(3) في (ب): عظيم.

(1634/5)

---

(14) ومن وصية له عليه السلام لعسكره(1) بصفين

(لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم): بالقتال ليتحقق فيهم أمر البغي، فإن ذلك يكون سبباً للاستظهار لكم والنصر من عند الله.

(فإنكم بحمد الله على حجة): بينة ظاهرة في قتالهم بما أتوه من المنكر، وركوب غارب البغي في مخالفة أمري، ومنعي عما أريده من القيام بأمر الدين وأهله.

(وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى): ثم حربهم لكم، وقتالهم إياكم عمداً حجة أخرى تُسْتَحَلُّ بها دماؤهم لو لم تتقدم الحجة الأولى، فإذا اعتضدا كان ذلك أقوى في الأمر وأعظم عند الله حجة:

(لكم عليهم): بين يدي الله، فإذا سألكم الله تعالى عن قتالهم كان إدلاؤكم بهذين الأمرين أقوى عند الله، وأدخل في العذر، فأجهدوا نفوسكم في قتالهم لله تعالى، وإعزازاً لدينه.

(فإذا كانت الهزيمة): وقعت وحصلت.

(بإذن الله): عن علم من الله ومصلحة في ذلك، فإن لهم أحكاماً تخالف أحكام أهل الحرب، فلا تغفلوا عن علمها وتحفظها، فإن الله بلطفه قد جعل لكل جريمة عقوبة.

(فلا تقتلوا مدبراً): يريد من ولى مدبراً عند الهزيمة، فلا يتبع بالقتل؛ لأن توليته مدبراً فيه كفاية عن بغيه؛ ولأن توليه عن مقامه ذلك تركٌ للبغي ورجوع عنه، فلا يقتل من غير سبب يوجب قتله لما ذكرناه.

(ولا تصيبوا معوراً): المعور بالعين المهملة والراء، وله معنيان:

أحدهما: أن يريد بالمعور الربيئة(2) للقوم، يعني ولا تقتلوا إلا من تعلمون أنه من جملة العدو، فأما الربيئة فلا قتال من جهتهم يوجد فيكفُّ عنهم.

---

(1) لعسكره، سقط من (ب).

(2) الربيئة: هو العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه. (النهاية لابن الأثير 2/179).

(1635/5)

وثانيهما: أن يكون مراده بالمعور الرَّكيّة(1) أي لا تفسدوها بالإصابة فيزول ماؤها وينضب عنها(2).

(ولا تجهزوا على جريح): أجهز على الجريح إذا أسرع في قتله، ولا يقال فيه: أجاز، وغرضه أنه بعد جرحه لا يسارع في قتله؛ فإن في جرحه كفاية عن بغيه، وزوال عنه، وفعيل بمعنى مفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث إذا ذكر معه موصوفه، فيقال: هذا رجل جريح، وهذه امرأة جريح، فأما إذا طرح الموصوف جرى على قياسه، فيقال فيه: هذا جريح وهذه جريحة بني فلان.

(ولا تهيجوا النساء بأذىً): هاج الرجل إذا ثار غضبه، وأراد أنكم لا تحركوا غضبهن بذكر أذاهن.

(وإن شتمن أعراضكم): بالذم وذكر القبيح.

(وسببن أمراءكم): بإظهارالكلام السوء، ثم علل ذلك بقوله:

(فإنهن ضعيفات القوى): لا صبر لهن على الحرب؛ ولهذا رفع الله عنهن حكم الجهاد من أجل الضعف.

(والأنفس): ونفوسهن أيضاً ضعيفة عن احتمال المكاره، والضيم.

(والعقول): وعن هذا كانت شهادة امرأتين بمنزلة شهادة رجل واحد.

(وإن كنا لنؤمر بالكف عنهن): يعني القتل والضرب وهن بين أظهركم(3) في المعركة.

(1) الركيّة: البئر.

(2) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 104/15 في شرح قوله: (ولا تصيبوا معوراً) ما لفظه: قوله عليه السلام: (ولا تصيبوا معوراً) هو من يعتصم بك في الحرب بإظهار عورته لتكف عنه، ويجوز أن يكون المعور هاهنا المريب الذي يظن أنه من القوم وأنه حضر للحرب وليس منهم، لأنه حضر لأمر آخر. انتهى.

(3) في (ب): أظهرهم.

(1636/5)

(وإنهن لمشركات): فبين العلة التي لها أبيحت دماء الرجال فلا يقتلن(1)، وفي الحديث: ((نهيت عن قتل النساء))(2).

ويحكى أن هند بن عتبة خرجت يوم أحد وغيرها من النسوان يسقين الرجال، ويضربن بالدفوف، قالت(3) هند:

إن تقبلوا نوافق(4)

ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق(5)

ومع ذلك فإن أحداً ما اعترض لها أصلاً، مع ما في كلامها من التهييج للرجال، وحملهم على اقتحام موارد الموت.

(وإن كان الرجل): في الجاهلية في حروبها ووقائعها.

(ليتناول المرأة بالفِهْرِ): الحجر الطويل.

(والهراوة): العصا فضلاً عما وراء ذلك من الأسلحة.

(فيعيَّر بها): الضمير للفعلة هذه.

---

(1) في (أ): فلا يقتلهن.

(2) أورد قريباً منه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله تعالى في أنوار التمام في تتمة الاعتصام للإمام القاسم بن محمد عليه السلام 466/5 فقال ما لفظه: وروى نافع أن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة، فأنكر ذلك، ونهى عن قتل النساء والصبيان، وعزاه إلى الشفاء للأمير الحسين، وقال في تخريجه: وأخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي عن ابن عمر مرفوعاً، وأرسله في الموطأ عن نافع كما في الشفاء. انتهى.

(3) في (ب): وقالت.

(4) في نسخة أخرى، وسيرة ابن هشام: نعانق.

(5) الوامق: المحب، وانظر خبر هند الذي ذكره المؤلف وشعرها في السيرة النبوية لابن هشام 67/2-68، وانظر شرح النهج 235/14 لابن أبي الحديد، وهو فيه نقلاً عن مغازي الواقدي.

(1637/5)

(وعقبه بعده(1)): ومن يأتي من(2) أولاده ويكون سبة لهم، والعار: السبة والعيب، وفي أخبار أحد: وكان الرجل منَّا يدنو من هند، فإذا حمل عليها السيف والهراوة صاحت وولولت، فيكف عنها ذلك(3).

(15) وكان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محارباً

(اللَّهُمَّ، إليك أفضت القلوب): أفضى إليه بسره إذا أباحه، وأراد أفضت القلوب بسرائرها وضمائرها التي لا تخفى عليك.

(ومُدَّت الأعناق): خضعت وذلت لعظمتك وجلالك.

(وشخصت الأبصار): شخص البصر إذا انفتح جفن العين وجعل لا يَطْرِفُ(4)، ومنه شخوص بصر الميت فإنه لا يطرف أبداً حتى يفارق الحياة.

(ونقلت الأقدام): طالبة لرضوانك، واتباع أمرك وموافقة مرادك.

(وأنضيت الأبدان): الإنضاء هو: الإتعاب؛ رجاءً لما وعدته من كريم ثوابك، ورفيع مآبك.

(اللَّهُمَّ، قد صرّح مكنون الشنآن): أي ظهر مستور العداوة والبغض.

وفي رواية أخرى: (مكتوم) وهما متقاربان في معناهما.

(وجاشت مراجل الأضغان): جاش القدر إذا غلا، والأضغان هي: الأحقاد، والْمِرْجَل: واحد المراجل، وهي: القدور، وهذه كلها استعارة لما هم عليه من إظهارالعداوة والأحقاد والضغائن الشنيئة(5) لسبب الدين، وأراد بذلك فلا يخفى عليك حالهم وما يريدون(6) من البغي، وإظهار خلاف أمرك، وهدم منار دينك، وتعطيل أحكامك.

(اللَّهُمَّ، إنا نشكو إليك غيبة نبينا): فقده عن الدنيا وزواله عنها.

---

(1) في شرح النهج: وعقبه من بعده.
(2) في (ب): ومن يأتي بعده من أولاده.
(3) انظر سيرة ابن هشام 24/3 تحقيق عمر محمد عبد الخالق.
(4) طرف بصره من باب ضرب إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر. (مختار الصحاح ص390)، وفي (ب): لا يطرق.
(5) في (أ): السيئة.
(6) في (ب): وما يديرون.

(1638/5)

(وكثرة عدونا): تألبهم علينا من كل جانب يريدون اجتياحنا، وقطع دابرنا.
(وتشتت أهوائنا): افتراقها، كل واحد منها في جانب، لا تجتمع على أمرك ولا تكون متفقة على نصرة دينك.
سؤال؛ هب أن قوله: (كثرة عدونا، وتشتت أهوائنا) له اتصال بما نحن فيه وتعلق، فما وجه اتصال قوله: (وغيبة نبينا) بما نحن فيه من قتال البغاة، وفقده عليه السلام عن الدين ثلمة لا تنسد؟
وجوابه من وجهين؛
أما أولاً: فلأن بحضوره لا ينبض من هذه العروق عرق ، ولا ينهض من رءوس هؤلاء الشياطين ناهض إجلالاً لهيبته، وامتثالاً لأمره ومقالته.
وأما ثانياً: فلما في حضوره من النصرو التأييد والظفر، كما كان في غير هذه المواطن؛ لما يعرفون من نصر الله له وتأييده له بالملائكة من عنده، وعلى الجملة فإن غيبته عن الدنيا وعن هذا العالم مصيبة لا تجبر، وحزن لا ينفك أبد الدهر.
ثم تلا هذه الآية عقيب كلامه: {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}[الأعراف:89]: ولهذه الآية من الفخامة وحسن الموقع ها هنا، وجيد الملائمة لما نحن فيه ما يحلو في الألسنة مذاقه، ويروق في أعين النظار ترتيبه وسياقه.

(16) وكان عليه السلام يقول لأصحابه عند الحرب
(لا تشتدَّن عليكم فرَّةٌ بعدها كرَّةٍ): الفرُّ: الهرب، والكرُّ هو: الرجوع، وأراد أنه لا يكبرنّ في نفوسكم ذلك؛ فإن هذه تكفر هذه وتمحوها، فلا وقع لها معها.

(ولا جولة بعدها حملة): الجولة: واحدة الجولات، وتجاول الفرسان: رجوع بعضهم على بعض، والحملة هي: الكرة أيضاً، أي ولا تضركم جولاتهم لكم، وتأخرهم لكم عن مقاماتكم في الحرب إذا حملتم عليهم حملة فأزحتموهم عن مواضعهم.

(1639/5)

(وأعطوا السيوف حقوقها): الضرب بها حتى تنحني، وفي الحديث أن الرسول عليه السلام أخذ سيفاً فقال: ((من يأخذ هذا السيف مني(1) بحقه يوم أحد)) فجاءه رجال من الصحابة فأبى أن يعطيهم إياه، فجاء أبو دجانة(2) فقال: يارسول الله، وما حقه؟

فقال(3): ((أن تضرب به حتى ينحني))(4) فأعطاه إياه.

[وقال: نعم](5): وكان من شجعان الصحابة، وأهل البأس منهم.

(ووطِّنوا للجنوب مصارعها): فيه روايتان:

أحدهما: بالنون، والموطن: المشهد من مشاهد الحرب، قال الله تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ}[التوبة:25] وأراد ها هنا اجعلوها للجنوب مواطن تصرع فيها.

وثانيهما: [بالياء](6) من التوطية أي مهدوا للجنوب أمكنة تصرع فيها، والغرض في هذا كله العزم وتصميم النفس على لقاء الله، ومفارقة الدنيا.

(واذمروا نفوسكم(7)): حثوها وازجروها.

(على الطعن الدَّعْسِيِّ): طريق دعس إذا كان بيِّن الآثار ظاهرها، وأراد على الطعن الذي تظهر آثاره وكلومه.

(والضرب الطِّلَّخْفِيّ): ضرب طلحف إذا كان شديداً بالغاً.

وقوله(8): الدعسيّ فيه مبالغة من وجهين:

---

(1) مني، سقط من (ب).

(2) واسمه سماك بن خرشة.

(3) في (ب): قال.

(4) انظر الرواية في السيرة النبوية لابن هشام 66/2، واللفظ في آخرها: ((أن تضرب به العدو حتى ينحني)).

(5) سقط من (ب).

(6) سقط من (أ).

(7) في شرح النهج: أنفسكم.

(8) في (أ): وقولهم.

(1640/5)

أما أولاً: فلأنه وصف بالمصدركما قالوا: رمي سَعْر، وضرب هبر(1).

وأما ثانياً: فإلحاق ياء النُّسْبَة به، كما قالوا: جزئي وجزء وكلي وكل، وكله دلالة على المبالغة وعلامة عليها.

(وأميتوا الأصوات): أراد لا تكثروها.

(فإنه): يعني موتها.

(أطرد للفشل): أذهب به فلا يبقى إلا الثبوت والاتئاد.

(والذي فلق الحبة): بنصفين.

(وبرأ النسمة): خلقها وأوجدها.

(ما أسلموا): عن طمأنينة وانشراح صدر بالدين وأحكامه، يشير بهذا إلى معاوية وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وغيرهم من أخدان الغي، وأعوان الظلم والبغي.

(ولكن استسلموا): انقادوا خوفاً من السيف.

(وأسروا الكفر): أبطنوه في أنفسهم، وكتموه في أفئدتهم.

(فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه): من أوباش أهل الشام وأجلافهم ومن لا معرفة له(2)، ولا ميز بين الحق والباطل.

والظاهر من كلامه هذا أنه تفطَّن بحال هؤلاء وتفرَّس في أمورهم، فلهذا أثبت لهم مزية على الفسق، وصار هذا هو الحكم بالكفر على هؤلاء، والمعلوم من حاله أنه لم يعاملهم بالأحكام الكفرية من السبي وغيره فلا بد من تأويل كلامه على مطابقة فعله فيهم وعلى ما قام الدليل الشرعي عليه وهو الفسق لا غير، فيمكن أن يكون في مراده من ذلك وجهان:

أحدهما: أشخاص معدودين قد علم كفرهم بإعلام الرسول له ذلك، وهذا لامانع منه.

---

(1) الهبر: القطع، وقوله: رمي سعر أي رمياً سريعاً شبهه باستعار النار، وللقول هذا شاهد من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام أورده ابن الأثير في النهاية 368/2 فقال في مادة سعر ما لفظه: ومنه حديث علي رضي الله عنه يحث أصحابه: (اضربوا هبراً، وارموا سعراً).

(2) له، زيادة في (ب)، وفي نسخة أخرى: ومن لا يعرفه.

(1641/5)

وثانيهما: أن يكون غرضه أنه أخبر عن كفرهم عند الله تعالى دون ظاهر الشرع، فمن أجل هذا أخبر عنهم به.

(17) ومن كتاب له عليه السلام جواباً لمعاوية

(وأما طلبك إليَّ الشام): أي ولاية الشام؛ لأن معاوية كان طلب من أمير المؤمنين أن يوليه الشام، ويجعله أميراً عليه في جباية الأموال، وتأدية الخراجات كلها.

(فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك بالأمس): أراد أنك قد سألتني ذلك من قبل فمنعتك، وما كنت لأعطيك اليوم ما منعتك من قبل، والحال مستوية، فما تغير في حالك من المكر والخديعة ولا تغير(1) حالي في وثاقة الدين والتصلب فيه.

(وأما قولك: إن الحرب قد أكلت العرب): أفنتهم با لقتل، وسحت الأموال.

(إلا حُشَاشَات أنفس قد بقيت): الحشاشة(2) والحشاش: بقية الروح في الجسد، وأراد إلا أنفساً أُخِّرَتْ آجالها فبقيت.

(ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة): أراد أن من قُتِلَ مجاهداً في سبيل الله صابراً محتسباً فمصيره إلى الجنة.

(ومن أكله الباطل فإلى النار): أي ومن كان مقاتلاً على البغي والمخالفة لإمام الحق فمصيره إلى النار، وهذا كله تعريض بحال معاوية، وإصراره على البغي والفساد والتمرد، ويومئ بذلك إلى هلاكه وهلاك من قتل معه.

(وأما استواؤنا في الحرب والرجال): لأن معاوية قال: قد توافت بنا الحرب، والعساكر منَّا ومنكم متساوية، وغرضه بهذا أن أمير المؤمنين غير نايل غرضاً منه، ولا مدركٌ ثأراً.

---

(1) في (ب): ولا تغير في حالي وثاقة...إلخ.

(2) في (ب): الحشاشات.

(1642/5)

(فلست بأمضى على الشك مني على اليقين): يريد أنا ولو استوينا كما زعمت، فأنا فيما أنا فيه على بصيرة، وأنت فيما أنت فيه على شك، وصاحب اليقين أشرح صدراً وأوثق قلباً من صاحب الشك؛

فإنه متردد قلق الأحشاء مضطرب الفؤاد، فإذا مضيت على ما أنت فيه من الغي وجريت عليه، فأنا أمضى منك على الحق، ونفوذ البصيرة.

(وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا): يريد معاوية ومن كان معه ما هو بأكثر حرصاً على الدنيا والتوطن فيها، والإخلاد إليها.

(من أهل العراق على الآخرة): يريد نفسه وأصحابه، وإذا كان الأمر هكذا فانظر أينا أشد صبراً على الحرب، وأكثر رجاءً لثواب الله، وأعظم حالةً عنده.

(وأما قولك: إنَّا بنو عبد مناف!): أراد معاوية أن عبد مناف يجمعنا؛ لأن له أولاداً أربعة: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل، فهؤلاء أولاد عبد مناف، ومعاوية من بني عبد شمس.

فقال أمير المؤمنين:

(فكذلك نحن): يريد إنَّا لا ننكر أن عبد مناف يجمعنا كما ذكرت، ولكن أين الغرب(1) عن النبع! وأين الحصى عن المرجان!، وأين السنام عن المنسم!(2)، وشتان ما بين الآباء!، فهب أن عبد مناف قد جمعنا كما زعمت:

(ولكن ليس أمية كهاشم): في فخره ولا فضله ولا في كرمه وجلالة قدره.

(ولا حرب كعبد المطلب): أراد ولا جدك مثل جدي في الرئاسة، واجتماع أمر مكة إليه وسيادته للناس.

(ولا أبو سفيان كأبي طالب): أراد ولا أبوك مثل أبي؛ فإن أبا طالب شرفه لا يخفى، وأمره لا ينكر.

---

(1) الغرب: الذهب (المعجم الوسيط ص647).

(2) السنام: أعلا البعير، وسنام كل شيء أعلاه، والمنسم: طرف خف البعير.

(1643/5)

(ولا المهاجر كالطليق): أراد أنه ليس من هاجر إلى الله تعالى تطوعاً واختياراً من جهة نفسه، كمن يُمَنُّ عليه ثم يُطْلَقُ بعد ذلك، وكان معاوية وأبوه من الطلقاء، وقد تقدم حديث الطلقاء(1) وسبب ذلك فيهم، فلا وجه لتكريره.

(ولا الصريح كاللصيق): أراد ولا من هو خالص النسب كمن هو دَعِيّ مؤتشب، يلصق نفسه بنسب قوم وليس منهم، ولعله يشير بذلك إلى حديث كان لأبي سفيان في حق زياد، وعلى هذا يكون فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد ما كان من أبي سفيان من ادِّعاء(2) زياد ابناً له.

وثانيهما: أن يريد ما كان من معاوية من ادّعاء زياد أخاً له، فقوله: ولا الصريح كاللصيق، محتمل

لما ذكرناه من هذين الوجهين، وسنذكر ما يدل على احتمال الوجهين في كلام لأمير المؤمنين كرم الله وجهه بعد هذا، كلَّم به معاوية وزياد بن أبيه، وليس هذا موضع ذكره.

(ولا المحق كالمبطل): أراد ولا من كان مستقيماً على الحق داعياً إليه؛ مثل من هو مكبٌّ على الباطل لا ينفك منه، يشير إلى نفسه ومعاوية.

(ولا المؤمن كالمُدْغِل): ولا من هو مصدِّق بالله تعالى كمن هو مُدْغِلُ في الدين، مُدْخِلٌ فيه ما يفسده ويبطله.

(ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً(3)): السلف: المتقدم، والخلف: الذين يتلونهم، وأراد بذلك بني أمية فإنه ما منهم إلا كافر مشرك عابد وثن، أو فاسق خارج عن الدين مارق.

(وفي أيدينا بعد): ما ذكرته، وأشرت إليه من الرئاسة والفخر بمن ذكرت من الآباء.

---

(1) انظر حديث الطلقاء في سيرة ابن هشام 4/34-35، تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(2) في (ب): من إدعائه.

(3) في شرح النهج: ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم.

(1644/5)

(فضل النبوة): التي تفضَّل الله بها على الخلق، وجعلها مصلحة لهم، أو يريد شرف النبوة التي جعلها الله شرفاً لنا على الخلق، وأعطانا بها فخراً وعلواً لم يسبق إليه أحد.

(التي أذللنا بها العزيز): أنزلنا بها مراتب الأعزة ممن خالفها، كما كان من الأعزة من قريش آبائك وغيرهم من أفناء الناس.

(ونعشنا بها الذليل): رفعنا منزلة من وافقها، وامتثل أمرها، وإن كان ذليلاً في نفسه لا شرف له، مثل ما كان من الضعفاء نحو صهيب وبلال وسلمان، وغيرهم من فقراء الصحابة ومساكينها، فإن الله تعالى أركس أبا لهب وغيره كالوليد والنضر بن الحرث لما ضادوها وخالفوها بالمكابرة، مع شرفهم وعلو مراتبهم عند قومهم، وأعزَّ بها هؤلاء مع ضعف حالهم ومسكنتهم.

(ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجاً): أي فريقاً بعد فريق.

(وأسلمت له): الضمير إما لله تعالى، وإما للرسول.

(هذه الأمة طوعاً وكرهاً): بالاختيار من جهة أنفسهم، وهداية الله لهم إلى ذلك، أو بالكراهة خوفاً من السيف، كما كان من أقوام كثيرين.

(كنتم): يريد بني أمية.

(ممن دخل في الدين إما رغبة): بالاختيار من جهة أنفسكم طمعاً في التألف.

(وإما رهبة): حذراً من السيف كما كان من أبي سفيان يوم الفتح.

(على حين فاز أهل السبق بسبقهم): يريد بعدما تقدم إسلام [من أسلم من](1) المهاجرين والأنصار، وحازوا الفضل بأسره، وأحرزوا الخير بحذافيره.

---

(1) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(1645/5)

(وذهب المهاجرون والأنصار بفضلهم(1)): بتقدمهم في الإسلام، كما قال تعالى: {لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}[الحديد:10].

وأقول: إن معاوية كان غنياً عن هذا الافتخار على أمير المؤمنين، وما كان له غنى عن(2) تعريف حاله وإعلامه بفخره من أين كان، وعلى أي وجه هو!

ويحكى أن معاوية يوماً افتخر والحسن بن علي عنده بقوله: أنا ابن بطحاء(3) مكة، أنا ابن أغزرها جوداً، وأكرمها جدوداً، أنا ابن من ساد قريشاً فضلاً ناشئاً وكهلاً.

فقال الحسن: أعليَّ تفتخر يا معاوية، أنا ابن عروق الثرى، أنا ابن مأوى التقى(4)، أنا ابن من جاء بالهدى، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالفضل السابق، والجود الرائق، والحسب الفائق، أنا ابن من طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله، هل لك أب كأبي تباهيني به، وقدم كقدمي تساميني به، قل: نعم أو لا!، قال معاوية: بل أقول: لا، وهي تصديق لك، فأقرَّ له معاوية، ثم تَمَثَّل الحسن بن علي عليهما السلام:

الحق أبلج ما تخيل سبيله

والحق يعرفه ذوو الألباب(5)

(فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا): بانقيادك له واتباعك لطريقه.

---

(1) العبارة في (ب): وذهب من أسلم من المهاجرين والأنصار بفضلهم، وهي في شرح النهج: وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم.

(2) في (ب): من.

(3) في (ب): أنا من بطحاء..إلخ.

(4) في (ب): البقاء.

(5) ورد البيت هذا في أساس البلاغة ص124 بدون نسبة لقائله، وقوله هنا: ما تخيل، في أساس البلاغة: لا يخيل.

(1646/5)

(ولا على نفسك سبيلاً): السبيل: الطريق، قال الله تعالى: {يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}[الفرقان:27] وهو مما يذكر ويؤنث، وأراد لا تجعل للشيطان عليك طريقاً، يسلكها في نفسك فيغويها ويضلها.

(18) ومن كتاب له عليه السلام إلى ابن عباس وهو عامله على البصرة

(اعلم(1) أن البصرة مهبط إبليس): الْمَهْبِطُ بالكسر: موضع الهبوط، كما أن المنزل موضع النزول، والْمَهْبَطُ بالفتح هو: الهبوط، ومنه مهبَط جبريل وهو: نزوله، وغرضه أنها لكثرة نحوسها وشرورها كأنها منزل له، ومكان يستقر فيه.

(ومغرس الفتن): حيث تكون ناشئة عنها ومتفرعة منها.

(فجاذب(2) أهلها بالإحسان إليهم): في جاذب روايتان:

أحدهما: بالجيم والباء بنقطة، ومعناه أجذبهم إليك بالمعروف وإسداء الإحسان، وعاملهم بالعطاء كيما تنجذب قلوبهم إليك.

وثانيهما: بالحاء المهملة، والثاء بثلاث، وأراد فاكههم بالأحاديث الحسنة بما(3) يكون فيه تقرير لخواطرهم، وتسكين لأنفسهم.

(واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم): أسلس لهم القياد بالملاطفة ولين العريكة، وسهولة النفس.

(وقد بلغني تَنَمُّرك لبني تميم): تنمَّر إذا تغيَّر وتنكَّر له؛ لأن النمر لا تلقاه أبداً إلا وهو غضبان متنكراً، قال عمرو بن معدي كرب:

قوم إذا لبسوا الحديد

تنمَّروا حَلَقاً وقدّا(4)

أي تشبهوا بأخلاق النمر.

(وغلظتك عليهم): في أخلاقك ومعاملتك.

---

(1) في شرح النهج: واعلم.
(2) في شرح النهج: فحادث.
(3) في (ب): مما.
(4) أورده العلامة ابن منظور في لسان العرب 720/3 وقبله فيه:
وعلمت أني يوم ذا

ك مُنَازِلٌ كعباً ونهدا

(1647/5)

(وإن بني تميم لم يغب لهم(1) نجم إلا طلع آخر(2)): فيه معنيان:
أحدهما: أن يريد أن رجلاً منهم لايموت ممن يكون مخلصاً في مودتنا، وداعياً إلى محبتنا، إلا ويبدلنا الله به غيره ممن يكون أدخل في ذلك وأصدق موالاة.
وثانيهما: أن يكون مراده أنه لا تمضي منهم مكرمة في حقنا إلا ويجددونها بأخرى، وإنما أظهر اسمهم في موضع الإضمارمبالغة في ذكرهم، وهم بطن من بطون نزار.
(وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام): الوغم: الحقد، والوغم بالغين المنقوطة: الغيظ، وأراد أنهم لم تكن لهم سابقة سوء قبل النبوة ولا بعدها.
(وإن لهم بنا رحماً ماسة): أي قرابة قريبة، وتلك القرابة من جهة الأجداد البعيدة، وذلك أن النضر بن كنانة هو قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي، وكانت أم النضر هي أخت لتميم بن مر(3)، وتميم خاله، ولهذا قال جرير بن عطية أحد بني تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان:
فما الأم التي ولدت قريشاً

بمقرفة(4) النجار ولا عقيم

وما قَرْم(5) بأنجب من أبيكم

ولا خال بأكرم من تميم(6)

---

(1) في (ب): منهم.
(2) في شرح النهج: إلا طلع لهم آخر.

(3) واسمها برة بنت مر.
(4) المقرف: الذي دانى الهجنة من الفرس وغيره، وهو الذي أمه عربية وأبوه ليس بعربي، فالإقراف من قبل الأب والهجنة من قبل الأم (مختار الصحاح ص531)، والنجار: أي الطبع والمنبت، وهو من المجاز يقال: هو كريم النجر والنجار وهو الطبع والمنبت. (انظر أساس البلاغة ص447).
(5) القرم: البعير المكرم لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة، ومنه قيل للسيد: قَرْم ومقرم تشبيهاً به. (مختار الصحاح ص531-532).
(6) السيرة النبوية لابن هشام 1/65-66.

(1648/5)

(وقرابة خاصة): مختصة بنا من الوجه الذي ذكرناه.
سؤال؛ كيف قال: رحماً ماسة، وقرابة خاصة، وأكَّد ذلك، وبينهم هذه الآباء الكثيرة، والقرون المتباعدة؟
وجوابه؛ هو أن الأخلاق الشريفة والشيم الكريمة قاضية بهذا، وهو رعاية حق الرحم، وإن كانت الوشيجة متباعدة، وعن هذا قيل: المعارف في أهل النُّهَى ذِمَمُ.
ويحكى عن صاحب الشريعة صلوات الله عليه(1) أنه قال: ((إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها، فإن لهم ذمة ورحماً))(2).
وفي حديث آخر: ((الله الله في أهل المدرة السوداء، السحم(3) الجعاد، فإن لي فيهم نسباً وصهراً)) (4).
فأما النسب فإن أم إسماعيل كانت منهم، وأما الصهر فإن مارية أم إبراهيم التي أهداها له المقوقس، كانت منهم أيضاً، فانظر كيف لاحظ هذا النسب على بُعْدِه، وهذه الصهارة على تباينها وانقطاعها، مواظبةً على أخلاق النبوة، واستمراراً على شرف الرسالة.

---

(1) في (ب): صلوات الله وسلامه عليه.
(2) رواه ابن هشام في السيرة النبوية 1/7 تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرين، وهو فيه بزيادة ((خيراً)) بعد قوله: ((فاستوصوا بأهلها)) وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 1/253 إلى المستدرك2/553، وله فيه شاهد آخر بلفظ: ((إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً)) وعزاه إلى البداية والنهاية لابن كثير6/220 ودلائل النبوة للبيهقي6/322.
(3) المدرة بفتحتين واحدة المدر، والعرب تسمي القرية مدرة، والسحمة: السواد، والأسحم: الأسود. (مختار الصحاح ص619،289).

(4) رواه ابن هشام في السيرة النبوية 6/1 بسنده عن عمر مولى غفرة بلفظ" قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: ((الله الله في أهل الذمة، أهل المدرة السوداء السحم الجعاد، فإن لهم نسباً وصهراً)).

(1649/5)

(نحن مأجورون على صلتها): نرجو الأجر من جهة الله تعالى(1) على وصلها بالمعروف والخير.
(ومأزورون على قطيعتها): الوزر: الإثم، وأراد أنَّا آثمون عند قطعها.
(فَارْبَعْ أبا العباس): أي ارفق بنفسك وحالك، وكف عمَّا أنت فاعل له.
(رحمك(2) الله): ملاطفة له(3) بالدعاء والكنية، وتمجيد له ورفع لمنزلته، وتحريك لعزيمته في المواظبة على الخصال الشريفة، والأفعال المحمودة، وتعريض(4) بالقول اللطيف في ذلك.
(فيما جرى على يدك): من قطع الإحسان، ومنع المعروف منهم.
(ولسانك): من بذل الإنصاف واستعمال المداراة والإتحاف.
(من خير): أي من منع الخير منك.
(وشر): أي ومن إيصال شر.
(فإنَّا شريكان في ذلك): الضمير في قوله: فإنَّا يصلح للواحد العظيم، وللاثنين والجماعة، وأراد ها هنا فإني(5) وإياك شريكان في ثواب ما فعلته من خير، أو في إثم ما فعلته من شر، فيقسم لك من الثواب بقدر ما فعلته، وأردت فيه وجه الله تعالى، ويقسم لي من الثواب مثله؛ لأنك تُصْدِرُ عن رأيي وتقوم مقامي، وهكذا الحال في الإثم والمعصية، فإن الإمام هو سلطان الله في أرضه، وظله الممدود فيها، والولاة والعمال أعوان له.
(وكن عند صالح ظني بك): أي لا أظن صلاحاً إلا وأنت فاعله.
(ولا يفيلن رأيي فيك): أي ولا يضعفنَّ ما حدسته(6) فيك من أعمال الصلاح.

(19) ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).
(2) في (ب): يرحمك الله.
(3) له، زيادة في (ب).
(4) في (ب): وتعريضاً.

(5) في (ب): فأنا.

(6) الحَدْسُ: الظن والتخمين.

(1650/5)

(أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك): الدهقان: واحد الدهاقين، وهو فارسي معرب فيحتمل أن تكون نونه أصلية أو زائدة، وأراد بذلك التجَّار من اليهود والنصارى ممن يكون معك، وفي بلد ولايتك.

(غلظة): فظاظة في الطبع.

(وقسوة): شكساً في الخلائق(1).

(واحتقاراً): لأحوالهم، واستصغاراً لمقاديرهم.

(وجفوة): إعراضاً عن إنصافهم وإيحاراً لصدورهم.

(ونظرت(2)): تفكرت في الأمر في صنعك معهم، ونفار طباعهم عنه.

(فلم أرهم أهلاً لأن يُدْنَوْا): يستأهلون الإدناء والتقريب، ولين العريكة والإنصاف.

(لشركهم): من أجل كونهم كفاراً بالنبوة مشركين مع الله غيره، حيث قال تعالى حاكياً عنهم: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ}[التوبة:30].

(ولا أن يُقْصَوْا(3)): يُبْعَدُوا.

(وَيُجْفَوْا): يُفْعَلُ بهم أفعال الجفاء.

(لعهدهم): أي(4) من أجل ما صنع الرسول معهم من المصالحة على الجزية والذمة من جهته لهم.

(فالبس لهم جلباباً): الجلباب: نوع من أنواع الثياب، وهو استعارة ها هنا.

(من اللين): إسلاس الطبيعة وتهوينها.

(تشوبه بطرف من الخشونة(5)): تخلطه بطرف من الشدة لهم في حالك.

(وداول لهم بين القسوة والرأفة): أراد استعملهم مرة ببسط الخلق ولينه، ومرة بقبضه وانزوائه، ومنه المداولة، وهي: المناوبة، والأيام دول أي مرة لهؤلاء ومرة لأولئك.

---

(1) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: الأخلاق.

(2) في (ب): فنظرت.

(3) في (ب): ولا لأن يقصوا.

(4) أي، سقط من (ب).

(5) في شرح النهج: تشوبه بطرف من الشدة.

(وامزج لهم بين التقريب والإدناء): أي اخلط لهم في الأفعال والمعالجة بين ما يكون منها تقريباً لهم، وبين ما يكون منها تبعيداً.

(والإبعاد والإقصاء): وبين ما يكون فيه إبعاد وإقصاء وبين ما لايكون كذلك؛ فإن الأمور إذا فعلت على هذه الحالة كانت أقرب إلى الاعتدال والتوسط بين خطتي التفريط والإفراط، وأميل إلى جانب الرفق، كما قالعليه السلام: ((عليك بالرفق يا عائشة، فإنه ما نزع من شيء إلا شانه، ولا وضع في شيء إلا زانه))(1).

(20) ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه

وهو خليفة عامله عبد الله بن العباس على البصرة، وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كُوَر الأهواز(2)، وفارس، وكِرْمَان(3):

(وإني لأقسم بالله(4) قسماً صادقاً): انتصاب قسماً على المصدرية المؤكدة للفعل، كقولك: ضربت ضرباً.

---

(1) الحديث بلفظ: ((عليك بالرفق، فإن الرفق لا يك في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 472/5 وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 125،171/6، وهو بلفظ: ((يا عائشة، ارفقي فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)) أورده القاضي العلامة الحسين بن ناصر المهلا رحمه الله تعالى في مطمح الآمال ص81، وعزاه إلى مسلم عن عائشة.

(2) الكورة: المدينة، وكور الأهواز: تسع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم، ويجمعهن الأهواز، لا تفرد واحدة منهن بهوز، وهي: رامهرمز، وعسكر مكرم، وتستر، وجنديسابور، وسوس، وسرق، ونهرتيري، وأيذج، ومناذر. (القاموس المحيط ص681).

(3) كرَمان بالفتح وقد يكسر إقليم بين فارس وسجستان. (القاموس المحيط ص1489).

(4) في (ب) وفي شرح النهج: وإني أقسم.

(لئن بلغني أنك خنت في(1) فيء المسلمين): وهو ما أفاءه الله عليهم من هذه الغنائم، أو أراد من هذه الأموال التي تحت يدك والخراجات، فإنها كلها فيء من عند الله تعالى.

(شيئاً صغيراً أو كبيراً): شيئاً مما يصغر أمره، أو يكبر خطره وحاله.

(لأشدنّ عليك شَدَةً): أثب عليك وثبة، أو أراد أحمل عليك حملة، كما قال:

سائل فوارس يربوع بشدتنا

أي بحملتنا عليهم.

(تدعك قليل الوفر): تتركك قليل المال.

(ثقيل الظهر): بتحمل الأوزار والمآثم.

(ضئيل الأمر(2)): ضعيف الأمر في كل حالة من الحالات؛ حتى لا أمر منك إلا وهو في غاية الضعف والهوان.

سؤال؛ إذا كان عاملاً لعبد الله بن العباس وخليفة له في عمالاته، فأمره في الجباية والاستقامة إليه، والعهدة في ذلك على من استخلفه، فكيف كالمه أمير المؤمنين هذه المكالمة، وأوعده بهذه الوعيدات العظيمة؟

وجوابه؛ هو أن الأمر وإن كان كما ذكرت، لكن يد أمير المؤمنين قاهرة على كل الأيدي، وهي مستولية عليها فهو يراقبهم(3) بالأعين الكالية، ويحرسهم بالألحاظ الساهرة، سواء كان عاملاً له أو عامل عامله، وما فعل ذلك مع زياد بن أبيه إلا لعلمه بتهوره في أخذ لأموال وتساهله في حقها، فلأجل هذا أخشن له القول ليعرف ما عنده من ذلك وليكن في تصرفه على وَجَلٍ وحذر، لئلا يقع فيما أوعده به من هذه الوعيدات.

(21) ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه أيضاً(4)

---

(1) في شرح النهج: من، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) بعده في شرح النهج: والسلام، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(3) في (ب): فهو يرى فيهم.

(4) أيضاً، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(فدع الإسراف مقتصداً): الإسراف: هو إنفاق الأموال في غير وجهها وعلى غير مستحقها، وهو نقيض التقتير، وهو: منعها عن أهلها، وحجرها عن مصرفها، وأراد فاترك إنفاق الأموال في غير وجهها، وكن مقتصداً في أمور ك كلها، أو في إنفاقها على وجهها.

(واذكر في اليوم غداً): أراد واذكر اليوم ما تستقبله من الشدائد والأهوال في الغد، أو يكون معناه واذكر في اليوم يوم القيامة، وما يكون فيه(1) من المحاسبة على القليل والكثير.

(وأمسك من المال بقدر ضروراتك(2)): بقدر ما يضطرك الحال إلى إمساكه، من غير أن يكون هناك ادخار له وكنز.

(وقدِّم الفضل ليوم حاجتك): أراد وقدِّم ما يفضل منه بالصدقة، وإنفاقه في سبيل الله، وابتغاء ثوابه.

(أترجو أن يؤتيك(3) الله أجر المتواضعين): بإعطاء الأموال وإنفاقها، وترك التلذذ بها مع وجدانها.

(وأنت عنده من المتكبرين!): المتفاخرين بجمع الأموال، والمتباهين بكثرتها وجمعها.

(وتطمع وأنت متمرغ في النعيم(4)): كنى بالتمرغ عن استعمال اللذات والترفه فيها، والتمرغ هو: التمعك في التراب.

(تمنعه(5) الضعيف والأرملة): أراد أن ذلك التنعم ما كان سببه إلا من أجل منع الضعيف والأرملة حقهما مما قسم الله لهما من هذه الأموال، والأرملة التي لا زوج لها، والضعيف هو: الذي يضعف حاله عن التكسب، فتطمع وأنت على هذه الحالة.

(أن يوجب الله لك ثواب المتصدقين): وأنت مانع لهذه الأموال مدخر لها.

---

(1) في (ب): فيها.

(2) في شرح النهج: ضرورتك.

(3) في شرح النهج: يعطيك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(4) في (ب): النعم.

(5) في شرح النهج: أن تمنعه.

(1654/5)

(وإنما المرء مجزي بما أسلف): أراد ليس الأمر كما تحسبه مما أنت فيه، وإنما الجزاء يكون على قدر ما سلف من الأعمال، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

(وقادم على ما قدّم): قدم من سفره فهو قادم، وأراد أنه واصل إلى ما كان سبق منه من هذه الأعمال محمودها ومكروهها، وقوله: قادم على ما قدَّم، من باب الاشتقاق، وهو غرر في كلامه، وأوضاح(1) في قلائد نظامه.

(22) ومن كتاب له عليه السلام إلى ابن عباس رضي الله عنه

وكان ابن عباس يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانتفاعي بهذا الكلام:

(أما بعد، فإن المرء يسره(2) درك ما لم يكن ليفوته): يريد أن الإنسان يسترُّ ويلحقه فرح وَجَذَل(3) لإ دراك ما قدَّر الله له حصوله ووقوعه، وما ليس فائتاً عنه بحال.

(ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه): أي ويلحقه(4) ألم وغم بفوت ما لم يقدِّر الله له إدراكه وتحصيله، وما ذاك إلا بقلة(5) الثقة بالله، ومن أجل ذلك لحقه السرور، بما ضمنه الله تعالى(6) وقدَّره من الأرزاق والأقوات، وكثرة الهلع في الدنيا، ولهذا لحقه الغم بفوات ما لم يقدر الله له نيله، ولا قسم شيئاً من حصوله.

(فليكن سرورك بما نلت من آخرتك): أراد فالسرور الحقيقي إنما يكون بإحراز الآخرة وأعمالها.

---

(1) الوضاح: نوع من الحلي يعمل من الفضة، سميت بها لبياضها، واحدها وضح. (النهاية لابن الأثير 196/5).

(2) في (ب): ليسره، وفي نسخة وشرح النهج: قد يسره، (هامش في ب).

(3) الجَذَلُ: الفرح.

(4) في نسخة: ويلحق المرء (هامش في ب).

(5) في (ب): لقلة.

(6) تعالى، زيادة في (ب).

(1655/5)

(وليكن أسفك على ما فاتك(1) منها): الأسف: أشد الحزن، وأراد وليكن غمك على ما فاتك من أعمال الآخرة، فالسرور(2) والغم إنما يكونان على الحقيقة فيما ذكرته من أعمال الآخرة، لا على ما كان منهما فيما ذكره أولاً مما ضمن وجوده للإنسان أو منع وجوده منه.

(وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً):لأنه على شرف الانقطاع والزوال، وما هذا حاله فلا يليق بعاقل الفرح به والسرور.

(وما فاتك منها(3) فلا تأس عليه جزعاً): التأسي: التعزي، وتآسوا أي آسى بعضهم بعضاً، والأسى: الحزن، وأراد ها هنا وما فاتك من الدنيا فلا تحزن عليه جزعاً أي جازعاً، وانتصابه على المصدرية في موضع الحال.

(وليكن همُّك فيما(4) بعد الموت): أراد وما الهمُّ حقيقة إلا لما كان بعد الموت من الأهوال العظيمة والطامات.

ولله در ابن عباس أي أسد فرَّاس، لقد أنافت فراسته على فراسة إياس(5)، حيث أحاط بأسرار هذا الكلام ونهايته، واستولى على البغية من إحراز مقاصده وغايته، ولهذا قال فيه ما قال.

(23) ومن كلام له عليه السلام قبل موته على جهة الوصية(6)

الوصايا: جارية مجرى الكتب، ولهذا أوردت الوصايا ها هنا من أجل ذلك.

(وصيتي لكم ألاّ تشركوا بالله شيئاً): في عبادته ولا تتخذوا إلهاً غيره، وانتصاب قوله: شيئاً على المصدرية أي لا تشركوا به إشراكاً.

---

(1) في (ب): ما فات.

(2) في (ب): والسرور.

(3) في (ب): منه.

(4) في نسخة لما، (هامش في ب).

(5) وهو القاضي إياس بن معاوية بن قرة المزني [46-122هـ]، أبو واثلة، قاضي البصرة، كان يضرب به المثل في الذكاء والفطنة والفراسة. (وانظر عنه الأعلام 33/2).

(6) في شرح النهج: على سبيل الوصية لما ضربه ابن مُلجم لعنه الله.

(1656/5)

سؤال؛ إذا كان نصبه على المصدرية، فأراه عدل عن لفظ الفعل وهو مشتق منه، ولِمَ لم يقل: ولا تشركوا به إشراكاً؟

وجوابه؛ أنه إنما عدل عنه إلى غير لفظه ليكون مندرجاً تحته غيره فيكون عاماً في النهي عن الإشراك نفسه وعن المشرك به، فيكون النهي متناولاً لهما جميعاً، وهذا كثير الورود في كتا ب الله تعالى كقوله تعالى: {وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً}[الإسراء:74].

(ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا تضيعوا سنته): أراد والوصية بمحمد(1) هو ألاَّ تهملوا ما سنّ لكم من معالم الهدى، وطرق الصلاح.

(أقيموا هذين العمودين(2)): يريد التوحيد والسنة؛ لأنه لم يسبق الذكر إلا فيهما، وقيل: أراد القرآن والعترة(3)، وليس شيئاً لأنه لم يجرلهما ذكر، ولا حاجة إلى التعسف.

(وخلاكم ذم): أراد زال عنكم الذم وبرئتم عنه،يقال: افعل هذا وخلاك ذم أي سقط عنك وأعذرت.

(أنا بالأمس صاحبكم):إمامكم والمتولي لأموركم والقائم بها.

(واليوم عبرة لكم): أراد موعظة تتعظون بها؛ لقرب أجلي وانقطاع مدتي.

(وغداً مفارقكم): بالموت وهو أبلغ ما يكون من الانقطاع.

(إن أبقَ): من جرحي هذا ويكون في أجلي بقية.

(فأنا ولي دمي): أفعل فيه ما أشاء من عفو أو غيره .

(وإن أفنَ): أموت وينقطع أجلي.

(فالفناء ميعادي): أراد فالموت لا بد منه، وهو ميعاد لا خلف فيه ولا كذب.

(فإن(4) أعف): عما أصابني وأدخره عند الله.

---

(1) في (ب): لمحمد.

(2) في شرح النهج: أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم.

(3) القيل هذا، ذكره الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ-، بدون نسبة إلى قائله.

(4) في (ب) وفي شرح النهج: وإن.

(1657/5)

(فالعفو لي قربة): قد ندب الله إليها وحث على فعلها، وهو من أجل القرب وأعظمها عند الله تعالى، وفي الحديث: ((ينادي مناد يوم القيامة: يقوم من له أجر على الله، فيقوم العافون عن الناس))(1).

(وهو لكم حسنة): تؤجرون عليها من عند الله.

(فاعفوا): يحتمل أن يكون عاماً أي اعفوا عن كل مذنب وتجاوزوا عن ذنبه، ويحتمل أن يكون خاصاً فيما هو فيه وهو أمر لهم بالعفو إذا صار مستحقاً لهم بموته، ثم تلا هذه الآية: ({أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ})[النور:22]: أراد بسبب العفو.

ونزولها في مسطح بن أثاثة وامتناع أبي بكر عن(2) الانفاق عليه لأجل مقالته في الإفك، فقال تعالى(3): {وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ(4)}[النور:22]، ثم قال: {أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}[النور:22] فعاد أبو بكر عليه بالإنفاق(5).

سؤال؛ أراه قال: العفو قربة لي، وهو لكم حسنة، ففرق بين حاله وحالهم بالإضافة إلى العفو، فهل له وجه في ذلك؟

---

(1) أخرجه من حديث عن أبي هريرة الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية الحديث السادس عشر

وبلفظ: ((إنه ينادي منادٍ يوم القيامة: من له على الله أجر فليقم...))الحديث، وله شاهد أورده العلامة الزمخشري في الكشاف 443/1 بلفظ: ((ينادي مناد يوم القيامة: أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا)).

(2) في (ب): من.

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(4) والسعة، زيادة في (ب).

(5) انظر الكشاف 226/3.

(1658/5)

وجوابه؛ هو أن القربة إنما تكون بفعل الإنسان خاصة ليصح أن يقصد بها وجه الله تعالى، وأما الحسنة فقد تكون جزاء على فعله، وقد تكون الحسنة تفضلاً من جهة الله تعالى كما قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}[الأنعام:160] والذي بالاستحقاق ليس إلا جزء واحد، وما عداه فضل، فلهذا(1) سمى أمير المؤمنين العفو من جهته قربة لما كان الألم واصلاً إليه، وسمى عفوهم حسنة لما كان المستحق على الألم واصلاً إليهم من جهة الشرع إشارة إلى هذه التفرقة.

(والله ما فجأني من الموت وارد كرهته): فجئه الأمر فجأه فُجَاءة بكسر العين وفتحها، وغرضه هو الوارد الذي يأتي من غير شعور به، والمعنى فيه ما ورد عليَّ الموت وأنا أكرهه.

(ولا طالع أنكرته): الطالع هو: الذي يأتي القوم ويطلع عليهم، وفي الحديث: ((لا يهيدنكم الطالع المصعد))(2) وهو الفجر الكاذب، أي لا يمنعكم عن السحور، وأراد ولا جاءني الموت وأنا منكر له .

(وما كنت): بالإضافة إلى حالة الموت.

---

(1) في (ب): ولهذا.

(2) أورده ابن الأثير في النهاية 286/5 من حديث بلفظ: ((كلوا واشربوا، ولا يهيدنكم الطالع المصعد))، وقال في شرحه: أي لا تنزعجوا للفجر المستطيل فتمتنعوا به عن السحور، فإنه الصبح الكاذب، وأصل الهيد: الحركة، وقد هدت الشيء أهيده هيداً إذا حركته وأزعجته. انتهى.

والحديث أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 464/6، وعزاه إلى سنن أبي داود(2348)، وسنن الترمذي (705)، والمعجم الكبير للطبراني404/8، وإتحاف السادة المتقين452/6 إلى غيرها من المصادر.

(إلا كقارب ورد): القارب هو: الذي لم يبق بينه وبين الماء إلا ليلة واحدة، وقيل: هو(1) الذي يطلب الماء ليلاً دون من يطلبه نهاراً، وأراد ما أنا فيه إلا كطالب الماء ورده، ووجد بغيته.

(وطالب): لما يطلبه من الأمور.

(وجد): مطلوبه، وغرضه من هذا كله تشوقه إليه ومحبته للقائه، ثم تلا هذه الآية: ({وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ})[آل عمران:198]: يشير إلى أن ما عند الله خيرمما(2) في الدنيا بأسرها، ولقد طابق بهذه الآية المجر، وأصاب بها المفصل.

(24) ومن وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين(3)

---

(1) في (ب): وقيل: القارب الذي...إلخ.

(2) في (ب): خير من الدنيا.

(3) حاشية في (ب) لفظها: وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب إلا أن فيه هاهنا زيادة فأوجبت تكراره. انتهى.

(هذا ما أمر به(1) عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين): اعلم أن هذا اللقب أعني لقب أمير المؤمنين لا يصدق على أحد كصدقه عليه، لما خصه الله به من الفضائل الباهرة، وإحراز صفات(2) الإمامة على أكمل حد، ولهذا فإن الرسول عليه السلام أمر الصحابة رضي الله عنهم بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين(3)، وما ذاك إلا لاستحقاقه لها وخلافته بها.

(في ماله): فيما يملك التصرف فيه من الأموال كلها.

(ابتغاء وجه الله): أي من أجل التقرب إلى الله وطلب ما عنده من مذخور الأجر ومزيد الثواب.

(ليولجني الله به الجنة): أي يدخلني فيها من أولجه في كذا إذا أدخله فيه.

(ويعطيني به الأمنية(4)): الأمنية: أفعولة من قولهم: تمنى كذا إذا أراد وصوله إليها، وغرضه أن يعطيه الله تعالى ما تمناه من رضاه، وإحراز ثوابه وأجره.

---

(1) به، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(2) في (ب): صفة.
(3) حديث أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصحابة بالتسليم على الإمام علي عليه السلام بإمرة المؤمنين أخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام علي من تأريخ دمشق2/259-260 برقم (784) بسنده يبلغ به إلى بريدة الأسلمي قال: ((أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نسلم على علي بإمرة المؤمنين ونحن سبعة، وأنا أصغر القوم يومئذ)). وهو بلفظ: ((أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نسلم على علي بن أبي طالب عليه السلام بيا أمير المؤمنين)) أخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية1/141 بسنده يبلغ به إلى بريدة أيضاً.
(4) في شرح النهج: ليولجه به الجنة ويعطيه به الأَمَنَة

(1661/5)

ويحكى أن أمير المؤمنين كرم الله وجهه وقف عامة أمواله بينبع وغيرها، وقال: (ليولجه الله الجنة، ويصرف وجهه عن النار في سبيل الله وذوي الرحم القريب والبعيد)(1).

---

(1) خبر وقف أمير المؤمنين علي عليه السلام لماله في ينبع وغيرها أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام في المجموع الحديثي والفقهي ص253 برقم(597) بسنده عن أبيه، عن جده، عن علي " أنه كتب في صدقته: (هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب وقضى به في ماله إني تصدقت بينبع ووادي القرى والأذينة وراعة في سبيل الله ووجهه، أبتغي بها مرضاة الله، ينفق منها في كل نفقة في سبيل الله ووجهه في الحرب والسلم والجنود وذوي الرحم والقريب والبعيد، لا تباع ولا توهب ولا تورث، حياً أنا أو ميتاً أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، لا أبتغي إلا الله تعالى، فإن يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذي قضيت فيها فيما بيني وبين الله عز وجل الغد منذ قدمت مسكن واجبة بتلة حياً أنا أو ميتاً، ليولجني الله عز وجل بذلك الجنة، ويصرفني عن النار، ويصرف النار عن وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وقضيت أن رباحاً وأبا نيزر وجبيراً إن حدث بي حدث محررون لوجه الله عز وجل ولا سبيل عليهم، وقضيت أن ذلك إلى الأكبر فالأكبر من ولد علي المرضيين هديهم وأمانتهم وصلاحهم، والحمد لله رب العالمين)._ ... _وانظر أنوار التمام في تتمة الاعتصام 4/222-226، ومناقب الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله 2/80-83 الرقم (566،567،568).

(1662/5)

وعن فاطمة عليها السلام أنها وقفت مالها على نساء رسول الله، وعلى فقراء بني هاشم وبني المطلب(1).

وعن عمر أنه وقف ماله للسائل والمحروم ولذوي القربى والضيف وفي سبيل الله وابن السبيل(2).

(وإنه يقوم بذلك الحسن بن علي): يصرفه في وجهه ويقوم على عمارته.

(يأكل منه بالمعروف): من غير إسراف ولا تقتير.

(وينفق منه بالمعروف): من غير تبذير ولا منع لحق فيه.

(فإن حدث بحسن حدث): هجم عليه الموت، وانقطع عن الدنيا.

(وحسين حي، قام بالأمر بعده): في هذه الوقوفات.

(وأصدر(3) مصدره): فعل ما كان أخوه يفعل لو كان حياً، يقال: فلان يصدر الأمور في مصادرها إذا كان يأتي بها على أوجهها .

(وإن لابني فاطمة): يعني الحسن والحسبن.

(من صدقة علي): يريد هذه الوقوف التي جعلهاصدقة لوجه الله تعالى.

---

(1) قال في أنوار التمام 223/4 ما لفظه: وأخرج –أي البيهقي– من طريق عبد الله بن حسن، عن غير واحد من أهل بيته، وأحسبه قال زيد بن علي: أن فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم تصدقت بمالها على بني هاشم وبني المطلب، وأدخل معهم غيرهم.

(2) قال في المصدر السابق 227/4 ما لفظه: وفي رواية للبخاري عن ابن عمر قال: أصاب عمر بخيبر أرضاً فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه فكيف تأمرني به، فقال: ((إن شئت حبست أصلها وتصدقت))، فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء أو القربى والرقاب وفي سبيل الله والضعيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل بالمعروف، أو يطعم صديقاً غير متمول فيه.

(3) في (ب) وشرح النهج: وأصدره.

(1663/5)

(مثل الذي لبني علي):أراد أن يكون لهما على انفرادهما من هذه الصدقة مثل الذي يستحقه الكل من أولاده، وعلى هذه تكون أصولها موقوفة وغلتها تقسم نصفين، فنصف يكون للحسنين، ونصف يكون مقسوماً على كل أولاده على الرؤوس بعد ذلك.

(و(1)إنما جعلت القيام بذلك [إلى ابني فاطمة](2)): حفظه وصرفه في مصرفه، والتولي لأحواله، وأعطيتهماأيضاً هذا القسم الذي ذكرت.

(ابتغاء وجه الله):طلباً لثوابه.
(وقربة إلى رسول الله [صلى الله عليه وآله](3)): وصلة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث كانا ولديه ابني بنته، وفي الحديث: ((لكل نبي ذرية، وذريتي من صلبك يا علي))(4).
(وتكريماً لحرمته): أراد إما تكريماً لبنته حيث كانت تحتي، وإما أن يريد تكريماً لما جعل الله له من الحرمة والجلالة والأبهة بالنبوة.
(وتشريفاً لوصلته): وإكراماً للوصلة التي بيني وبينه بالنسب القريب الملاصق، وبما كان من المصاهرة.

---

(1) في شرح النهج: وإني إنما ...إلخ.
(2) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(3) زيادة في شرح النهج.
(4) الحديث بلفظ: ((إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي من صلبه، وإن الله عز وجل جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب)) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية152/1 بسنده عن جابر، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 148/3 إلى المعجم الكبير للطبراني35/3، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي317/1، وجمع الجوامع للسيوطي4772، وكنز العمال برقم (32892) وأمالي المرشد بالله الخميسية152/1، وعزاه أيضاً إلى غيرها من المصادر، وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب ص50 برقم(72) بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أيضاً مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه.

(1664/5)

(وأشترط علي الذي جعلته إليه(1)): بتولي إنفاقه وإخراجه وهو الحسن بن علي وبعده الحسين كما ذكره.
(أن يترك المال على أصوله): من غير تفريط في بيع شيء منه أوإعطاء بعضه مزارعة أو مغارسة أو مساقاة أو غير ذلك من عقودالمعاوضة الموجبة لا نتقال أصله عن كونه موقوفاً.
(وينفق من ثمره(2) حيث أمر به): يصرفها في مصارفها ولا سبيل له إلى الأصل بحالة من الحالات.
(فهذا له): الإشارة بقوله: هذا إلى النفقة التي ذكر، وصرفه في المصارف التي عينها.
(وألاَّ يبيع من نخيل هذه القرى وديَّة): الوديَّة هي: الواحدة من صغار النخل، وجمعها ودي من باب ثمرة وثمر، وأراد أنه لا يباع من ثمر نخيل هذه القرى؛ لأن الأراضي كلها موقوفة، فلا بد من حمله

على ما ذكرناه كيما يصح ويستقيم.
(حتى تُشْكِلَ أرضها غراساً): فيه وجهان:
أحدهما: أن يريد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير(3) تلك الصفة التي عرفها فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها.
وثانيهما: أن يكون غرضه حتى تطيب، قال الكسائي: يقال: أشكل النخل إذا طاب رطبه وأدرك، وغرضه أنه لا يباع حتى يكون يانعاً طيباً.
(ومن كان من إمائي اللاتي أطوف عليهن): كنى بالطواف ها هنا عن الوطئ وهو من غريب الكناية وبديعها، كما كنى الله تعالى(4) عن ذلك بالملامسة حيث قال: {أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ}[النساء:43].
(لها ولد أوهي حامل): قد بان أثر حملها.

---

(1) في شرح النهج: ويشترط على الذي يجعله إليه.
(2) في (ب): من ثمرته.
(3) في (ب): على خلاف تلك الصفة.
(4) تعالى، زيادة في (ب).

(1665/5)

واعلم: أن الذي عليه أكابر أهل البيت وجماهيرالعلماء أن من استولد جارية فولدت ولداً تاماً أو ما يظهر فيه أثر الخلقة فإنها تعتق بموته، ولا يجوز بيعها قبل الموت، وهذا هو رأي أمير المؤمنين أولاً ورأي جلة الصحابة، ثم حكي عنه بعد ذلك جواز بيعها في حال حياة السيد وهو رأي بعض ولده، وقول قديم للشافعي، فهذا هو المذكور عن العلماء في الخلاف فيها، وظاهر كلامه ها هنا يخالف هذه الأقاويل؛ لأنه قال: إن كان لها ولد أوهي حامل ثم مات السيد عنها.
(فتمسك على ولدها وهي حظه(1)): فظاهر هذا يقضي بأنها تمسك عن البيع ويأخذها من حظه من ميراث أبيه.
(فإن مات ولدها وهي حية): أراد تأخر موتها عن موت ابنها.
(فهي عتيقة): لا سبيل لأحد إلى ملكها.
(فقد(2) أفرج عنها الرق): زال وذهب بموته، من قولهم: فرجت عنه كربة إذا أزلتها عنه.
(وحررها العتق): قضى بحريتها العتق، وظاهر هذه المقالة يخالف آراء العلماء من أهل البيت، وغيرهم من أوجه ثلاثة:

أما أولاً: فلأنه جوز بيعها في حال حياة سيدها.
وأما ثانياً: فلأنه قال: تمسك على ولدها بعد موت سيدها، وهي حظه(3) من الميراث.
وأما ثالثاً: فلأنه قال: إذا مات ولدها فهي حرة، وظاهر كلامه أنه إذا لم يمت فهي باقية تحت الرق، وهو أمة وحده، لا يقول إلا عن دلالة، ولا يحكم إلا عن بصيرة، وهو رأس المجتهدين وإمامهم.

(25) ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات
وإنما ذكرنا منها جملاً ليُعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحق ويشرع أمثلة العدل في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها:

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: وهي من حظه.
(2) في (ب) وفي شرح النهج: قد.
(3) في (ب): وهي من حظه.

(1666/5)

(انطلق): فيما أمرتك به من أخذ حقوق الله الواجبة على خلقه، وقبضها منهم.
(على تقوى الله): مراقبته في الأمور كلها.
(وحده لا شريك له): لا يخطر ببالك مراقبة غيره ولا مشاركة سواه له في الأمر والملك والإلهية.
(ولا تروِّعنَّ مسلماً): تفجعه بورودك عليه، والروع: الفزع، وفي الحديث: ((وَدَى أمير المؤمنين للقوم الذين قتلهم خالد جميع ما فات عليهم، حتى مِيلَغَة الكلب وعلبة الحالب(1)، ثم أعطاهم بروعة الخيل))(2) أي بإفزاعها لنسائهم وصبيانهم ما يجبر ذلك من المال.
(ولا تجتازنَّ عليه(3) كارهاً): جاز البيت إذا دخله، وأراد أنك لا تدخل عليه ماله وضيعته إلا بأذنه.
(ولا تأخذن منه أكثر من حق الله): لأن ذلك يكون ظلماً وعدواناً.
(في ماله): أي وخذ مقدار ما فرضه الله عليه في ماله من غير زيادة فتكون ظالماً، أو نقصان فتكون خائناً لإمامك ولله في نقصان حقه.
(فإذا قدمت على الحي): على القبيلة من قبائل العرب وأحيائها.
(فأنزل بمائهم): حيث يسقون وحيث تكون المواشي مجتمعة.
(ولا تخالط أبياتهم(4)): لغير حاجة، وربما شق عليهم ذلك لما فيه من الاحتراس والانزواء.
(ثم امض إليهم بالسكينة والوقار): من غير انزعاج ولا فشل في حالك وطريقتك؛ لأن ذلك يكون أقرب إلى تقرير خواطرهم، وتسكين نفوسهم.

(1) المِيلَغ والمِيلغة بكسر الميم: الإناء يلغ فيه الكلب في الدم، وعلبة الحالب بالضم: قدح ضخم من جلود الإبل أو من خشب يحلب فيها. (انظر القاموس المحيط ص151،1020).
(2) نهاية ابن الأثير 277/2، 226/5، وانظر الخبر في سيرة ابن هشام47/4-48، تحقيق عمر محمد عبد الخالق.
(3) في (ب): عليهم.
(4) في شرح النهج: من غير أن تخالط أبياتهم.

(1667/5)

(حتى تقوم بينهم): متمكناً من خطابهم مقبلاً بوجهك إليهم.

(فتسلم عليهم): تفاتحهم أولاً بالتحية، وتسرهم بها، وفي الحديث: ((السلام قبل الكلام))(1).

(ولا تخدج التحية): أي لا تنقص التحية(2)، [وأكملها لهم](3) من قولهم: أخدجت السحابة إذا قل مطرها، وأخدجت الشاة إذا ولدت لغير تمام، وفي الحديث: ((كل صلاة لا تقرأ فيها الفاتحة(4) فهي خداج))(5) أي ناقصة التمام.

(ثم تقول: عباد الله): بالملاطفة والقول اللين السهل.

(أرسلني إليكم ولي الله وخليفته): المتولي عليكم بأمر الله، والمستخلف عليكم من جهته، من صلاح أحوالكم وانتظام أموركم.

(لآخذ منكم حق الله في أموالكم): الذي فرضه الله وقدره في أموالكم، كما جاء ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله.

(فهل لله من حق(6)): فأخبروني هل عندكم من ذلك شيء.

---

(1) أورده في موسوعة أطراف الحديث 279/5 وعزاه إلى سنن الترمذي (1969) ومشكاة المصابيح للتبريزي برقم (4653)، وتلخيص الحبير لابن حجر95/4، والدر المنثور للسيوطي 39/5، وكشف الخفاء 550/1 إلى غيرها أيضاً.
(2) في (ب): أي لا تنقصها.
(3) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(4) في (ب): بفاتحة الكتاب.
(5) رواه الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام 104/1 بلفظ: ((كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج)) وأخرجه الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام في أماليه، وهو في الاعتصام

للإمام القاسم بن محمد عليه السلام 367/1 وعزاه إلى أصول الأحكام، وإلى الشفاء، وأورده في موسوعة أطراف الحديث 434/6 وعزاه إلى مصادر عدة منها مسند أحمد بن حنبل478/2، والسنن الكبرى للبيهقي167/38/2، والدر المنثور للسيوطي6/1، وحلية الأولياء لأبي نعيم31/10.

(6) في شرح النهج: فهل لله في أموالكم من حق.

(1668/5)

(فتؤدونه إلى وليه): تؤدونه هو مرفوع على القطع، وكان القياس حذف النون، ونصبه جواباً للإستفهام، ولكنه رفعه على وأنتم تؤدونه، كما قال:

ألم تسأل الرَّبْع القَواء(1) فينطق

فلم يجعل استقرار الحق سبباً للتأدية، ولكنه جعلهم مؤدين بكل حال كما جعل الربع ناطقاً بكل حال.

(فإن قال قائل: لا): يعني أنه لا حقاً عندنا لله في أموالنا.

(فلا تراجعه): إذ لا سبيل إلى توجه الحق عليه إلا بإقراره أن له مالاً، إذ لا وجه لإقامة بينه من جهة المصدق على ذلك، وكيف يقيم المصدق بيِّنة لغير مدعي، فلهذا قال: لا(2) تراجعه إذا أنكر، يشير إلى ما ذكرناه.

(وإن أنعم منعم لك): أي قال لك: نعم عندي حقوق لله.

(فانطلق معه): لقبضه لما أقر به ولزمه فرضه.

(من غير أن تخيفه(3)): بظلم من جهتك له بالزيادة.

(أو توعده): على ما ليس حقاً لك عنده.

(أو تعسفه): عسف الطريق واعتسفها إذا خبط فيها على غير صواب، وأراد الطلب له فيما لا يتوجه عليه ولا يلزمه لله.

(أو ترهقه): إما تظلمه وإما تكلفه أمراً عسيراً.

(فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة): إذا كان ماله ذلك بعد أن تعرّفه ما يتوجه عليه في ذلك المال كيلا يزيد جهلاً بالحق المفروض من جهةالله تعالى، فربع العشر يكون في أموال التجارة عند حلولها حولاً كاملاً، وفي الركاز الخمس، ولا زكاة في هذه الأموال الناضَّة(4) حتى تبلغ الفضة مائتي درهم قفلة، والذهب عشرون مثقالاً إلى غير ذلك من الأحكام التي لابد من معرفتها.

(وإن كانت له ماشية): بقراً أو غنماً.

---

(1) الرَّبْع: الدار بعينها، والقَواء: الخالية، من أقوت الدار إذا خلت.

(2) في (ب): فلا تراجعه.

(3) في نسخة أخرى: تحفيه.

(4) الأموال الناضة: هي الذهب والفضة.

(1669/5)

(أو إبل): فإطلاق الماشية على هذه الأنواع الثلاثة.

(فلا تدخلها): للعدِّ والدرية بحالها وحال ما يؤخذ منها.

(إلا بإذنه): عن رضًا منه واستئمار.

(فإن أكثرها له): تعليل للمنع من الدخول، وأراد إن لك شيئاً حقيراً فيها، والأمر كله فيها إليه.

(فإذا أتيتها): طالباً للحق وقابضاً له منه.

(فلا تدخلها(1) دخول متسلط عليه): قاهر له، والسلطنة: القهر.

(ولا عنيف به): العنف: ضد الرفق، وأراد أنه لا رحمة له عندك.

(ولا تنفرن بهيمة): تزعجها عن(2) مكانها فشلاً وجزعاً من دخولك.

(ولا تفزعنَّها): بما يكون منه من الخشونة وشكس التصرف.

(ولا تسوءن صاحبها):تدخل عليه غماً وضيقاً في ماله بالتنفير، والتشديد وتغيير الحالة التي هو عليها.

(فيها): أي من أجلها وبسببها.

(واصدع المال صدعين): أي أقسمه نصفين.

(ثم خيِّره): أن يختار أحدهما فلا يعترض ولا يؤخذ الحق منه.

(فإذا اختار): أحدهما.

(فلا تعترض(3) لما اختار): ولا تأخذ منه شيئاً من حق الله.

(ثم اصدع الباقي صدعين): أي اقسم النصف الثاني نصفين.

(ثم خيِّره): أحدهما.

(فإذا اختار): واحداً منهما.

(فلا تعترض لما اختار(4)): فتأخذ حق الله منه.

(فلا تزال بذلك(5)): عاملاً بما قلت لك من تقسيم المال وصدعه قسمين قسمين.

(حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله): من المال على قدر ما تراه من الحساب، ويعرفه المالك للمال(6).

(في ماله): على حد قلته وكثرته.

(فاقبض حق الله منه): الذي يعطيه من ماله وتخبره بما يتوجه عليه فيه.

---

(1) في شرح النهج: فلا تدخل عليها.

(2) في (ب): من.

(3) في شرح النهج: فلا تعرضن لما اختاره

(4) في شرح النهج: فلا تعرضن لما اختاره.

(5) في (ب) وفي شرح النهج: كذلك.

(6) في (ب): المال.

(1670/5)

(فإذا استقالك):فيما تأخذه منه، وقال لك: أعد القسمة.

(فأقله): أعد له القسمة إذا طلبها.

(ثم اخلطها): أراد اخلط الزكاة التي كانت معه بماله كما كانت من قبل.

(ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً): من صدع المال وقسمه وتخييره، حتى ترضى نفسه وتطيب، وافعل ذلك وكرره.

(حتى تأخذ حق الله في ماله): عن رضىً منه، وطيبة خاطر من جهته.

(ولا تأخذن عَوْداً): العَوْدُ هو: الجمل المسن الذي قد أعيا، وهو الذي قد جاوز سنه البازل(1)، وفي بعض النسخ: (ولا تأخذن عوراء): وهو فاسد، فإن قوله: ولا ذات عوار يغني عنه فلا وجه لذلك.

(ولا هرمة):الكبيرة السن.

(ولا مكسورة): قد كسرت إحدى قوائمها.

(ولا مهلوسة): وهي التي قد هلسها المرض وأذهب لحمها، والهلاس هو: السل من الأدواء والعاهات.

(ولا ذات عوار): في عين ولا طرف، ولا ما يكون مُشَوِّهاً لها، وإذا أخذتها وصارت في كفك وقبضتك.

(فلا(2) تأمنن عليها إلا من تثق بدينه): أراد فلا تولي حالها في سقي ولا مرعى إلا من يكون موثوقاً بدينه، وخوفه لله تعالى.

(رافقاً بأموال المسلمين): كثير الرفق وعظيم الشفقة، والتعطف على ما كان متعلقاً بالمسلمين، ثم اجتهد في حفظه ورعايته.

(حتى يوصّله إلى وليهم): وهو الإمام والمتولي عليهم.

(فيقسمه بينهم): على ما فرضه(3) الله تعالى وقدره، فما كان من أموال المصالح فمصرفه ما كان مصلحة في الدين، وما كان من غيرها فمصرفه الفقراء على حد ما يراه الإمام ويقتضيه رأيه ويوجبه اجتهاده.

(ولا توكِّل بها): في سوقها وحفظها.

(إلا ناصحاً): لله وللإمام ولك.

---

(1) البازل: هو الجمل أو الناقة الذي في تاسع سنيّه. (انظر القاموس المحيط ص1248).

(2) في (ب) وشرح النهج: ولا.

(3) في (ب): ما فرض.

(1671/5)

(شفيقاً): رحيماً لها في جوعها وعطشها، وسيرها ومواضع مراحاتها.

(وأميناً): عليها فلا يخون في شيء منها.

(حفيظاً): محافظاً على مصالحها، وتفقد أحوالها ،

(غير معنِّف): العنف: نقيض الرفق، وأراد غير آخذ لها بالجُرْز(1).

(ولا مجحف): بأحوالها أي ذاهب بما يقيمها، من قولهم: أجحف به إذا ذهب بصلاح أموره.

(ولا ملغب): الإلغاب هو: الإتعاب والإعياء، كما قال تعالى(2): {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ}[ق:38].

(ولا متعب): التعب هو: المشقة العظيمة.

(ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك): أرسل إلينا، ومنه الانحدار وهو الانصباب إلى أسفل، وإنما قال: احدر مبالغة في سرعة الإرسال والإعطاء تشبيها بمن ينحدر في سيره إذا كان مسرعاً.

(نصيِّره حيث أمر الله به): أن نصيره فيه ونقضه في أهله وأهل استحقاقه من جهاد وفقراء ومصالح وغير ذلك مما قد فرضه الله، وعينه وقدره وأحكمه.

(فإذا أخذها أمينك): أعطيتها من تستأمنه فيها.

(فأوعز إليه): أي قدم إليه الحديث في الوصية:

(ألاَّ يحول بين ناقة وفصيلها): أراد إما بأن يأخذ من رب المال الناقة ويترك فصيلها، فنهاه عن ذلك ولكن يأخذ الناقة عن الفرض، ويأخذ الولد بالقيمة يدفعها له، وإما أن يريد إذا صارا(3) زكاة من جهة رب المال فلا يفصل بينهما لغرض من الأغراض ومقصد من المقاصد.

(ولا يَمْصُرْ لبنها): يستوعب جميع ما في ضرعها من اللبن.

(فيضر ذلك بولدها): لأنه هو قوته وبلغته.

(ولا يجهدها(4) ركوباً): أي لا يتعبها بالركوب، وانتصاب ركوباً إنما هو على التمييز .

---

(1) الجُرز بالضم: عمود من حديد. (القاموس المحيط ص649).
(2) تعالى، زيادة في (ب).
(3) في (ب): صارت.
(4) في شرح النهج: ولا يجهدنها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(1672/5)

(وليعدل بين صواحبها(1) في ذلك وبينها): أراد أن الركوب لايكون مختصاً بها وحدها، وليجعل الركوب مناوبة بالقسط والعدل.

(وليرفه على اللاغب): على الذي لغب وأعيا، وأراد باللاغب أي الجمل اللاغب، ويحتمل أن يكون أراد الناقة، وإنما طرح التاء لأنه في معنى النسب كما قالوا: جمل ضامر وناقة ضامر أي ذات ضمور .

(وليستأن بالنقب): من الأناة والتوقف بالنقب وهو : الذي رقت أخفافه من السير ، أو أصابه نقب في خفه وظلفه، فلا يستطيع السير .

(والظالع): وهو الذي يعرج من أحد قوائمه.

(وليوردها ما تمر به من الغُدُر): كي تشرب فيها ولا يقطعها العطش.

(ولا يعدل بها(2) عن نبت الأرض إلى جواد الطريق): وأراد أن من جملة الرعاية لأحوالها هو أنه لا يعدل بها عن المراعي الحسنة في السهول والأوطان إلى جواد الطريق، وهي أوسطها، حيث لا كلاء ولا شجر ، ولكن يجنبها عن الجواد كيما تستريح بالأكل للشجر .

(وليروحها في الساعات): يريح عليها في ساعة بعد ساعة، ووقتاً بعد وقت.

(ليمهلها(3) عند النطاف والأعشاب): النطاف هو : الماء القليل، والأعشاب: جمع عشب، وهو : كثرة الشجر والتفافه، وغرضه أن يتوقف بها للأكل والشرب حتى تعطى أغراضها.

(حتى تأتينا بإذن الله): بأمره وعلمه.

(بُدَّناً): سماناً.

(منقيات): ذوات نِقْي أي دهن، والنقى هو : مخ العظم.

(غير متعبات): قد أعياهن التعب والإقصاء.

(ولا مجهودات): قد أصابهن الجهد.

---

(1) في شرح النهج: صواحباتها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) بها، سقط من (ب).

(3) في (ب) وشرح النهج: وليمهلها.

(1673/5)

(لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه [صلى الله عليه وآله] (1)): أراد نقضها بين المسلمين على ما حكم الله به في كتابه، وعلى ما كان مأ ثوراً في سنة الرسول.

(فإن ذلك): جميع ما ذكرته لك من الترفيه والرفق في حالها.

(أعظم لأجرك): أكثر وأوفر لثوابك عند الله.

(وأقرب لرشدك): لأن تكون راشداً مصيباً للحق، فإذا كانت هذه حاله بالإضافة إلى البهائم ومن لا عقل له، فكيف حاله بالإضافة إلى علماء الأمة وأعيان الأئمة، وأهل الفاقة والمسكنة يكون لا محالة رفقه أعظم، ورحمته أكمل وأتم.

وفي الحديث: ((ما من نبي إلا وقد رعى)).

قالوا: وأنت يارسول الله.

قال: ((وأنا))(2).

وعن هذا قال العلماء: وجه الحكمة في ذلك هوأن الله تعالى يختبرأحوالهم ورحمتهم بالبهائم، فإن علم من حالهم الرفق بها، والحنو عليها فهم لا محالة للخلق أرحم، فلهذا تنباهم بعد ذلك، وأرسلهم إلى الخلق، ولأمر ما يسود من يسود.

(26) ومن عهد له عليه السلام لأهل الخراج(3)

(آمُرُهُ بتقوى الله في سرائر أمره): أن يكون متقياً لله في السرائر الحاصلة في القلوب.

---

(1) زيادة في شرح النهج.

(2) أورده ابن هشام في السيرة النبوية167/1 تحقيق مصطفى السقا وآخرين، وورد منه قوله: ((ما من نبي إلا وقد رعى الغنم)) في موسوعة أطراف الحديث 299/9 وعزاه إلى كنز العمال برقم (9242)، والبداية والنهاية لابن كثير 324/6، وقريباً مما أورده المؤلف هنا أخرجه البخاري في صحيحه برقم (2102) كتاب الإجارة بسنده عن أبي هريرة، وابن ماجة في سننه برقم (2140) كتاب التجارات.

(3) في شرح النهج: ومن عهد له عليه السلام إلى بعض عماله، وقد بعثه على الصدقة.

(1674/5)

(وخفيات عمله): وفي الأعمال التي تخفى على العباد، ولا يمكنهم الاطلاع عليها فإن المراقبة فيها(1) لله تكون أعظم وأكبر موقعاً عند الله تعالى.

(حيث لا يشهد(2) غيره): لا يشاهدها أحد سواه، ولا يراقبها(3) إلا هو.

(ولا وكيل دونه): أي ولا حفيظ عليه أحد(4) غيره.

(وآمره أن لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر): أراد بذلك النهي عن أن يعمل شيئاً من الطاعة فيما يظهر الناس، ويبدو لهم من ذلك؛ لأنه إذا فعل الطاعة ظاهراً فربما غيَّر ذلك.

(فيخالف إلى غيره فيما أسر): أي أنه يفعل خلاف ما فعل من الطاعة سراً وهو معصية لا محالة، ولكن يفعل الطاعة لوجه الله تعالى من غير التفات إلى ظهور للناس بشيء من ذلك، فيؤدي إلىالمحذور الذي ذكره.

(ومن لم يختلف سره وعلانيته): ما يظهر من أفعاله وما يبطنها.

(وفعله ومقالته): وقوله وفعله.

(فقد أدى الأمانة): وهو التكليف الذي ائتمنه الله تعالى عليه، والواجبات التي أوجبها عليه.

(وأخلص العبادة): أدَّاها خالصة لوجه الله تعالى؛ لأن من لم يختلف حاله في الظهور والإسرار والأقوال والأفعال فهذا هو المخلص حقيقة.

اللَّهُمَّ، إنا نعوذبك من مخالفة القول للفعل، والسر للعلانية.

(وآمره ألا يجبههم): أي يستقبلهم بما يكرهونه من الكلام، والضمير للمولى عليهم.

(ولا يعضههم): عضهه إذا رماه بالبهتان وقول الأثم.

(ولا يرغب عنهم): أي لا يكون زاهداً فيهم.

(تفضلاً بالإمارة): أي من أجل تفضله بكونه أميراً، فإن مثل هذا يكون زيادة في التواضع لهم، كما قال تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}[الحجر:88].

---

(1) فيها، سقط من (ب).

(2) في شرح النهج: حيث لا شاهد غيره.

(3) في (ب): ولا يراه فيها إلاهو.

(4) في (ب): أحداً.

(1675/5)

(فإنهم الأخوان في الدين): إشارة إلى قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات:10] أي أن هذه الأخوة ما حصلت إلا من أجل الدين.

(والأعوان على استخراج الحقوق): ممن كتمها، وأراد خلاف الحق فيها.

(وإن لك في هذه الصدقة): يخاطب به المصدق والمتولي لجباية الأموال .

(نصيباً مفروضاً، وحقاً معلوماً): فرضه الله تعالى وقدره، فلا يزاد عليه ولا ينقص منه.

(وشركاء): أي ولك شركاء فيها.

(أهل مسكنة): أي هم أهل مسكنة، ضعف في أحوالهم.

(وضعفاء): أي وهم ضعفاء.

(ذوي فاقة): الفاقة: الفقر.

(وإنا موفوك حقك): معطوك نصيبك لا نقصان عليك فيه.

(فوفهم حقهم(1)): أعطهم نصيبهم موفراً.

(وإلا(2) فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة): أي وإلاَّ تفعل ماأمرتك به من ذلك من التوفير والإيفاء فإن خصومك لامحالة يكونون كثيراً يوم القيامة.

(وبؤساً(3)): بئس الرجل بؤساً إذا اشتدت حاجته، وعظم فقره، وانتصابه علىالمصدرية، وفعله مضمر لايظهر.

(لمن خَصْمُهُ عند الله الفقراء): أهل الفاقة.

(والمساكين): الضعيفة أحوالهم.

(والسائلون): كثيروا المسألة من أجل فقرهم.

(والمدفوعون): وهم الفقراء؛ لأن كل أحد يدفعهم عن نفسه من أجل إلحاحهم(4).

(والغارم(5)): وهو: الذي لحقه الدين من أجل خاصة نفسه، أو من أجل مصلحة فعلها في الدين.

(وابن السبيل): المنقطع في السفر، وإن كان موسراً في بلده.

(ومن استهان بالأمانة): خف موقعها في نفسه ولم يلتفت إليها.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: حقوقهم.

(2) في شرح النهج: وإلا تفعل فإنك ...إلخ.

(3) في شرح النهج: وبؤسى.

(4) في (ب) ونسخة أخرى: إيحاجهم.

(5) في شرح النهج: والغارمون.

(ورتع في الخيانة): تمكن فيها واستحكم أمره في أخذها، ورتعت الماشية إذا أكلت ما شاءت، ويقال: خرجنا نرتع ونلعب أي نلهو وننعم.

(ولم ينزِّه): يبعِّد عنها:

(نفسه ودينه): والتنزُّه: التباعد عمَّا يسوء ويسقط النفوس، قال الهذلي:

أقبَّ طريد بنزه الفلا

ة لا يرد الماء إلا ائتيابا(1)

ونزه الفلاة: ما تباعد عن المياة.

(فقد أحل بنفسه(2) في الدنيا الذل والخزي): حلَّ به كذا إذا أصابه وخالطه، وأراد أن من حاله هكذا فقد أصابه الخزي وهو المذلة في الدنيا.

(وهو في الآخرة أذل وأخزى): أحقر وأدنئ؛ لأن ما كان في الدنيا من الخزي والعذاب والهوان فإنه لا نسبة له إلى ما يستحق في الآخرة.

(وإن أعظم الخيانة): عند الله.

(خيانة الأمة): خانه يخونه خوناً وخيانة ومخانة إذا لم يَفِ له، قال تعالى: {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ}[البقرة:187].

(وأعظم(3) الغش): حالة عند الله.

(غش الأئمة): والغش: خلاف النصح، وفي الحديث: ((ليس منَّا من غشَّ))(4)

---

(1) البيت في لسان العرب 620/3 وهو فيه من بيتين، نسبهما لأسامة بن حبيب الهذلي وهما:

كأسحم فرد على حافة

يشرِّد عن كتفيه الذبابا

أقبّ رباع بنزه الفلا

ة لا يرد الماء إلا ائتيابا

(2) في (ب): نفسه، وقوله: الذل سقط منها، والعبارة في شرح النهج: فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا.

(3) في شرح النهج: وأفظع الغش.

(4) رواه الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 28/2 عن الجامع الصغير للسيوطي، وقال: قال -أي السيوطي- رواه أحمد في مسنده، وأبو داود، وابن ماجة، والحاكم.

قلت: وهو في السنن الكبرى للبيهقي 320/5، والمعجم الكبير للطبراني198/22، والترغيب والترهيب للمنذري359/2، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف867/6.

(1677/5)

، وقوله: خيانة الأمة، وغش الأئمة، مصدران مضافان إلى مفعولهما، والفاعل فيهما محذوف وتقديره(1) خيانة الأمة وغش الأئمة غيرهم.

(27) ومن عهد له عليه السلام كتبه لمحمد بن أبي بكر [رضي الله عنه](2) حين قلَّده مصر

(فاخفض لهم جناحك): هذه كناية حسنة دالة على الأمر بالتواضع، وأخذها من خفض الطائر جناحه إذا دنا للوقوع.

(وألن لهم جانبك): لين الجانب كناية عن البشاشة وحسن المودة.

(وابسط لهم وجهك): المراد ببسط الوجه لين العريكة، وسعة الخلق.

(وآس بينهم في اللحظة والنظرة): أراد أنهم يكونون بالإضافة إلى إنصافك على جهة الاستواء، لا تفضيل لأحد منهم على أحد، فيكونون(3) أسوة في ذلك.

(حتى لا يطمع العظماء في حيفك): الحيف: الميل.

(ولا ييأس الضعفاء عن(4) عدلك): العدل: الاستقامة على الحق، وأراد أنك إذا فعلت ما ذكرته من المؤاساة بينهم كان أقرب إلى بطلان طمع أهل العظمة والتكبر في أن تحيف وتميل عن الحق، وأبعد عن إياس أهل الفاقة والمسكنة عن عدلك واستقامتك على الحق.

(وإن(5) الله يسائلكم(6) معشر عباده): يباحثكم ويناقشكم.

(عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة): عما يكون صغيراً مكفراً، وعما يكون كبيراً(7) محبطاً للثواب مهلكاً.

(والظاهرة): المكشوفة للناس.

(والمستورة): التي لا يعلمها إلا الله تعالى(8).

(فإن يعذب): على أفعالكم وعلى ما أنتم مصرون عليه من الأعمال السيئة.

(فأنتم أظلم): أعظم ظلماً وأكثر إثماً.

---

(1) في (ب): تقديره بغير واو.

(2) زيادة في شرح النهج.

(3) في (ب): فتكون.

(4) في (ب) وشرح النهج: من.

(5) في (ب) وشرح النهج: فإن.

(6) في (ب): يسألكم.

(7) كبيراً، سقط من (ب).

(8) تعالى، زيادة في (ب).

(1678/5)

(وإن يعف): عما اجترحتموه من الأفعال القبيحة.

(فهو أكرم): من أن يستوفي له(1) حقاً.

(واعلموا عباد الله): علماً لا شك فيه، وتحققاً لا ريب(2) يخالطه.

(أن المتقين): لله تعالى والخائفين له في جميع أ حوالهم.

(ذهبوا بعاجل الدنيا): نعيمها ولذاتها.

(وآجل الآخرة): وما يكون في الآخرة من اللذة والنعمة أيضاً.

(فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم): بما كان بإعطاء الله لهم من راحة النفوس وقرار الخواطر، وتعجيل أرزاقهم الهنية، وطمأنينة أنفسهم إلى ذلك.

(ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم): فيما يستحقون من جهة الله تعالى من الثواب والدرجات العالية بصالح أعمالهم.

(سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت): من قرار الأنفس وطيب الخواطر، وثلج الصدور وراحة الأبدان.

(وأكلوها بأفضل ما أكلت): في مآكلهم ومشاربهم، ومناكحهم وجميع لذاتهم فيها.

(فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون): رجل حظي إذا كان ذا حظوة، ومكانة وشرف ومنزلة واستحقاق لما هو فيه، وأراد أنهم امتازوا فيها بما امتاز به أهل الترف والنعمة من أهل الدنيا.

(وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون): من التنعم بلذاتها، والتفكه بغضارتها، وإحراز رونقها.

(ثم انقلبوا عنها): يريد إلى الآخرة.

(بالزاد المبلغ): لهم إلى الجنة.

(والمتجر الرابح): بالفوز برضوان الله تعالى وكريم ثوابه.

(أصابوا لذة): ظفروا بها وأحرزوها.

(زهد الدنيا في دنياهم):أراد الرغبة عن الدنيا، والانقطاع عنها في عاجلتهم المتقدمة.

---

(1) في (ب): حقاً له.

(2) في (ب): لا ريب فيه يخالطه.

(1679/5)

(وأيقنوا أنهم جيران الله)(1): قريبون من رحمته، ولا تعقل المجاورة في حق الله تعالى(2) إلا القرب من الرحمة كما ذكرناه.

(في آخرتهم): في الدار الآخرة.

(لا ترد لهم دعوة): لقربهم إلى الله وعلو درجتهم عنده فلا يخالفهم في تنجيز مراداتهم.

(ولا ينقص لهم نصيب من لذة): جزاء على أعمالهم وتوفيراً عليهم ما يستحقونه.

(فاحذروا عباد الله الموت وقربه): هجومه على غفلة، وقرب نزوله على فجعة.

(وأعدوا له عدته): من الأعمال الصالحة والتوبة النصوح، وحسن الظن بالله تعالى(3)، وفي الحديث: ((لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو محسن للظنِّ بالله، فإنَّ الله يقول](4): أنا حيث ظنَّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء))(5).

(فإنه يأتي بأمر عظيم): هول لا أعظم منه، ومصيبة لا أطم منها من استلاب الروح ودخول القبر، وملاقاة أهوال الآخرة

(وخطب جليل): جل الخطب إذا عظم واتسع.

---

(1) في شرح النهج: جيران الله غداً.

(2) تعالى، سقط من (أ).

(3) تعالى، سقط من (أ).

(4) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(5) الحديث بلفظ: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله)) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي466/7 وعزاه إلى مسلم (2205) و(2206)، ومسند أحمد بن حنبل330/1،325، 293/3،

والبداية والنهاية لابن كثير234/5، 238، وحسن الظن لابن أبي الدنيا4، 3، 1. روى جزءاً منه بلفظ: ((يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء)) الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص499 برقم (430). (انظر تخريجه فيه)، وبلفظ الموفق بالله رواه العلامة ابن أبي الحديد في شرح النهج155/10.

(1680/5)

(بخير لا يكون معه شر أبداً): بخير في موضع البيان، لقوله: يأتي بأمر عظيم، إما على البدلية وإما على عطف البيان، وأراد بالخير لأهل ولاية الله وأهل العمل بطاعته.

(و(1)شر لايكون معه خير أبداً): لأهل عداوة الله وأهل العمل بمعصيته.

اللَّهُمَّ، اجعلنا من أهل طاعتك والولاية لك يا أكرم مسئول.

(فمن أقرب إلى الجنة من عاملها!): استفهام على جهة التقرير، وغرضه أن أقرب الناس من(2) الجنة هم العاملون لها الأعمال المبرورة والقربات المتقبلة.

(ومن أقرب إلى النار من عاملها!): أراد أنه لا أقرب إلى النار من أهل العمل لها، بأعمالها من ارتكاب المناهي وفعل المحظورات.

(وأنتم طرداء الموت): جمع طريد وهو: الذي يساق بالعنف والشدة فيذهب كل مذهب.

(إن أقمتم له): على طريقه.

(أخذكم): تناولكم.

(وإن فررتم منه): هربتم من أجله خوفاً منه.

(أدرككم): لحقكم ولم تفوتوه.

(وهو ألزم لكم من ظلكم): لأن الظل لا ينفك عن الإنسان بحال؛ لأنه حاصل على جهة الوجوب عن الشبح.

(الموت معقود بنواصيكم): لا يحل أبداً.

(والدنيا تطوي خلفكم): أراد أن الأيام والليالي تمضي مستمرة كل ما مضى منها لا يعود البتة، فكأن طاوياً يطوي كل ساعة من خلفنا.

(فاحذروا ناراً): إنما نكرها لعظم شأنها، كأنه قال: نار وأي نار، لا يمكن وصفها.

(قعرها بعيد):لا ينال ولا يوقف له على غاية في البعد، منتهاه حيث أراد الله وعلمه.

(وحرها شديد): عظيم بالغ في الشدة كل مبلغ.

(وعذابها جديد):لا يندرس أبداً أو لا يفنى.

(ليس فيها رحمة): لأحد ممن هو كائن فيها.

(ولا تسمع فيها دعوة): لمن يدعو منهم أبداً.

---

(1) في (ب): وبشر، وفي شرح النهج: أو شر.
(2) في (ب): إلى الجنة.

(1681/5)

(ولا تفرِّ ج فيها كربة): لا يزول ما هم فيه من الغصص، والكرب اللاحقة بهم والغموم، وقد وصف الله تعالى ماهم فيه من الويل والعذاب فيها على أوجه مختلفة، وضروب متفاوته.
(وإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله): من أجل جلاله وعظم سلطانه، واقتحامكم على مناهيه، وتضييعكم لأوامره.
(وأن يحسن ظنكم به): لرحمته الواسعة، وعفوه الكثير.
(فاجمعوا بينهما): لما في ذلك من المصلحة، فالخوف يحمل على الانكفاف عن المعاصي، والرجاء يحمل على الاتكال على رحمة الله وسعة عفوه، وعن عمر: الرجاء والخوف بعيران لا أبالي أيهما ركبت.
(فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه): اعلم أن الرجاء والخوف إنما يكونان(1) في الأمور المنتظرة، فإن كان مما(2) يتألم به القلب فهو الخوف، وإن كان ممن يفرح به القلب فهو الرجاء، وهما كلاهما ينشأن عن المعرفة بجلال الله تعالى(3)، وتكون سبباً فيهما، فمن عرف الله تعالى كان على قدر حاله في المعرفة يكون خوفه منه ورجاؤه له، وهما من المقامات العظيمة لأولياء الله، وفي الحديث: ((دخل الرسولعليه السلام على رجل وهو في النزع))، فقال: ((كيف تجدك))؟
قال: أجدني أخاف ذنوبي، وأ رجو رحمة ربي.

---

(1) في (ب): يكون.
(2) في (ب): ما.
(3) تعالى، زيادة في (ب).

(1682/5)

فقال: ((ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا، وآمنه مما يخاف))(1).
(وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله): لأن المرء إذا اشتد خوفه من الله بعثه ذلك(2) على الاضطرار إلى الله وحسن الرجاء له.
وروت عائشة: ((أنه عليه السلام كان إذا اشتدَّ عصف الريح تغيَّر وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة، ويدخل ويخرج، كل ذلك خوف(3) من عذاب الله))(4).

---

(1) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 155/10، وأخرجه الإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار ص417 برقم (306) بسنده يبلغ به إلى أنس بن مالك، وهو فيه باختلاف يسير في بعض ألفاظه، قال المحقق في تخريجه: أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الزهد رقم (4261) عن عبد الله بن الحكم بن أبي زياد به. انظر بقية تخريجه فيه، ورواه العلامة محمد بن مطهر الغشم رحمه الله في رضا رب العباد ص383، وقال في هامشه: أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب، وابن ماجة، وابن أبي الدنيا عن أنس، قال المنذري: إسناده حسن. انتهى.
(2) ذلك، سقط من (ب).
(3) في (ب): خوفاً.
(4) وروى العلامة الزمخشري في الكشاف 311/4-312 قال: وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أنه كان إذا رأى الريح فزع))، وقال: ((اللهم، إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به)) وإذا رأى مخيلة قام وجاء وذهب وتغيَّر لونُه فيقال له: يا رسول الله، ما تخاف؟ فيقول: ((إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا: هذا عارض ممطرنا))، وانظر تفسير الحديث في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى الحق عليهما السلام 140/1، في كتاب الإيضاح.

(1683/5)

(واعلم يا محمد بن أبي بكر، أني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي): أحبهم إليَّ وأعظمهم موقعاً عندي، وأقواهم حالة وأشدهم أمراً.
(أهل مصر): فإني قد جعلتك عليهم والياً، واخترتك لمصالحهم أميراً.
(فأنت محقوق أن تخاف(1) على نفسك): أراد إما أنه يحق عليك لله تعالى(2) أن تخاف على نفسك من عذابه، وإما أن يريد أنت جدير وقمين(3) بأن تكون خائفاً منه.
(وأن تنافح على دينك): المنافحة: المخاصمة، والمنافحة أيضاً مثل المكافحة، وغرضه من هذا كله الاجتهاد في الدين، والمنابذة عنه عما يسوؤه ويثلمه في هذه الأعمال والولايات.

(ولو لم يكن لك إلا ساعة واحدة من الدهر): فيه وجوه ثلاثة:

أما أولاً: فبأن يريد لو لم يكن لك إلا ساعة واحدة لا فتقرت فيها إلى رضوان الله، والخوف من عذابه.

وأما ثانياً: فبأن يكون غرضه لو لم يكن لك إلا ساعة واحدة في الولاية لافتقرت إلى مراعاة أحوالها، وإصلاح حالك فيها.

وأما ثالثاً: فبأن يكون مراده لو لم يكن إلا ساعة واحدة لا فتقرت إلى معاملة الناس، وإصلاح حالك معهم.

(فلا تسخط الله برضى أحد من خلقه): فإن من هذه حاله فهو أخسر الناس صفقة؛ لأنه في غنى عن الخلق بالله، وليس له عن الله غنى.

وأيضاً:

(فإن في الله خلفاً من(4) غيره): عوضاً عنه.

(وليس من الله خلف في غيره): أحد يسد مسده، ويقوم مقامه في الأمور كلها.

(صلِّ الصلاة لوقتها المؤقت لها): المضروب المحدود لها المقدر، كما قال تعالى: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً}[النساء:103]، أي مؤقتاً مقدراً لا زيادة عليه ولا نقصان منه.

---

(1) في شرح النهج: تخالف.

(2) تعالى، زيادة في (ب).

(3) في (ب): وقمن.

(4) في (ب): عن.

(1684/5)

(ولا تعجِّل وقتها لفراغ): أراد أنك لا تعجلها في أول(1) وقتها، لأن تفرغ للاشتغال بغيرها، فتكون قد استعجلت بأدائها وتأنَّيت في تأدية غيرها، وهي أحق بالأناة والتؤدة.

(ولا تؤخرها عن وقتها بشغل(2)): يريد ولا يكون سبب تأخيرها انشغالك بغيرها فتكون قد قدَّمت عليها غيرها اهتماماً به وتركاً لها.

(واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك):يريد أن جميع الأعمال كلها متوقفة على الصلاة، فإن قبلت فهي مقبولة، وإن ردت فهي أحق بالرد، وفي الحديث: ((خير أعمالكم الصلاة))(3)، فإذا كان الأفضل مردوداً فكيف حال الأدنى يكون لا محالة أخلق(4) بالرد.

(فإنه لا سواء، إمام الهدى وإمام الردى): أراد بذلك تهييجاً له إلى فعل الخير، وأنه لا يستوي الحال

فيمن يكون داعياً إلى الله تعالى ودليلاً على الخير، ومن يكون داعياً إلى الشر، وعاملاً في الخلق بغير رضاء الله وتقواه.

(وولي النبي وعدو النبي): أراد ومن يكون موالياً للنبي في العمل بمراده، ومن يكون مضاداً مخالفاً لهواه على جهة المعاداة، فهذان لا يستوي حالهما، وبينهما لا محالة بعد متفاوت.

---

(1) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: قبل وقتها.

(2) في (ب): لشغل، وفي شرح النهج: لاشتغال.

(3) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 642/4 إلى سنن ابن ماجة (279)، ومسند أحمد بن حنبل 280/5، والاستذكار لابن عبد البر 262/1، وتهذيب تأريخ دمشق لابن عساكر 89/2.

(4) في (ب): أخف.

(1685/5)

(ولقد قال لي رسول الله [صلى الله عليه وآله] (1): ((إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً))): يشير بهذا لمحمد بن أبي بكر، إما على جهة العموم وهو تعريفه بضرر من هذه حاله، وإما على جهة الخصوص وهو تحذيره من حال معاوية؛ لأن من كان حاله على جهة واحدة فعلاجه يكون سهلاً وأمره يكون أيسر.

(((أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه))): عن الإقدام على ما ليس له فعله، ويبعثه إيمانه على فعل كل خير من ذلك.

(((وأما المشرك فيقمعه الله بشركه))): قمعه إذا كفه، وأراد أن الله تعالى يكفه عما يريد وعما يخطر على باله من الأعمال المكروهة، فهذان علاجهما لامحالة أسهل لكونهما على حالة واحدة.

(((ولكني أخاف عليكم كل منافق الجَنَان))): أراد كل من كان نفاقه في جنانه وهو القلب يظهر الإيمان ويبطن خلافه من الكفر.

(((عالم اللسان))): يصف الإيمان بلسانه ولا يعمل به.

(((يقول ما تعرفون))): من الأمر بالحق والوصف له.

---

(1) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(1686/5)

(((ويفعل ما تنكرون)))(1): من أعمال السوء، فمن هذه حاله فهو لا محالة مخوف على الدين وإفساده.

(28) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية [جواباً](2) وهو من محاسن الكتب

(أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر(3) اصطفاء الله محمداً [صلى الله عليه وآله](4) لدينه): صدَّر معاوية كتابه بذكر اختيار الله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، من أجل إحياء دينه وتقرير معالمه.

(وتأييده إياه بمن(5) أيده من أصحابه): ومن جملة ما ذكره معاوية أن الله تعالى أيده بأصحاب وأعوان.

(فلقد خبَّأ لنا منك الدهر(6) عجباً): ستره وكتمه ولم يظهره، والعجب: ما يعجب منه.

(إذ طفقت): إذ هذه معمولة لما قبلها وهي معمولة لخبأ، وطفق من أفعال(7) المقاربة طفق يفعل كذا إذا أخذ في فعله.

(تخبرنا ببلاء الله عندنا):البلاء هو: الا ختبار والامتحان.

---

(1) أخرجه الإمام الناصر الأطروش عليه السلام في البساط ص108-109 بسنده عن الحارث الأعور، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام باختلاف يسير، والإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار ص180 برقم(150) بسنده عن الحارث، عن أمير المؤمنين باختلاف يسير في بعض لفظه، وقال المحقق في تخريجه: هو في كنز العمال رقم (29416) عن الحارث عن علي عليه السلام، وعزاه إلى العسكري في المواعظ، وهو في مجمع الزوائد بلفظ مقارب، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط والصغير، قال: وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف. قلت: ضعفوه تحاملاً لتشيعه، إلى أن قال: وعزاه في موسوعة الأطراف إلى الترغيب والترهيب 236/3، وإتحاف السادة المتقين378./1

(2) زيادة في شرح النهج.

(3) في شرح النهج: تذكر فيه.

(4) زيادة في شرح النهج.

(5) في شرح النهج: لمن.

(6) في (ب) وشرح النهج: فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً.

(7) في (ب): أعمال.

(ونعمته علينا في نبينا): وتذكر ما منَّ الله به علينا من بعثة(1) هذا النبي فينا وبيننا.

(فكنت في ذلك): أي في كلامك هذا.

(كناقل التمر إلى هجر): هذا مثل يضرب لمن يجلب الشيء إلى موضعه ومكانه ليبيعه فيه، هجر: بلد يذكر ويؤنث(2).

(وداعي(3) مسدده إلى النضال): وهذا أيضاً مثل لمن يعلم غيره صنعة(4) من الصناعات، أو أدباً من الآداب، فلما تمَّ تعليمه له طفق يباريه في ذلك ويعترض عليه، والمسدد هو: المعلم لتسديد السهم نحو الغرض، والنضال هو: المناضلة، وهي: الرمي على خطر وسبق، وعن هذا قال بعضهم:

أعلمه الرماية كل يوم

فلما شد(5) ساعده رماني(6)

(وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام): أعلاهم درجة، وأكثرهم عند الله ثواباً وأرفعهم عند الله مكانة ومنزلة.

(فلان وفلان): يريد معاوية أبابكر وعمر، ولكن أمير المؤمنين كنى عنهم(7) بهذه الكناية.

(فذكرت أمراً): ليس لك ذكره، ولا أنت أهلاً لأن تكون خائضاً فيه لأمور ثلاثة:

---

(1) في (ب): نعمته.

(2) وانظر أصل المثل والبلدة في شرح ابن أبي الحديد 188/15، والقاموس المحيط ص638، ولسان العرب3/774.

(3) في (ب) وشرح النهج: أو داعي.

(4) في (أ): صنيعة.

(5) هكذا في النسخ، وفي شرح النهج 189/15، ولسان العرب2/117: استد، بالسين المهملة، أي استقام.

(6) بعده:

فلا ظفرت يمينك حين ترمي

وشلت منك حاملة البنان

والبيتان ينسبان لمعن بن أوس، وقيل: لمالك بن نهم الأزدي، وقيل: لعقيل بن علفة. (انظر لسان العرب 2/117-118).

(7) هكذا في النسخ ولعل الصواب: عنهما.

أما أولاً: فلأن درجات الفضل بين الفضلاء إنما تكون بعلم من جهة الله ومن جهة ر سوله؛ لأن ذلك كله بالإضافة إلى كثرة الثواب وزيادته، وهذا أمر غيبي لا يطلع عليه إلا الله أو من أطلعه(1) عليه.

وأما ثانياً: فلأن الخوض في درجات الفضل بين الفضلاء إنما يكون من جهة من يكون في مراتبهم، وعارفاً لمقاديرهم، وأنت خارج عن هذا.

وأما ثالثاً: فلأن هذا أمر:

(إن تمَّ اعتزلك كله): أي لم تكن منه في ورد ولا صدر، ولا له تعلق بك بحال.

(وإن نقص لم يلحقك ثلمه): أراد وإن لم يتم فلا يلحقك فيه نقص لا نفصالك عنه.

(وما أنت والفاضل والمفضول): أي وما أنت وذكر من هو فاضل وذكر من هو مفضول.

(والسائس والمسوس!): أراد وذكر من هو حسن السياسة للأمة ممن(2) ليس حاله كذلك، لأن كتاب معاوية(3) فيه ذكر ذلك.

(وما للطلقاء): يريد أبا سفيان بن حرب.

(وأبناء الطلقاء): يريد معاوية؛ لأنهما أطلقا يوم الفتح عن الأسر والقتل والاسترقاق.

(والتمييز بين المهاجرين الأولين): في المهاجرة مع الرسول، والمتقدمين فيها.

(وترتيب درجاتهم): وأن هذا أفضل من ذاك، وأن ذاك أفضل من هذا كما فعلت.

(وتعريف طبقاتهم!): في العلو والرفعة.

(هيهات): بَعُدَ ما قاله عن الصحة.

---

(1) في (ب): أطلعه الله عليه.

(2) في (ب): ومن.

(3) انظر عن كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي يقصده المؤلف هنا في شرح النهج لابن أبي الحديد 15/184-187.

(لقد حنَّ قدح ليس منها(1)):الضمير في منها للقداح التي يستقسم بها، وحنَّ أي ظهر له صوت يخالف أصواتها، فلما كان الأمر كذلك عرف المفيض بها والمجلجل لقداحها أنه خارج عنها وليس من جملتها.

(وطفق يحكم فيها): الضمير في فيها إما لهذه القضية، وإما للطبقات لما(2) تقدم ذكرها، وأراد يحكم فيها بالفضل لبعضهم على البعض.

(من عليه الحكم لها!): الذي(3) كانوا أحق بالحكم عليه في ذلك، والمعنى في هذا هو أن معاوية لم يكن أهلاً لما ذكر(4) من التمييز بين من ذكر حاله، وأنهم كانوا هم الأهل لأن يميزوا بينه وبين غيره.

(ألا تَرْبعُ أيها الإنسان على ظلعك): هذا مثل يضرب لمن يقدم على أمر لا يطيقه، ومعناه ارفق بنفسك، ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق.

(وتعرف قصور ذرعك): القصور هو: العجز عن تحمل الشيء والنهوض به، وأراد أن ذرعه قاصر عما يحمله من هذه الأعباء(5)، يقال: ضقت بالأمر ذرعاً إذا لم يطقه، وقال آخر يصف ذئباً:

---

(1) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 191/15 في شرح قوله: (لقد حنَّ قِدْحُ ليس منها): هذا مثل يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم، وأصله القداح من عود واحد يجعل فيها قدح من غير ذلك الخشب فيصوِّت بينها إذا أرادها المفيض، فذلك الصوت هو حنينه. انتهى.
وقال ابن الأثير في النهاية 452/1 في شرح المثل: هو مثل يضرب للرجل ينتمي إلى نسب ليس منه، أو يدعي ما ليس منه في شيء، والقِدْح بالكسر: أحد سهام الميسر، فإذا كان من غير جوهر أخواته ثم حركها المفيض بها خرج له صوت يخالف أصواتها فعرف به. انتهى.
(2) في (ب): كما.
(3) في (ب): الذين.
(4) في (ب): ذكره.
(5) في (ب): من هذا الأعياء.

وإن بات وحشاً ليلة لم يضق(1) بها

ذراعاً ولم يصبح لها وهو خاشع(2)

(وتتأخر حيث أخرك القدر!): أراد حيث وضعك الله تعالى، ولاتكن متطلعاً إلى مراتب الأفاضل ممن هو فوقك في الدين والفضل وعلو الرتبة.

(فما عليك غلبة المغلوب): أراد أن كل من كان مغلوباً مقهوراً بفضل غيره فما يلحقك نقصه، ولا ينالك ما لحقه(3) منه.

(ولا لك ظفر الظافر): وأن كل من ظفر بالفضل وعلابه فما ينالك منه فائدة ولا تحصل لك منفعة، وإن هذا الكلام مع اشتماله على الحق الواضح ففيه غاية الإنصاف لمن كان له قلب.

(وإنك لذهاب في التيه): تاه إذا تحيّر، وأراد أنك لذاهب في أودية الحيرة.

(رواغ عن القصد): الروغان هو: الميل، والقصد هو: الطريق، وغرضه أنه مائل عن مسالك الحق في كل أحواله.

(ألا ترى): إلى ما أقول لك وأحدثك به.

(غير مخبر لك): أراد إما أني أذكره لك ليس على جهة الإخبار لأنك عارف به فلا فائدة في إخبارك(4) به، وإما أن يريد غير مخبر لك على جهة الافتخار.

---

(1) في (ب) وفي نسخة أخرى: يطق.

(2) لسان العرب 1064/1، ونسبه لحميد بن ثور يصف ذئباً، وقوله: خاشع، وردت في النسخ: جاشع بالجيم، وأصلحته من اللسان.

(3) في (ب): لحقك، وهو تحريف.

(4) به، سقط من (ب).

(1691/5)

(ولكن بنعمة الله أحدث): يشير إلى قوله تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[الضحى:11]، وفي الحديث: ((التحدث بالنعمة شكر))(1).

(أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين): يسرت لهم الشهادة في مجاهدة المشركين على إعزاز دين الله.

(ولكل منهم فضل): يستبد به ويحوزه دون غيره، وهو على حظ عند الله تعالى منه، على حد ما يعلم من الإخلاص والإبلاء.

(حتى إذا استشهد شهيدنا): من يختصنا ويتعلق بنا ومن هو منا تميز على غيره من الشهداء وعظم،

وارتفعت درجته عند الله تعالى، حتى(2):

---

(1) رواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله تعالى في أنوار التمام 403/4 بلفظ: ((التحدث بالنعم شكر)) وعزاه إلى الشفاء للأمير الحسين، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 435/4 وعزاه إلى كشف الخفاء 354/1، وله شاهد فيها بلفظ: ((التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر)) وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل375/4،278، والدر المنثور للسيوطي 362/6، وكنز العمال برقم (6418)، وإتحاف السادة المتقين156/4 إلى غيرها من المصادر انظرها هناك.

(2) تعالى، زيادة في (ب).

(1692/5)

(قيل سيد الشهداء):يريد حمزة بن عبد المطلب، فإنه أعلم نفسه بريش نعامة يوم أحد، وقتله وحشي شهيداً(1)، وسيد كل شيء أعلاه وأعظمه، وفي الحديث: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))(2)، وفي حديث آخر: ((أنا سيد العالمين، وعلي سيد العرب))(3)، وفي الحديث: ((سيد الكلام القرآن، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الطعام الثريد))(4)

---

(1) انظر تفاصيل مقتل سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب عليه السلام في شرح النهج لابن أبي الحديد 15/11-19.

(2) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 520/2 إلى المستدرك للحاكم النيسابوري604/2، والشفاء للقاضي عياض 90/1، وإتحاف السادة المتقين572/7، وكنز العمال برقم (32040) ورقم (33682) وإلى غيرها، وله شواهد كثيرة انظر مصادرها في الموسوعة.

(3) وللحديث شاهد بلفظ: ((أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب)) أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب515/2 برقم (1018) بسنده عن حميد الطويل عن أنس، وبلفظ الكوفي أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 520/2 وعزاه إلى الحاكم في المستدرك124/3، والمعجم الكبير للطبراني 90/3، والتأريخ الكبير للبخاري400/7، وكنز العمال برقم (33006) و(36448) و(36456)، ولسان الميزان لابن حجر856/4، والأسرار المرفوعة لعلي القاري220، وتأريخ أصفهان لأبي نعيم308/1.

(4) الحديث وجدته مفرقاً في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 255/5 كالآتي: قوله: ((سيد الكلام القرآن)) وعزاه إلى الجامع الكبير المخطوط الجزء الثاني، وقوله: ((سيد الأيام يوم الجمعة)) عزاه إلى مصنف ابن أبي شيبة149/2، وصحيح ابن خزيمة (1728)، ومسند الشافعي73، وتأريخ

الطبري114/1، وقوله هنا: ((سيد الطعام الثريد)) لم أجده في الموسوعة بهذا اللفظ، ووجدت فيها حديثاً قريباً منه بلفظ: ((سيد الطعام في الدنيا والآخرة اللحم)) وعزاه إلى كشف الخفاء560/1، 226/2، والثريد لا يكون إلا من لحم غالباً، وانظر النهاية لابن الأثير209/1.

(1693/5)

.

(وخصه رسول الله [صلى الله عليه وآله](1)): عند الصلاة عليه.

(بسبعين تكبيرة): لأنه يوم أحد صلى على الشهداء بأحد، ومن كملت عليه الصلاة رفعوه إلا حمزة، فإنه استوفى عليه هذه التكبيرات تشريفاً له ورفعاً لمكانه في الشهادة(2).

(عند صلاته عليه!): من بين سائر الشهداء .

(أولا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله): صبراً واحتساباً لله تعالى.

(ولكل فضل): يعلمه الله، ويوفي عليه أجره.

(حتى إذا فعل بواحدنا):أراد إما عظيم الشأن فينا، كما يقال: فلان واحد زمانه، وإما أن يريد شخصاً من آحادنا وأفرادنا.

(كما يفعل(3) بواحدهم): بالشخص الواحد منهم.

(قيل: الطيار في الجنة وذو الجناحين)(4)

---

(1) زيادة في شرح النهج.

(2) قال في الاعتصام 165/2 ما لفظه: وفيه أيضاً –أي في الشفاء–: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما صلى على حمزة وكانت توضع جنازة بعد جنازة، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي عليها وجنازته موضوعة فحصل له سبعون تكبيرة. (وانظر روايات الحديث ومصادره فيه).

(3) في شرح النهج: ما فعل، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(4) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 67/15: قال الواقدي: وقد روى نافع عن ابن عمر أنه وجد في بدن جعفر بن أبي طالب اثنان وسبعون ضربة وطعنة بالسيوف والرماح.

_ ... _قال البلاذري: قطعت يداه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة)) ولذلك سمي الطيار. انتهى. (وانظر سيرة ابن هشام378/2).

(1694/5)

: يريد جعفر بن أبي طالب فإنه قتل في مؤتة، اقتحم عن فرس له أشقر، ثم ضرب عراقيبه، ثم أخذ الراية بعد زيد بن حارثة فقاتل بها فقطعت يداه، فاحتضنها، ثم قطع(1) بنصفين بعد ذلك يرحمه الله، ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل، فاستشهد الثلاثة يوم مؤتة(2)، وأكرمهم الله بما نالوا منها(3).

(ولولا ما نهى الله عن تزكية المرء نفسه(4)): حيث قال تعالى: {فَلا(5) تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}[النجم:32].

(لذكر ذاكر فضائل جمة): يشير إلى نفسه، والجم: الكثير.

---

(1) في (ب): فقطع نصفين.

(2) عن غزوة مؤتة واستشهاد جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 15/61-73).

(3) قال ابن أبي الحديد في المصدر السابق 15/69 ما لفظه: وروى محمد بن إسحاق قال: لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيداً وجعفراً سكت عن عبد الله بن رواحة حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان من عبد الله بعض ما يكرهون، ثم قال: ((أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيداً))، ثم قال: ((لقد رفعوا لي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب، فرأيت في سرير ابن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه، فقلت: لِمَ هذا؟ فقيل: لأنهما مضيا، وتردد هذا بعض التردد ثم مضى)). وانظر عن غزوة مؤتة ومقتل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم انظر تفاصيل ذلك في سيرة ابن هشام2/373-381 تحقيق عبد الحفيظ شلبي وآخرين.

(4) في النهج: ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه

(5) وردت في (أ) وفي نسخة أخرى: ولا. ولعلها قراءة، وما أثبته من المصحف الذي بين يدي ومن (ب).

(1695/5)

(تعرفها(1) قلوب المؤمنين): يتحققها من حسن إيمانه، وصدق يقينه، ولم يكن غامصاً لفضل، ولا منكراً له.

(ولا تمجها آذان السامعين): مج الشراب من فِيْهِ إذا رمى به ودفعه، وأراد أنها مقبولة في أذن من سمعها لا(2) يدفعها.

(فدع عنك من مالت به الرَّمِيَّة): الرمية: الصيدة ترمى فتصاب، وهذا تعريض بمعاوية، وأراد فدع

عنك ذكر من أعمته الدنيا وأمالته إليها عن صراط الله، وطلب مرضاته، وخض في حديث آخر غيره، كما قال زهير:

فدع ذا وعد القول في هرم(3)

واذكر ما خصنا به الله وكرَّمنا به.

(فإنَّا صنائع ربنا): أي إحساناته، واصطنعنا بنفسه، لا إحسان لأحد علينا سواه.

(والناس بعد): أي بعدنا وهو مقطوع عن الإضافة.

(صنائع لنا): إحساننا عليهم، وهم مصطنعون لنا، ومصداق هذه المقالة هو أنا:

(لم يمنعنا قديم عزنا): ما تقادم لنا من العز والفخر عليكم.

(وعادي طولنا(4)): وقديم كرمنا منسوب إلى عاد، يقال: مجد عادي إذا كان متقادماً.

(أن خلطناكم بأنفسنا): أن ها هنا في موضع نصب على المفعولية أي لم يمنعنا ما تقادم من العز المخالطة لكم.

---

(1) في نسخة: تعيها، (هامش في ب).

(2) في (ب): ولا يدفعها.

(3) تمامه:

خير الكهول وسيد الحضر (هامش في ب)

(4) في (ب) وشرح النهج: وعادي طولنا على قومك.

(1696/5)

(فنكحنا): يشير إلى نكاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم حبيبة(1) بنت أبي سفيان.

(وأنكحنا): يشير إلى ما كان من نكاح عثمان لرقية وأم كلثوم بنتي رسول الله(2).

(فعل الأكفاء): أراد فعلنا معكم فعل من يعتقد الكفاءة، وانتصابه على المصدرية.

(ولستم هنالك): هنا إشارة إلى الأمكنة، وأراد(3) ولستم في ذلك المقام يعني مقام الكفاءة لما يظهر من شرف بني هاشم على غيرهم من سائر بطون قريش قديماً قبل النبوة بحيث لا يمكن جحوده، ومتأخراً بعد النبوة بما شرفهم الله تعالى وجعل فيهم النبوة.

(وأنى يكون ذلك[كذلك](4)): أي ومن أي جهة تكون المماثلة والمساواة بيننا وبينكم.

(ومنا النبي): الذي رفع الله قدره على مراتب الأنبياء، وأظهر شرفه في الأولين والآخرين.

(1) واسمها رملة، كانت تحت عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي، أسد خزيمة، وكان حليفاً لبني أمية بن عبد شمس، خرج مع المسلمين مهاجراً إلى الحبشة، فلما قدم أرض الحبشة تنصَّر بها وفارق الإسلام، ومات هنالك نصرانياً، فخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان من بعده، وعقد له صلى الله عليه وآله وسلم عليها بالحبشة، وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربعين ديناراً، وذلك في سنة ست. (انظر سيرة ابن هشام 242/3، والمصابيح لأبي العباس الحسني ص209).

(2) شرح ابن أبي الحديد 195/15.

(3) في (ب): أراد بغير واو.

(4) زيادة في النهج.

(1697/5)

(ومنكم المكذب): يعني عبد الله بن أمية(1)، وهو جد عبد الملك بن مروان، أمه عائشة بنت عبد الله، فإنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والله لو صعدت السماء وأنا أنظر إليك وأتيت بصكٍ والملائكة شهود فيه على أنك نبي ما صدقتك، فقد أغرق في التكذيب كما ترى،أو يريد بذلك الوليد بن المغيرة.

(ومنا أسد الله): يريد حمزة بن عبد المطلب، فإنه كان يقال له: أسد الله وأسد رسوله(2).

(1) في الكشاف 649/2: عبد الله بن أبي أمية، وانظر الرواية فيه. وقال ابن أبي الحديد في شرح قوله: (ومنكم المكذب) ما لفظه: يعني أبا سفيان بن حرب، كان عدو رسول الله، والمكذب له، والمجلب عليه.

(2) من ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمته صفية بنت عبد المطلب وابنته فاطمة الزهراء وهما يبكيان لمقتل الحمزة رضي الله عنه، فقال لهما صلى الله عليه وآله وسلم: ((أبشرا، أتاني جبرائيل عليه السلام فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع: حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله)). (انظر شرح ابن أبي الحديد17/15).

(1698/5)

(ومنكم أسد الأحلاف): يريد عتبة أيضاً، فإنه لما قال(1) حمزة: أنا أسد الله، قال: أنا أسد الأحلاف، وغرضه أسد الحلفاء .

---

(1) وذلك يوم بدر فإنه لما خرج عتبة وشيبة والوليد من جيش المشركين، ونادوا للمبارزة، ثم خرج إليهم حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنهم، فبارز الحمزة عتبة فقتله الحمزة في قصة مشهورة وخبر معروف، ولما التقيا للقتال قال حمزة بن عبد المطلب عليه السلام لعتبة: أنا حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، فقال عتبة: كفء كريم، وأنا أسد الحلفاء، ويروى: أسد الأحلاف، من هذان معك؟ قال: علي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، فقال: كفآن كريمان. (انظر شرح ابن أبي الحديد 128/14-130).

(1699/5)

(ومنا سيدا شباب أهل الجنة): يريد الحسن والحسين(1).

---

(1) يشير بذلك إلى حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)) رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في مجموع رسائله ص53-54 في كتاب معرفة الله عزّ وجلّ وص195 في كتاب أصول الدين، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 44/1 بسنده عن ابن عمر، و235/2 بسنده عن شريح القاضي، وأخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله تعالى في المناقب223/2 برقم (687) بسنده عن أبي سعيد الخدري و ص245 برقم(712) و ص250 برقم(716) بسنده عن مالك بن الحسن بن أبي الحويرث، عن أبيه، عن جده، و ص257 برقم (723) بسنده عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تأريخ دمشق ص82-84 رقم (129) من حديث بسنده عن حذيفة، وكذلك رقم(132) وهو فيه برقم (133-134) أخرجه بسنده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبرقم (135) عن عبد الله بن عمر، وبرقم (138) عن بريدة الأسلمي، وبرقم (139) عن أبي سعيد الخدري، وبرقم(140، 141) عن أنس بن مالك، وبرقم (142) عن جهم الصحابي، وبرقم (143) عن أبي سعيد الخدري أيضاً، وللحديث مصادر وأسانيد كثيرة انظرها في ترجمة الإمام الحسن من تأريخ ابن عساكر، وانظر الروضة الندية ص176، وموسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 569/4 حيث عزا الحديث فيها إلى ثمانية وعشرين مصدراً من كتب الحديث المعتمدة عند القوم وعند غيرهم.

(1700/5)

(ومنكم صبية النار): يريد أولاد مروان بن الحكم لصلبه(1)، ثم أولاد ابنه عبد الملك بن مروان: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، فهؤلاء وغيرهم من أولاده طغوا وبغوا في الأرض، ولقيت الأمة منهم موتاً أحمر، وقد سبق ذكرهم.

(1) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 197/15 في شرح قوله: (ومنكم صبية النار)، قال ما لفظه: هي الكلمة التي قالها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعقبة بن أبي معيط حين قتله صبراً يوم بدر، وقد قال كالمستعطف له عليه السلام: من للصبية يا محمد؟ قال: ((النار))، وعقبة بن أبي معيط من بني عبد شمس. انتهى، وانظر الرواية في سيرة ابن هشام644/1.

(1701/5)

(ومنا خير نساء العالمين): يريد فاطمة بنت رسول الله، فإنها سيدة نساء عالمها(1).

(ومنكم حمالة الحطب): يريد عمة معاوية أم جميل أخت أبي سفيان، كانت تحمل حزم الشوك فتنثره في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(2)، وقيل: كانت تمشي بالنمائم بين الناس فتورث بينهم الشحناء والعداوة، أخزاها الله تعالى، وما نقص فعله عن الجميل من توسل إلى الله بسبٍّ أم جميل(3).

(1) يشير بذلك إلى حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((فاطمة سيدة نساء العالمين)) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 552/5 وعزاه إلى الدر المنثور203/2، وكنز العمال برقم (34233)، وأورده من حديث طويل الفقيه ابن المغازلي رحمه الله في المناقب ص246 برقم(452) بسنده عن عمران بن الحصين في خبر عيادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة سلام الله عليها وهي مريضة وفيه: ((يا بنية، لا تجزعي فوالذي بعثني بالنبوة حقاً إنك سيدة نساء العالمين))، وروى نحوه البدر الأمير رحمه الله في الروضة الندية ص161 من حديث عن أنس واللفظ فيه: ((يا بنية، أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين)) وعزاه إلى الترمذي، وأخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله في المناقب197/2 برقم (670) بسنده عن الحسين بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، وانظر ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق لابن عساكر 267/1-268 تحت الرقم(313) و(314) وللحديث شواهد كثيرة، وانظر لوامع الأنوار

للعلامة الحجة مجد الدين المؤيدي27/3-28.
(2) سيرة ابن هشام 355/1، وأعلام نهج البلاغة -خ-.
(3) وانظر الكشاف 821/4، وأم جميل هي امرأة أبي لهب التي ذمها الله في كتابه الكريم في سورة المسد بقوله عزّ وجلَ: {وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد}.

(1702/5)

(في كثير مما لنا): من المناقب العالية والمدائح الشريفة.
(وعليكم): من المساوئ والأذكار السيئة، وقوله: في كثير، خبر مبتدأ محذوف تقديره: ذلك الذي ذكرته في كثير.
(فإسلامنا ما قد(1) سمع): به وظهر حاله واشتهرأمره بحيث لا ينكره أحد سبقنا إليه.
(وجاهليتنا لا تدفع): أي لا ينكر حالها من اصطناع المعروف وبذله بحيث لا يعد فيها عدوان، ولا تقصير على أحد، كما كان من غيرنا.
(وكتاب الله يجمع لنا): من المحامد والفضائل.
(ما شذ عنا(2)): ما غاب عني ولم أذكره، ثم تلا قوله تعالى: {وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}[الأنفال:75]، وقوله تعالى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}[آل عمران:68]).
(فنحن مرة أولى بالقرابة): أراد أن الأولوية لنا من جهة قرب النسب بالرسول، واختصاصنا به.
(وتارة أولى بالطاعة): فإنا أعظم الناس انقياداً لأمره، ومتابعة له في كل أحواله، فالأولوية حاصلة لنا من هذين الوجهين.

---

(1) في (أ): قد سمع، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.
(2) في نسخة: عني، (هامش في ب).

(1703/5)

(ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله [صلى الله عليه وآله](1) فلجوا عليهم): يشير بما ذكره ها هنا إلى ما كان من حديث السقيفة، وهو أن المهاجرين(2) والأنصار لما بكروا للاشتوار في الأمر إلى سقيفة بني ساعدة، فقالت الأنصار: منَّا أمير، ومنكم أمير، فقال

المهاجرون: نحن أحق برسول الله، والبيضة التي تفقأت عنه، ففلجوا عليهم، أي غلبوهم بما قالوا، وسكت الأنصار عن مقالتهم هذه لما عرفوه من الحق ولم ينكروه(3).

(فإن يكن الفلج به): يريد بما ذكره المهاجرون من ذكر الاختصاص والقرابة.

(فالحق لنا دونكم): أراد فنحن أولى به وأحق منكم.

(وإن يكن بغيره): أراد وإن تكن الغلبة بغير ما ذكره المهاجرون من ذلك.

(فالأنصار على دعواهم): أراد فحجة الأنصار باقية لم تبطل على زعمك هذا.

(وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت): يشير إلى أبي بكر وعمر وعثمان؛ لأن معاوية يزعم أنه كان حاسداً لهم الخلافة، وأنه يريد تحويلها إلى نفسه.

(وعلى كلهم بغيت): أردت خلاف الحق بأخذها منهم وهم أحق بها.

(فإن يكن ذلك كذلك): فإن يكن البغي مني كما ذكرت حاصلاً.

(فليس الجناية عليك): فيما ذكرته من البغي والحسد.

---

(1) زيادة في شرح النهج.

(2) لم يكن من المهاجرين في يوم السقيفة إلا ثلاثة وهم: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح لا غير. (انظر قراءة في كتب العقائد ص44 للباحث حسن بن فرحان المالكي).

(3) عن أخبار السقيفة وحوار الأنصار مع المهاجرين انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 21/2-61، 5/6-14 تجدها فيه بالتفصيل، كما تجد بعض ما يتصل بذلك في أجزاء أخرى منه في مواضع متفرقة. (انظر الفهرس)، وانظر عن ذلك كتاب قراءة في كتب العقائد ص51.43.

(1704/5)

(فيكون العذر إليك): فأوجِّه العذر في ذلك إليك وتكون مختصاً به.

ثم تمثل ببيت أبي ذؤيب:

(وعيَّرها الواشون أني أحبها

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها):

ولنذكر(1) إعرابه وموضع الشاهد منه.

أما إعرابه فهو ظاهر، وأني أحبُّها: في مو ضع نصب على نزع الجار(2) أي بأني أحبها.

والشكاة: هي الشكاية، وظاهر عنك عارها أي زائل.

وأما موضع الشاهد منه فإنما أورده متمثلاً به بأن الجريمة التي ذكرتها هي بمعزل عنك فلا حاجة إلى توجيه العذر فيها إليك.

(وزعمت أني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش): خششت الجمل أخشه إذا جعلت في أنفه الخشاش، وهي: الخزامة، وأراد بذلك أن يجعله كناية عن بيعته وهو مُكْرَهٌ من غير اختيار من جهة نفسه.

(حتى أبايع): أعطي في الطاعة والانقياد لمن له الأمر في الخلافة.

(فلعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت): يريد أنك جعلت هذا القول منك وارد على جهة الذم لي، وهو حقيقة مدح ومنقبة، وزيادة في الفضل وعلو في المرتبة.

(وأن تفضح فافتضحت): وأن تجعله عاراً علي في المخالفة وذماً لي، فكانت الفضيحة عليك إما بنقصك من لا ينبغي نقصه، وإما بذمك لي من غير جناية ولا استحقاق، وإما لجهلك بحاله وعدم تمييزه، فكانت الفضيحة عليك حاصلة من هذه الأوجه.

ثم أخذ في بيان ما قاله من ذلك بقوله:

(وما على المسلم من غضاضة): أي مذلة ومنقصة.

(في أن يكون مظلوماً): أي عار يلحقه في كونه مظلوماً.

(ما لم يكن شاكاً في دينه): على شك وزلزال من عقيدته.

(ولا مرتاباً بيقينه!): ولا(3) ريب يلحقه فيما هو متيقن له متحقق بحاله.

---

(1) في (ب): ونذكر.

(2) في (ب): الخافض.

(3) في (ب): لاريب بغير واو.

(1705/5)

(وهذه حجتي إلى غيرك قصدها): أراد وهذه الحجج التي ذكرتها هي في الحقيقة متوجهة إلى غيرك؛ لأن الحق هو له على زعمك.

(ولكني أطلقت لك منها): أظهرت وجه الحجة منها.

(بقدر ما سنح من ذكرها): سنح الشيء إذا عرض، وأراد بمقدار ما عرض من لسانك في ذكرها.

(ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان): في خذلانه ونصرته والنصيحة له والاجتهاد في حقه، وغير ذلك مما يكون شداً لعضده وقياماً في حقه.

(فلك أن تجاب عن هذه): أي فأنت مستحق للجواب فيما قلته فيه.

(لرحمك منه): أي لقرابتك منه واختصاصك به، فإذا كنت منصفاً فانظر في حالي وحالك معه نظر منصف،

(فأينا كان(1) أعدى له): أعظم له في العداوة وأدخل فيها.

(وأهدى إلى مقاتله!): وأوضح طريقاً يهتدى بها ويسلكها من يريد مقاتله، والمقاتل: جمع مقتل، وهي أمكنة القتل.

(أمن(2) بذل له نصرته): عرضها عليه.

(فاستقعده واستكفه): طلب قعوده وكفه عن النصرة، وذلك هو الذي وقع من أمير المؤمنين، فإنه أراد الخروج في نصرته والذب عنه، فأرسل إليه بترك الخروج وكفه عنه.

(أم من استنصره فتراخى عنه): طلب النصرة من جهته، وحثه عليها فلم يفعل شيئاً من ذلك، بل تراخى، أي تقاعد عنه بإهمال النصرة وتركها.

(وبثَّ المنون إليه): المنون هو: الموت، وبثه أي نشره(3)، ووجهه إليه فخذله وأعمل رأيه في خذلانه.

(حتى أتى قدره عليه): وهو الموت بالقتل الذي قدره الله له وحتمه عليه.

(كلا والله): ردع وزجر أي ليس الأمر كما قال معاوية وزعم من أنه ناصر وأني(4) خاذل بل الأمر في ذلك كما حققته وأشرت إليه.

---

(1) كان، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) في (ب) وشرح النهج: أمن، كما أثبته، وفي (أ): من.

(3) في (ب): نشره إليه.

(4) في (ب): وأنا.

(1706/5)

(لقد علم الله(1) {الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ}[الأحزاب:18]: أورد هذه الآية إلى آخرها مثالاً بحاله(2) وحال معاوية فيما نقم من أمر عثمان، وأراد لقد علم الله المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون، ({وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ}[الأحزاب:18]): من أهل الكفر والنفاق ({هَلُمَّ إِلَيْنَا}[الأحزاب:18]): اقربوا إلينا، واقعدوا معنا عن الرسول ({وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ}[الأحزاب:18]): أي الحرب ({إِلاَّ}): إتياناً ({قَلِيلاً}): لقعودهم عن ذلك وتثبيطهم(3) عنه، وما أحسن موقعها في حال أمير المؤمنين وحال معاوية ومطابقتها لما هما عليه.

(وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً): منها توليته لأمور المسلمين من لا يصلح أن

يكون متولياً لها نحو استعماله للوليد بن عقبة وقد ظهر منه شرب الخمر، واستعماله سعيد بن العاص وعبد الله بن أبي سرح مع ما يظهر من هؤلاء من قلة الدين وأنواع الفسق.
ومنها إعطاؤه لمروان ألف ألف دينار على فتح أفريقيه، وهذا تبذير في مال الله وإعطائه من لا يستحقه.

---

(1) بداية الآية هكذا: {قد يعلم الله المعوقين...} إلى آخرها.
(2) في (ب): لحاله.
(3) في (أ): وتثبطهم.

(1707/5)

ومنها إقدامه على أكابر الصحابة بالاستخفاف نحو ما كان منه إلى عبد الله بن مسعود، وأبي ذر، وعمار بن ياسر، وغيرهم من فضلاء الصحابة، وغير ذلك من المطاعن(1)، فهذه أحداث قد نقمها أمير المؤمنين عليه.
(فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له): إلى الحق ونصيحتي له في الله.
(فرب ملوم لا ذنب له): فهذا مثل(2) يضرب فيمن توجِّه إليه اللوم وهو عنه بريء.
ثم تمثل بالبيت:
(وكم سقت في آثاركم من نصيحة

وقد(3) يستفيد الظنة المتنصحُ):

ولنذكر إعرابه وموضع الشاهد منه:
أما إعرابه فهو ظاهر، كم(4) هذه هي الخبرية، وأراد كم يوم وكم سوق، ونصيحة تمييز، وقد هذه مفيدة للتقليل عند دخولها على الفعل المضارع، كقولهم: إن الكذوب قد يصدق، والظنة: التهمة، والمتنصح هو: الآتي بالنصيحة لغيره.
وأما موضع الشاهد فإنما أورده شاهداً على أني قد بذلت غاية النصح ولكني في ذلك متهم، فأشبه حالي فيما بذلته من النصح وجري التهمة حال هذا القائل من غير مخالفة، ثم تلا هذه الآية: (وما أردت(5) {إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ}): مبلغ جهدي وطاقتي.

---

(1) عمَّا ذكره المؤلف من المطاعن التي طُعِنَ بها على الخليفة عثمان بن عفان انظرها بالتفصيل

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2/324-333، 3/3-69، وانظرها أيضاً في المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ص283-294، والمغني لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد 20/2/38-57.

(2) ذكره البحراني في شرح نهج البلاغة 4/392، ونسبه لأكتم بن صيفي.

(3) في نسخة: وكم، (هامش في ب).

(4) في (ب): وكم.

(5) لفظ أول الآية الشريفة هكذا: {إن أريد إلا الإصلاح ...إلخ}، وما هو مثبت هو كذلك في النسخ وشرح النهج.

(1708/5)

({وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ})[هود:88]: فما أعجب موقعها في كلامه! وأحسن مكانها فيه!(1).

(وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف): يريد أن العتاب والمناصحة في جقهم لا ينفعان؛ وإنما النافع في حقهم هو السيف.

(فلقد أضحكت بعد استعبار): الاستعبار هو: ظهور العبرة والبكاء، وأراد أنك أضحكت بكلامك هذا كل من سمعه من جهتك، بعد بكائه على الدين لتصرفك فيه، وكونك أميراً عليه.

(متى أُلْفِيت(2) بنو عبد المطلب عن الأعداء ناكلين): نكل عن عدوه إذا جبن عن لقائه، وأراد متى لقوا يوماً متأخرين عن لقاء الأعداء ومكافحتهم.

(وبالسيوف مخوفِّين): ومتى ألفوا مخوفين عن لقاء السيوف ومزاحمتها.

ثم تمثل عليه السلام بقوله:

(لبِّث قليلاً يلحق الهيجا حمل

لا يأسَّ بالموت إذا حان الأجل)(3)

ولنذكر إعراب هذا الرجز، وموضع الشاهد منه:

أما إعرابه فهو ظاهر، الهيجا: هي الحرب تمد وتقصر، ويوم الهياج(4): يوم القتال، وحمل فيه روايتان:

أحدهما بالحاء المهملة، وذلك أن مالك بن زهير توعد حمل بن بدر، فقال حمل هذا البيت(5).

---

(1) في (ب): منه.
(2) في شرح النهج: متى ألفيت بني عبد المطلب.
(3) البيت لحمل بن بدر (ذكره البحراني في شرح نهج البلاغة 393/4)، ورواية الشطر الثاني فيه: ما أحسن الموت إذا الموت نزل_ ... _وذكر البيت بلفظ المؤلف هنا الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ-، وابن هشام في السيرة النبوية 139/3 تحقيق عمر محمد عبد الخالق، وقوله هنا: لا يأس، في السيرة: لا بأس.
(4) في (ب): ويوم الهيجا.
(5) شرح نهج البلاغة للبحراني 393/4.

(1709/5)

وثانيهما: بالجيم وذلك أن جمل بن سعد أغير على إبله في الجاهلية، فاستنقذها ممن أخذها، وهو يقول:
لبث قليلاً...
البيت(1)

وأما موضع الشاهد منه فإنما(2) أورده متمثلاً به كما كان حال من أنشأ البيت، وأراد أمير المؤمنين أرود بنفسك فكأنك ببني عبد المطلب، وقد وافوك عن قريب.
(فسيطلبك من تطلب): أراد أنك إذا اجتهدت في طلبهم ولقائهم فسيطلبونك أيضاً ويحبون لقاءك.
(ويقرب منك ما تستبعد): من وقوع الحرب، فأتى في الأول بمن لما كان مراده بني عبد المطلب، وأتى في الثاني بما لما كان مراده الحرب.
(وأنا مرقل نحوك): الإرقال: ضرب من الخبب(3) يكون في الخيل والإبل.
(في جحفل من المهاجرين والأنصار): الجحفل هو: الجيش العظيم، وقوله: من المهاجرين والأنصار يشير إلى ما هو عليه من الحق باتباع أهل البصائرله ، ويعرِّض بحال أهل الشام من أهل الجلافة والغلظة والجهل بالحال.
(والتابعين لهم بإحسان): في صحة البصائر وصدق الأسرار والضمائر عند الله تعالى.
(شديد زحامهم): أراد أن ازدحامهم(4) شديد لكثرتهم.
(ساطع قتامهم): مرتفع غبارهم.
(متسربلين سرابيل الموت): السربال هو: الملحفة الواسعة، واستعار ذلك ها هنا لما يكون في صدورهم من السعة والانشراح بالقتال.

(أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم): كنى بذلك عن شوقهم إلى الله تعالى وسماحتهم بمفارقة الدنيا.

(قد صحبتهم ذرية بدرية): أراد قد صحبهم أولاد آباؤهم من أهل بدر.

(وسيوف هاشمية):من بني هاشم أيضاً.

(قد عرفت مواقع نصالها): مواقع ضربها في هاماتهم ورءوسهم.

(في أخيك): حنظلة قتل يوم بدر.

(وخالك): الوليد بن عتبة.

---

(1) أعلام نهج البلاغة –خ–.

(2) في (أ): وإنما.

(3) أي العدو.

(4) في (ب): زحامهم.

(1710/5)

(وجدك): عتبة بن ربيعة.

(وأهلك) من بني أمية بن عبد شمس(1)، ثم تلا قوله تعالى:

({وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ})[هود:83]: يشير بذلك إلى معاوية وأحزابه من أهل الشام، ولقد صدَّق الله قوله بما كان في صفين وغيره من المشاهد.

(29) ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة

(وقد كان من انتشار حبلكم): كنى بذلك عن تفرقهم وتشتت آرائهم(2)، ومخالفتهم له.

(وشقاقكم): عنادكم وبعدكم.

(ما لم تَغْبُوا عنه): أي ليس خافياً عليكم ولا بكم عنه غباوة.

(فعفوت عن مجرمكم): بالصفح وتداركته عن العثور والزلل.

(ورفعت السيف عن مدبركم): ولم أجهز عليه، وأراد في هذا أني لم أتبعكم العساكر في آثاركم ولم أجهز الجيوش نحوكم.

(وقبلت من مقبلكم): ممن أقبل منكم بالعذر ولم أكذبه فيما قاله.

(فإن خطت بكم الأمور المردية): خطت بخاء بنقطة، وطاء منقوطة من أسفلها، أي تجاوزت بكم الأمور المهلكة.

(وسفه الآراء الجائرة): السفه: نقيض الحلم، وأراد نقصان الآراء المائلة عن الطريقة(3) المستقيمة.

(إلى منابذتي): بالحرب.

(وخلافي): إلى الباطل والغي.

(فها أناذا): على القرب منكم والملاصقة.

(قد قربت جيادي): الخيل المسومة، وسميت جياداً لما فيها من النفاسة.

(ورحلت ركابي): يريد جعلت على الإبل رحالها.

(ولئن ألجأتموني): اضطررتموني.

(إلى المسير إليكم): من أجل خلافكم وشقاقكم.

(لأوقعن بكم وقعة): اللام الأولى هي الموطئة للقسم، واللام الثانية هي الجواب للقسم.

(لا يكون يوم الجمل إليها): يريد ما كان من حرب عائشة وطلحة والزبير ، وركوب عائشة الجمل.

---

(1) انظر سيرة ابن هشام 2/355-356، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 14/208-209.

(2) في (ب): أمرهم.

(3) في (ب): الطريق.

(1711/5)

(إلا كلعقة لاعق): يشير إلى سهولة الأمر في اللعقة، فإذا كان يوم الجمل على عظمه، وتفاقم أمره هو بالإضافة إليها كلعقة لاعق، فكيف يكون حالها في ذلك.

(مع أني عارف لذي الطاعة(1) فضله): أراد وإن كنتم على خلافكم هذا فإني لا أنكر فضل أهل الطاعة منكم ولا أجحده.

(ولذي النصيحة حقه): يعني ومن كان ناصحاً لله تعالى وللمسلمين ولي، فإني أوفيه حقه من غير نقص له في ذلك، كما قال تعالى: {يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ}[هود:3] فمعرفة الفضل لأهل الفضل حث لهم على فعله، وترغيب لغيرهم في مثل حالهم.

(غير متجاوز متَّهماً إلى بريٍّ): أراد أني لا أتجاوز عمن كان مطيعاً وناصحاً ولاأعدل عن أهل الطاعة والنصح إلى من كان متبرئاً عني.

(ولا ناكثاً إلى وفيٍّ): يريد ولا أنكث بمن كان وافياً لي في عقوده ومعاملاته.

(30) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(فاتق الله فيما لدنك(2)): لدن من ظروف الأمكنة، وفيها لغات كثيرة، وقد تكون مضافة، قال الله تعالى: {مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ}[هود:1] {مِنْ لَدُنَّا}، ولا يدخل عليه من حروف الجر إلا من، وأراد

هاهنا اتق الله فيما في جهتك، ويتعلق بك من الأمور التي أنت مطالب بها ومحاسب عليها.

(وانظر في حقه عليك): من تأدية ماأوجبه عليك، والانكفاف عما نهاك عنه، فإن حق الله على العباد هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر.

---

(1) في شرح النهج: لذي الطاعة منكم.

(2) في (ب) وشرح النهج: لديك.

(1712/5)

(وارجع إلى معرفة ما لا تعذر في جهالته(1)): يريد وارجع عن جهلك الذي استبدلته عما هو واجب عليك علمه والإحاطة بمعرفته، وغرضه من هذا الرجوع إلى طاعته والكف عن البغي والتعرض لسخط الله بإقامته، والدعاء إليه، والإصرار على الجهل فيه.

(فإن للطاعة أعلاماً واضحة): لا تلتبس على من أراد سلوكها.

(وسبلاً نيرة): منيرة لمن سار فيها.

(ومحجة نهجة): جادة ينهجها من أرادها.

(وغاية): الغاية: منتهى الأشياء.

(مطَّلبة): أي ذات طلب يطلبها من كان قاصداً لها، ومعنياً بتحصيلها وفعلها.

(يردها الأكياس): جعلها ها هنا كالمورد من الماء، ولهذا قال: يردها أي يقصدها، الأكياس: أهل الكياسة والعقل، وفلان كيس أي عاقل، والكيس: الظرف أيضاً، وفي الحديث: ((إن أكيس الكيس من نظر لنفسه، وعمل لما بعد الموت))(2).

(ويخالفها الأنكاس): أي ينكب عن طريقها الأراذل من الخلق، والنكس هو: الرجل الضعيف.

(من نكب عنها):عدل وجانبها.

(جار عن الحق): انصرف عنه ومال.

(وخبط في التيه): تاه إذا تحير وذهب في كل جهة.

(وغيَّر الله نعمته): من أجل صدوده عن الحق، وإعراضه عنه، {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ}[الأنفال:53] من القيام بحدود الله وواجباته.

(وأحل به نقمته): أصابه بها وأوقعها به.

---

(1) في شرح النهج: بجهالته.

(2) أخرج نحوه الإمام أبو طالب في أماليه ص437 تحت الرقم (561) من حديث بسنده يبلغ به

إلى شداد بن أوس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله عزّ وجلّ)).

(1713/5)

(فنفسك نفسك): إما تحذير أي أحذر نفسك أن تولجك في المكاره، واحذر اتباع هواها فإنه مهلكة لك، وإما إغراء، وأراد الزم نفسك عن التهور في العظائم والموبقات.

(فقد بيَّن الله لك سبيلك): أوضحه لك غاية الإيضاح.

(وحيث تناهت بك أمورك): في تعلق حيث وجهان:

أحدهما: أن يريد وقف حيث تناهت بك أمورك، ولا تتعدى ذلك وقف عنده.

وثانيهما: أن يكون مراده فقد بين الله لك سنتك(1)، وبين لك حيث تناهت بك الأمور أيضاً، وكشفه لك.

(فقد أجريت إلى غاية خسر): أراد فقد أجريت نفسك، أو يريد فقد أجريت خيلك إلى غاية الخسارة، وهي خسارة النفس بالبغي وركوب غاربه.

(ومحلة كفر): بنعم الله تعالى وكتمان سائر آلائه عليك.

(فإن نفسك قد أوحلتك(2) شراً): الوحل بالتحريك والحاء المهملة هو: الطين الرقيق، وأراد أن نفسك قد أوقعتك في وحل الشر ومكروهه.

(وأقحمتك غياً(3)): قحم نفسه وأقحمها قحوماً وإقحاماً إذا رمى بها من غير روية، وأراد أنه باتباع هواها أوقعته في خلاف الرشد وفي كل عماية.

(وأوردتك المهالك): جمع مهلكة وهي: موضع الهلاك.

(وأوعرت عليك المسالك): فلا يمكنك سلوكها لوعورتها، وامتناع المضي فيها، وفي هذا غاية النصح والبيان لمعاوية لو أفلح، ورجع عن جهله وأصلح {وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً}[النساء:119].

(31) ومن وصيته للحسن بن علي عليهما السلام كتبها له بحاضر قنسرين منصرفاً من صفين

---

(1) في (ب): سبيلك.

(2) في شرح النهج: أولجتك.

(3) غيا، زيادة في النهج.

وهي من أعجب الوصايا؛ لاشتمالهاعلى غرائب الحكم، وبدائع الأدب(1)، وقد قيل: إنه لو كان كلام يكتب بالذهب لكان هذا(2):

[بسم الله الرحمن الرحيم](3)

(من الوالد الفانِ): أي الهالك، وطرح الياء من الفان من أجل المشاكلة في التسجيع(4).

(المقر للزمان):بالتغير(5) والنفاد والتحول والانقلاب.

(المدبر العمر): الذي قد تولَّى عمره، وذهب يوماً فيوماً، وساعة فساعة.

(المستسلم للدهر): المنقاد له وما يحدث فيه من التغيرات، والتقلُّبات العظيمة.

سؤال؛ هل من تفرقة بين الدهر والزمان كما أشار إليه ها هنا؟

---

(1) وانظر وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام وأسانيدها وطرقها في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين للموفق بالله ص559-573.

(2) ومثله مذكور في الاعتبار ص560 بلفظ: ولو كتبت حكمة بماء الذهب لوجب أن تكتب هذه ويستضاء بها وبدراستها

(3) زيادة في نسخة، ذكره في هامش (ب) وقال: صح.

(4) وزاد ابن أبي الحديد وجهاً آخر في شرح النهج 52/16 فقال: ولأنه وقف، وفي الوقف على المنقوص يجوز مع اللام حذف الياء وإثباتها، والإثبات هو الوجه، ومع عدم اللام يجوز الأمران وإسقاط الياء هو الوجه. انتهى.

(5) في (ب): بالتغيير.

وجوابه؛ أما من جهة اللغة والشرع فلا فرق بينهما؛ فإن ماهية أحدهما هي ماهية الآخر، وذكر بعضهم(1) تفرقة عقلية وليس ورائها كثير فائدة، وحاصل كلامه هو أن الزمان عبارة عن حركة الفلك، ويعرض لها أمران:

أحدهما: يكون باعتباره زماناً، وذلك يكون باعتبار تقدمها وتأخرها، فهي من هذا الوجه زمان لانقسامها في نفسها باعتباره إلى متقدم ومتأخر.

وثانيهما: يكون باعتباره دهراً، وذلك بالإضافة إلى مطلق استمرار الحركة، وأنها لا تنفك، فهي من

هذا الوجه دهر.

---

(1) هو الشريف علي بن ناصر الحسيني قاله في أعلام نهج البلاغة -خ- حيث قال ما لفظه: والفرق بين الزمان والدهر أن الزمان هو حركة الفلك من جهة انقسامها إلى متقدم ومتأخر، والأمور الموجودة إما أن يكون فيها تقدم أو تأخر كجميع أنواع الحركات والتغيرات، وإما أن لا يكون، بل تكون ثابتة مستمرة الوجود، فالذي فيه تقدم وتأخر يكون وجوده في زمان لا محالة، ويكون وجود المتقدم منه مطابقاً لزمان، ووجود المتأخر منه مطابقاً لزمان آخر، وأما الذي ليس فيه تقدم وتأخر بوجه من الوجوه بل له وجود ثابت مستمر لا تغيّر فيه البتة فإنه لا يكون موجوداً في الزمان بل وجوده بعينه كما هو مطابق لكل آن بعد آن على الاتصال، ويقال لمثل هذا: ليس موجوداً في الزمان، وإن كان موجوداً في الزمان، وفرق بين قولنا: موجود في الزمان، وبين قولنا: موجود مع الزمان، فإنا موجودون مع أشياء كثيرة، ولسنا موجودين فيها، فإذا كان الشيء له من جهة تقدم وتأخر مثلاً من جهة ما هو متحرك، وله من جهة أخرى لا يقبل بها التقدم والتأخر مثلاً من جهة ما هو ذات وجوهر فهو من جهة ما لا يقبل تقدماً وتأخراً ليس في زمان، وهو من الجهة الأخرى في زمان. انتهى.

(1716/5)

(الذام للدنيا): الناقص لها في كل أحوالها، والمزري عليها في جميع أمورها، وإليه الإشارة بقوله: (أناً كابٌّ الدنيا)، وقد شرحناه.

(الساكن مساكن الموتى): يعني القبور؛ لأنه عن قريب وقد صار إليها.

(الظاعن منها(1) غداً): المنتقل منها على القرب.

وقوله: من الوالد الفان، خبر مبتدأ متعلق بمحذوف(2) تقديره: كتابي هذا من الوالد.

(إلى المولود): وهذا هو الخبر، وأراد بالمولود يشير إلى أنه بعضه(3) بالولادة منه؛ لكونه مخلوقاً من مائه.

(المؤمل ما لايدرك): من أغراضه ومقاصده من الدنيا.

(السالك سبيل من قد هلك): الحاصل في طريقهم، والعابر في معابرهم(4).

(غرض الأسقام): الغرض بالغين والضاد المنقوطين هو: ما يُرْمَى، وأراد أنه كالغرض ترميه الأسقام بسهامها.

(ورهينة الأيام(5)): أراد أن كل نفس فهي(6) مرتهنة عند الأيام لا يفكها إلا الموت.

(ورمية المصائب): أي لا تزال المصائب ترميه حتى تهلكه.

سؤال؛ أراه ذكَّر الغرض وأنَّث الرهينة والرمية، وكلها راجعة إلى المولود فهل له وجه في ذلك؟

---

(1) في شرح النهج: عنها.

(2) في (ب): خبر مبتدأ محذوف...إلخ.

(3) في نسخة أخرى: يقضي.

(4) في (ب): والغابر في مغابرهم، فيجوز أن يكون تصحيفاً، ويجوز أن يكون الغابر بمعنى الماضي أو الباقي لأن غبر من الأضداد يقال: غبر الشيء بمعنى بقي، وغبر أيضاً بمعنى مضى.

(5) في (ب): الآثام.

(6) فهي، سقط من (ب).

(1717/5)

وجوابه؛ أما الغرض فإنه اسم مذكر لامحالة فلا وجه لتأنيثه، وأما الرهينة والرمية فليستا بتأنيثي رهين ومرمي، لأن(1) فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث نحو: جريح وقتيل، وإنما هما اسمان بمعنى الرهن والرمي كالشتيمة بمعنى الشتم، ويمكن أن يقال: إنه أراد بالمولود النفس وهي مؤنثة، وفعيل بمعنى مفعول إنما(2) يستوي فيه المذكر والمؤنث إذا كان معه موصوفه، كما يقال: امرأة جريح ورجل جريح، فأما إذا لم يكن معه موصوفه أُنِّث لا محالة، ولهذا تقول: مررت بقبيلتهم فتؤنثه بلا مرية، فلما أراد بالرهينة والرمية النفس،ولم يذكر موصوفه أنَّثه كما ترى.

(وعبد الدنيا): لكونه ساعياً بالجد والاجتهاد في شهواتها، كما يسعى العبد في خدمة سيده ومولاه.

(وتاجر الغرور): يريد أن تصرفه فيما هو فيه تصرف المغرور.

(وغريم المنايا): فهي لا تزال طالبة له حتى تأتي عليه.

(وأسير الموت): يأسره ويقبض عليه بالإهلاك والفناء.

(وحليف الهموم): أخوها والملازم لها، وفي الحديث: ((أنه عليه السلام حالف بين قريش والأنصار))(3) أي آخا بينهم؛ لأنه لا حلف في الإسلام.

(وقرين الأحزان): المقارن لها حتى لا تنفك منه أبداً؛ لكثرة ما يعرض من البلايا والأسقام.

---

(1) في (أ): لا فعيلاً ...إلخ.

(2) في (ب): وإنما.

(3) النهاية لابن الأثير 424/1.

(ونَصْب الآفات): النصب بتحريك العين هو: التعب والمشقة، قال الله(1) تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ}(2)[التوبة:120]، والنصْب بسكون العين: ما نصب لِيُعْبَدَ من دون الله(3)، قال تعالى: {كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}[المعارج:43]، والنُصب بضم الفاء: الشر والبلاء، قال تعالى {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ}[ص:41] ونصبت الشيء نصباً إذا أقمته، وسماعنا ها هنا بفتح الفاء وسكون العين أي أنه منصوب لعروض الآفات عليه.

(وصريع الشهوات): أراد(4) أنها تلقيه على وجهه لكثرة المواظبة عليها(5).

(وخليفة الأموات): على ما كان بعدهم من تراثهم؛ لأن أكثر ما في يده حاصل من جهة غيره خلَّفه له وصدر عنه.

(أما بعد، فإن فيما تبيَّنت من إدبار الدنيا عني): توليها وانقطاعها من يدي بالموت والإسراع إلى الفناء.

(وجموح الدهر عليَّ): جمح الفرس إذا لم يملك صاحبه رأسه، وأراد أنه متوثب عليه كثير النزو بالبلايا والفجائع والشرور.

(وإقبال الآخرة إليَّ): بأعباءها وأهوالها، والعظائم التي تكون فيها.

(ما يزعني عن ذكر من سواي): ما هذه موصولة، وهي في موضع نصب اسماً لأن قبلها، ويزعني يكفني(6) عن أن أكون ذاكراً لغيري، وأراد أن في نفسه شغلاً له عن التعلق بغيرها من أفناء الخلق.

---

(1) الله، زيادة في (ب).

(2) وردت الآية –في النسختين هكذا: (ذلك بأنه لا ينالهم نصب) وهو سهو من النساخ، والصواب كما أثبته من المصحف الكريم.

(3) في (ب): من دون الله تعالى.

(4) في (ب): يريد.

(5) عليها، سقط من (ب).

(6) في (أ): كفني عن أن تكون.

(والاهتمام بما ورائي): الاهتمام افتعال من الهمِّ، وأراد أن همَّ نفسي يكفيني عن همِّ من بعدي.
(غير أني حيث(1) تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي): غير ها هنا منصوبة على الاستثناء المنقطع، وأراد لكن حيث كنت متفرداً بذكر هموم نفسي وما يعنيني أمره من أمر نفسي وحدها.
(فصدَّقني رأيي): لما شغلت نفسي بأمرها.
(وصرفني عن هواي): ذكري لأحوالها وأمورها .
(وصرح لي محض أمري): المحض من الشيء: خالصه، وأراد أنه تمحض لي خالص أمري من ذلك، واستظهرت على حقيقة الأمر فيه.
(فأفضى بي): الفاعل في أفضى مضمر تقديره: عائد علىالرأي، أي أخرجني، من قولهم: أفضينا إلى الصحراء، وأفضيت بسري إلى فلان، وأراد أخرجني بعد ذلك:
(إلى جد): من الأمر.
(لا يكون(2) فيه لعب): يخالطه ويمازجه بل هو(3) خالص عن ذلك.
(وصدق لا يشوبه كذب): يتعلق به زُوْرٌ ولا يخالطه.
(وقد وجدتك بعضي): يشير بها إلى أن ولد الإنسان هو كبده وفؤاده(4)، وعن بعضهم: من أراد أن ينظر إلى كبد تمشي على الأرض فلينظر إلى ولده(5)، ولقد أحسن من قال:

وما ولد الإنسان إلا فؤاده

يرفرف ما بين الجوانح والصدر

إذا مات ولى القبر نصف فؤاده

وعاد بنصف القلب والنصف في القبر

(بل وجدتك كلي): نفسك نفسي، وأمرك أمري.

---

(1) في نسخة: حين، (هامش في ب).
(2) في نسخة: لايزري به، (هامش في ب).
(3) هو، سقط من (ب).
(4) وعن هذا قال بعض الشعراء:

وإنما أولادنا بيننا

أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم

لامتنعت عيني من الغمض

(5) وقد نظمه بعضهم شعراً أنشده الرياشي:
من سره الدهر أن يرى الكبدا

يمشي على الأرض فلير الولدا

(شرح ابن أبي الحديد 62/16).

(1720/5)

ثم بيَّن مصداق ذلك على جهة التعليل، بقوله(1):
(حتى كأن شيئاً لو أصابك): من خير وشر، ومحمود ومكروه.
(أصابني): وقع فيَّ وضامني.
(وكأن الموت لو أتاك): با شرك وخالطك.
(أتاني): باشرني وخالطني.
(فعناني): أي أهمَّني، من قولهم: اعتنيت(2) بحاجتك أي اهتممت بها، وفي الحديث: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) أي يهمُّه.
(من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي): أي من حالك وإصلاحه ما يهمني من إصلاح أمري وشأني.
(فكتبت إليك كتابي هذا): عهدت إليك هذا العهد، وأوصيت إليك بهذه الوصية.
(مستظهراً به): أي مستعيناً، من قولهم: استظهرت بفلان على الأمر إذا استعنت به عليه.
(إن أنا بقيت أو فنيت): فهو في كلتا الحالتين استعانة واستظهار، وقوة على أمرك في الدين والدنيا، وإصلاح في الآخرة والأولى، وإنه لكتاب بالغ في استنهاض الحكم الدينية، وغاية في الوصول إلى المنافع الأخروية، ولا يكاد يبلغ كُنْهِ حاله ويستولي على أسراره ويقع في نفسه غاية الوقوع؛ إلا من ظفر من الزهادة وخوف الله بحظ وافر، وكان له في الإعراض عن الدنيا، والإقبال إلىالآخرة نصيب كابر(3).
(فإني أوصيك أي بني): التصغير ها هنا إما للترحم كقوله عليه السلام: ((أصيحابي

أصيحابي))(4)، وإما لتقريب ما بينهما من المنزلة، كقولك(5): هذا أصيغر من ذاك.

(بتقوى الله ولزوم أمره): مراقبته في السر والعلانية، وملازمة أمره بامتثاله والمسارعة في فعله.

---

(1) بقوله، سقط من (ب).

(2) في (ب): أعنيت.

(3) أي كبير.

(4) في (أ): أصحابي أصيحابي.

(5) في (ب): كقوله.

(1721/5)

(وعمارة قلبك بذكره): يشير إلى قوله تعالى: {أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[الرعد:28] وقوله تعالى: {ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}[الزمر:23]، وفي الحديث: ((ذاكر الله في الغافلين كشجرة خضراء في وسط الهشيم))(1)، وفي حديث آخر: ((من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ أعظم منه))(2)، وفي حديث آخر: ((أفضل ما قلته وقاله الأنبياء قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له))(3).

(والاعتصام بحبله): فيه وجهان:

---

(1) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 153/1، وهو بلفظ: ((ذاكر الله في الغافلين مثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي قد تحات ورقه)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 54/5 وعزاه إلى حلية الأولياء181/6، وانظر مسند شمس الأخبار 340/1 الباب (54).

(2) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 270/8 إلى مسند أحمد بن حنبل405/2،354. قلت: وهو في مسند أحمد بن حنبل برقم (8296) وبرقم (8886) بسنده عن أبي هريرة مع اختلاف يسير في آخره، ورواه من حديث ابن أبي الحديد في شرح النهج154/10، واللفظ في أوله: ((إذا ذكرني عبدي في نفسه ...))إلخ.

(3) الحديث بلفظ: ((أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 68/2 وعزاه إلى سنن الترمذي (3585)، والسنن الكبرى للبيهقي 289/4،89، 117/5، وإتحاف السادة المتقين373/4،371، 10/5، وكشف الخفاء172/1، (وله فيها شواهد أخر انظرها هناك).

أحدهما: أن يريد تمسكوا بالدين الذي هو حبل الله وامتنعوا به عن عذابه ، ومنه عصام القربة وهما ما تشد به لِتُحمل(1)، وهو السير(2) الذي تُحْمَلُ به.

وثانيهما: أن يكون مراده تحفظ بلطف الله الذي هو حبله عمَّا يعرض لك من الأمور الهائلة، أخذاً من قولهم: عصمت المال فانعصم أي حفظته فاحتفظ، وأراد في هذا كله اللجأ إلى الله تعالى في كل أموره، والاستناد إليه، ولهذا قال بعده:

(وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله): لأن سائر الأسباب كلها منقطع إلا هو، وإنها يخشى عليها التغير(3) إلا ما كان من جهة الله تعالى.

(إن أنت أخذت به!): في أمورك كلها، واعتمدت عليه في كل أحوالك، وعوَّلت عليه.

(أحي قلبك بالموعظة): يريد أن إغفاله عن الموعظة إقبال على الدنيا وهو موت، وتذكيره أحوال الماضين والاتعاظ بهم هو إقبال على الآخرة وهو نفس الحياة.

(وأمته بالزهادة): عن ذكر الدنيا والإقبال عليها، والتعرض لها.

(وقوِّه باليقين): بالتحقق للأمر والقطع به، وأن المقصود هوالآخرة والعمل لها.

(ونوِّره بالحكمة): باكتساب الآداب والتخلق بها والمواظبة عليها.

(وذلِّله بذكر الموت): عن جموحه ونزواته، وفي الحديث: ((لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه: الفقر، والمرض، والموت))(4) وهو أعظمها وأهولها وأدخلها في الصِّغار والذلة.

(وقرره بالفناء): سكّنه عمَّا ينزع إليه.

سؤال؛ أي قرار للقلب في ذكر الفناء كما أشار إليه هاهنا؟

---

(1) في (ب): للحمل.

(2) السير: الذي يقطع من الجلد.

(3) في (ب) وفي نسخة أخرى: التغيير.

(4) ذكره الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص108 في باب إيثار البلاء على الرخاء والشدة على النعمة، ولم يشر إلى قائله، بل اكتفى بقوله: ولبعضهم، فذكره بلفظه.

وجوابه؛ هو أن الإنسان إذا تذكر حاله في الفناء فإنه يُنْزِعُ عمَّا يختلج في قلبه من الإسراع إلى الدنيا، والإقبال عليها، ويسكن ما يضطرب في جوانح صدره من ذلك، فلهذا قال: قرره بالفناء، يشير إلى ما ذكرناه.

(وبصِّره فجائع الدنيا): أعرض عليه ليرى مصائب الدنيا بأهلها وأخذها لأرواحهم وسلبها لما في أيديهم من النعم واللذات، وتغيرها عليهم في كل أحوالها.

(وحذِّره صولة الدهر): صال الجمل يصول إذاغلب وقهر، وأراد كن على حذر من قهره وغلبانه، فإن له صولات لا تُرَدُّ، ووثبات لا تُدْفَعُ.

(وفحش تقلب الليالي(1)): كل شيء جاوز الحد في المبالغة فهو فاحش، ومنه الفاحشة لأنها جاوزت الحد في القبح والشناعة، قال طرفة:

عقيلة مال الفاحش المتشدد(2)

أراد الذي جاوز الحد في البخل.

(وأعرض عليه أخبار الماضين): من الأمم الماضية والقرون الخالية ممن ترأس وساد، وجمع الجيوش والعساكر وقاد.

(وذكِّره بما أصاب من كان قبلك من الأولين): من العقوبات العظيمة، والنوازل الباهرة(3)، والحوادث المفرِّقة.

(وسر في بلادهم(4) وآثارهم): فالبلاد مُدَعْثَرَة، والآثار منطمسة.

(فانظر(5) ما فعلوا): من الأفعال، فإنها مكتوبة محفوظة عليهم، ما يغادر منها صغيرة ولا كبيرة.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: وفحش تقلب الليالي والأيام.

(2) لسان العرب 1057/2، وصدره:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي

(3) أي الغالبة من بهره إذا غلبه.

(4) في شرح النهج: ديارهم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(5) في نسخة: وانظر، (هامش في ب). وقوله هنا: (ما)، في شرح النهج: (فيما).

(1724/5)

(وعمَّا انتقلوا): من المساكن الرفيعة، والقصور المشيدة، والمراتب العالية، والأموال والكنوز والذخائر.

(وأين حلوا ونزلوا): في القبور والأجداث، ثم أوضح ذلك بقوله:

(فإنك تجدهم انتقلوا عن الأحبة): من الأولاد والبنين والزوجات والأمهات والآباء.

(وحلوا ديار الغربة): حيث لا أنيس معهم ولا مصاحب يؤنسهم، في قبور خالية وأماكن وحشة.

(وكأنك عن قليل وقد صرت كأحدهم): كالواحد منهم في الموت والفناء والتغيروالزوال.

(فأصلح مثواك): موضع إقامتك.

(ولا تبع آخرتك بدنياك): أراد ولا تجعل دنياك عوضاً عمَّا يحصل لك في الآخرة، فإن الدنيا منقطعة، والآخرة باقية دائمة.

(ودع القول فيما لا تعرف): أراد أن القول فيما لا يعرف الإنسان حاله هو الجهل بعينه.

(والخطاب فيما لا(1) تكلّف): فإن الخطاب فيما لم يرد على الإنسان فيه تكليف يكون لا محالة رمي في العماية، وخبط في الجهالة، وعبث لا فائدة تحته.

(وأمسك عن طريق): تترك السلوك لها.

(إذا خفت ضلالته): إذا كنت لا تأمن وقوعك منها في المحذور في الدين.

(فإن الوقف(2) عند حيرة الضلال): عند التحير والارتباك في المكاره العظيمة.

(خير من ركوب الأهوال): أهون من الخوض في الأهوال العظيمة وارتكابها.

(وأمر بالمعروف): حض على فعله، وحث على الإتيان به.

---

(1) في شرح النهج: لم.

(2) في شرح النهج: الكف.

(1725/5)

(تكن من أهله): من المنسوبين، والمعزوين إليه، وفي الحديث:((أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة))(1).

(وأنكر المنكر): إنْهَ عنه وأبعد غاية البعد.

(بيدك): أي وغيَّره بيدك وهو الكفُّ عنه.

(ولسانك): بالنكير عليه، والتعنيف على من فعله.

(وباين من فعله بجهدك): المباينة هي: المباعدة، وأراد البعد عنه بقدر الطاقة، والإمكان منك.

(وجاهد في الله حق جهاده): القدر الذي يتوجه من جهتك من حقه من جهاد النفس على فعل الطاعة، وجهادها على الانكفاف عن المعصية، والجهاد بالدعاء(2) إلى الله تعالى بالعلم، وجهاد(3) أعداء الله بالسيف، فهذه الأوجه كلها جهاد.

(ولا تأخذك في الله لومة لائم): أراد أنك لا تخشى فيما يكون متعلقاً بحق الله من أحد ملامة، فتترك

حق الله من أجل ما يلحقك من اللوم، ولقد مدح المؤمنين في جهادهم بقوله:
{يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ}[المائدة:54].
(وخض الغمرات إلى الحق): الغمرة: كثرة الماء، والغمرة: الزحمة من الناس، وأراد اقتحم الأمور الشديدة إلى نيل الحق وبلوغه.
(حيث كان): لايحجزك عن نيله بُعْدُ مكان، ولا حزونة طريقة(4).

---

(1) الحديث بلفظ: ((المعروف معروف كاسمه، وأهل المعروف في الدنيا كأهل المعروف في الآخرة)) أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص628 برقم (502) بسنده عن الوليد بن صالح (انظر تخريجه فيه) وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 12/4 إلى المستدرك124/1، ومجمع الزوائد262،263/7، ومصنف ابن أبي شيبة361/8، وحلية الأولياء319/9 وعزاه أيضاً إلى غيرها من المصادر.
(2) في (ب): الدعاء.
(3) في (ب): وجاهد، ولعله تحريف.
(4) في (ب): طريق.

(1726/5)

(وتفقَّه في الدين):تفهَّم ما يهمك ويعنيك من أمره، وفي الحديث: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))(1) أي يعلِّمه(2) معالمه، ويرشده إلى طرائقه(3).
(وعوِّد نفسك الصبر على المكروه): أراد تعويد النفس وتمرينها على احتمال الأذى، وتحمل المكاره فإن ذلك يقود إلى كل خير، وفيه التشبُّه بأخلاق النبوة، وفي الحديث: ((الصبر أعظم جنود المؤمن))(4) لأنه يغلب به كل من قاومه، وأراد المكر به.
(ونعم الخلق التصبُّر): التصبُّر هو: تكلُّف الصبر.

---

(1) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 47/1 بسنده يبلغ إلى عبد الله بن عباس، وص46 بسنده عن عبد الله، بزيادة في آخره: ((ويلهمه رشده))، وللحديث مصادر كثيرة جداً انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 616/8.
(2) في (أ): يعلِّم.
(3) في (ب): طريقه.
(4) أخرج قريباً منه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 68/1 من حديث للإمام علي عليه

السلام، أخرجه بسنده عن عباس بن بزيغ الأزردي قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: (العلم خليل المؤمن، والعقل دليله، والحلم وزيره، والرفق قيده، والصبر أمير جنوده...) إلى آخر الحديث، وروى مثله ابن أبي الحديد في شرح النهج 203/11 مع اختلاف يسير، ولم ينسبه لقائل معين بل قال: وفي الخبر، فذكر الخبر بلفظ المرشد بالله.

(1727/5)

وسئل عليه السلام عن الإيمان؟ فقال: ((الصبر، والسماحة))(1)، وفي الحديث: ((التصبُّر كنزٌ من كنوز البر))(2).

وعن ابن عباس رضي الله عنه: الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه:

صبر على أداء الفرائض لله وله ثلاث مائة درجة.

وصبر عن محارم الله، وله ثلاث مائة درجة.

وصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى وله تسعمائة درجة(3).

---

(1) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 194/2 بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، ورواه في شمس الأخبار 136/2 الباب (134) وعزاه إلى أمالي السمان، وهو في شرح النهج لابن أبي الحديد 203/11 وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 378/5 إلى مسند أحمد بن حنبل385/4، ومجمع الزوائد للهيثمي59/1، ومصنف ابن أبي شيبة33/11، ومسند الربيع بن حبيب6/3، وإتحاف السادة المتقين171/8، 5/9 وإلى غيرها من المصادر.

(2) الحديث بلفظ: ((الصبر كنز من كنوز الجنة)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي378/4 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين5/9، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي60/4، وكشف الخفاء 27/2 وإلى غيرها.

(3) أورد خبر ابن عباس القاضي العلامة محمد بن مطهر الغشم في رضا رب العباد ص317، وفيه اختلاف عما هنا في قوله: وصبر عن محارم الله وله ثلاثمائة درجة، فالعبارة في رضا رب العباد: وصبر على محارم الله وله ستمائة درجة، وقول ابن عباس رضي الله عنهما هو من مضمون حديث نبوي شريف ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار 133/2-134، عن علي عليه السلام.

(1728/5)

وإن نفَّس الله لي في المهلة، وزاد لي في الأجل ذكرت حقيقة الصبر وأسبابه، وكيفية اكتسابه، في شرحي لكتاب (المصباح) للصادقعليه السلام، في علم التصوف، وسلوك طريق الآخرة، فالنية صادقة في ذلك(1) بمعونة الله تعالى(2).

(ألجئ(3) نفسك في الأموركلها إلى إلهك): أراد فوّضها في التدبير إليه، ولا تكلِّف نفسك ما لا تطيقه من تدبيرها(4)، فهو كافيك في ذلك كله.

(فإنك تلجئها إلى كهف حريز): لا يمكن الوصول إليه.

(ومانع):لك عن كل محذور.

(عزيز): لا يضام ولا يهضم من كان ناصراً له.

(وأخلص في المسألة لربك): أراد أنك إذا سألت الله مسألة، فمن آداب الدعاء فيها هو الإخلاص فيها، والعلم بأنه لا قضاء لها إلا من جهته، ولا يقدر عليه أحد سواه، أو أراد إذا سألت مسألة من جهة الله فاقطع واجزم ولا تردد نفسك، وفي الحديث: ((إذا سأل الله أحدكم مسألة فليجزم فيما يسأل(5) فيه))(6).

(فإن بيده العطاء): لمن يحب.

---

(1) في ذلك، سقط من (ب).

(2) تعالى، سقط من (أ).

(3) في (ب) وشرح النهج: وألجئ نفسك في أمورك كلها ...إلخ.

(4) في (ب): من تدبيرك.

(5) في (ب): يسأله.

(6) للحديث شاهد أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 223/1 بسنده إلى أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا دعا أحدكم فليعزم بالدعاء، ولا يقول: اللهم، إن شئت فأعطني فإن الله لا مستكره له))، وبلفظ: ((إذا دعا الله أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة ويعظم الرغبة، فإن الله تعالى لا يتعاظم شيء أعطاه)) رواه في مسند شمس الأخبار 361/1 الباب (59) وعزاه إلى أمالي قاضي القضاة، وانظر تخريجه فيه.

(1729/5)

(والحرمان): لمن يريد، قال الله تعالى: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ}[فاطر:2] أبداً.

(وأكثر الاستخارة): يروى بالخاء أي اطلب الخيرة من الله تعالى في جميع أمورك(1) كلها.

وفي الحديث: ((أن الرسول عليه السلام كان يلقننا الاستخارة؛ كما يلقننا السورة من القرآن))(2).
وبالجيم أيضاً، وأراد وأكثر(3) ما تستجير بالله في جميع أحوالك من مهمات الدين والدنيا؛ فإنه لا تُسْتَدْفَعُ البلايا إلا بلطفه وحفظه.

(وتفهم وصيتي): تحققها وتعقَّل ما تضمنتها.

(ولا تذهبن عنك(4) صفحاً): ذهب عن الشيء صَفْحاً إذا أعرض عنه.

(فإن خيرالقول ما نفع): صاحبه وظهرت فيه علاماته.

---

(1) في (ب): الأمور.

(2) أخرج الإمام أبو طالب في أماليه 336-337 برقم (356) بسنده عن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن جده، عن أبيه " قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أصحابه الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن ....)الحديث، ورواه الإمام الهادي إلى الحق في الأحكام2/532 بلاغاً.

(3) في (ب): أكثر بغير واو.

(4) عنك، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(1730/5)

(واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع): صاحبه في دينه ولادنياه، ولهذا فإن الرسول [عليه السلام](1) كان يعوذ بالله من العلم الذي لا ينفع، فكان(2) يقول في دعاءه: ((أعوذ بك من علم لا يَنْفَعُ، ومن قلب لا يَخْشَعُ، ومن عين لا تَدْمَعُ، ومن دعاء لا يُسْمَعُ، أعوذ بك من شرِّ هذه الأربع))(3).

(ولا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لا يَحقُّ تَعَلُّمُهُ): أراد أن كل ما لا يجب تعلُّمه من العلوم؛ فإنه لا ينتفع به صاحبه، وعلى هذا يكون أنفع العلوم أوجبها فرضاً، وأعظمها وجوباً.

ثم حثَّه بعد ذلك على فعل خصال ينتفع بها، بقوله:

(أي بني(4)، لما رأيتني قد بلغت سناً): أفعال القلوب نحو: علمت ورأيت يجوز الجمع فيها بين ضميري الفاعل والمفعول، فتقول: رأيتني وعلمتني، وأراد أني قد كبرت، والسنُّ: أكبر العمر.

(ورأيتني أزداد وَهْناً): ضُعْفاً كلما دخلت في السنِّ ونقصت أيامي.

(بادرت): عاجلت.

(بوصيتي إياك خصالاً(5)): الخصلة هي: الخلة من خير أو شر، قال الكميت:

سبقت إلى الخيرات كل مناضل

وأحرزت بالعشر الولاء خصالها(6)

(منها أن يعجل بي أجلي): يسبق عليَّ الموت.

(دون أن أفضي إليك بما في نفسي): أظهره لك وأحثك على فعله.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) في (ب): وكان.

(3) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص332 برقم (343) بسنده يبلغ به إلى أنس: أن النبيصلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو بهذه الدعوات: ((اللهم، إني أعوذ بك من علم لاينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع، ثم يقول: اللهم، إني أعوذ بك من هؤلاء الأربع)).

(4) في شرح النهج: أي بني، إني لما رأيتني ...إلخ.

(5) في شرح النهج: بادرت بوصيتي إليك وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي.

(6) لسان العرب 842/1.

(1731/5)

(وأن(1) أنقص في رأيي): بالضعف والوهن.

(كما نقصت في جسمي): بالهزال والشيخوخة والهرم.

(أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى): بعض الأهواء الغالبة.

(وفِتَن الدنيا): ما يفتتن به الإنسان من خير يلهي أو شر أو غير ذلك من البلاوي.

(فتكون كالصعب النفور): كالبعير الذي صار فحلاً غير ذلول لا يطاق عليه.

(وإنما قلب الحدث): الصغير من الرجال.

(كالأرض الخالية): عن سائر النباتات الطيبة.

(ما ألقي فيها من شيء قَبِلَتْهُ): نبت فيها على أحسن هيئة وأجملها وأحمدها في المنظر والمرأى.

(فبادرتك بالأدب): بالتذكير والموعظة.

(قبل أن يقسو قلبك): عن قبول المواعظ(2)، فلا يقبل شيئاً منها.

(ويشتغل لبك): أي عقلك بغيرها مما لا فائدة فيه ولا منفعة وراءه.

(لتستقبل): تعليل لقوله: بادرتك من أجل أن تستقبل.

(بجد رأيك من الأمر): أعلاه وأقواه وأعظمه تبصرة في الأمور.

(ما كفاك(3) أهل التجارب بغيته(4)): ما هذه موصولة في موضع نصب على المفعولية، أي

تستقبل ما قد فرغ أهل الخبرة عن طلبه وتحصيله.

(وتجربته): الخبرة فيه والتحقق بحاله(5).

(فتكون): نصب عطفاً على قوله: لتستقبل، أو رفع على الاستئناف، أي وأنت تكون:

---

(1) في شرح النهج: أو أن.

(2) في (ب): الموعظة.

(3) في شرح النهج: ما قد كفاك.

(4) في (ب): تعبه.

(5) في (ب): لحاله.

(1732/5)

(قد كفيت مؤونة الطلب): المؤونة فعولة من الأوْن، وهو: الخُرج(1)؛ لأنها تثقل الإنسان وتتعبه، وفي الحديث: ((تكون المعونة على قدر المؤونة))(2)، تهمز ولا تهمز، وأراد أنك تكفى ثقل الطلب وكلفته.

(وعوفيت من علاج التجربة): المعافاة هي: المسالمة، وأراد أنك قد سولمت من علاج أهل التجارب.

(فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه): أراد فجاءك على سهولة من غير مشقة وعلاج، ما قد كنَّا نعالج ويشقُّ علينا مقاساته وتعبه.

(واستبان لك): أي اتضح.

(ما ربما أظلم علينا فيه(3)): ما كان مظلماً علينا عند طلبه وتحصيله.

(أي بني، وإن(4) لم أكن عمرت عمر من كان قبلي): من الأمم والقرون.

(فقد نظرت في أعمالهم): الحسنة والسيئة.

(وفكرت في أخبارهم): قصصهم وسيرهم.

---

(1) الخُرج بالضم: وعاء يوضع فيه المتاع أو غيره.

(2) الحديث بلفظ: ((إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤونة)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 252/3، وعزاه إلى مجمع الزوائد324/4، وكنز العمال برقم(15993) و(16129)، ومسند الشهاب992، والترغيب والترهيب للمنذري64/3، إلى غيرها من المصادر._

... _قلت: وهو بلفظ: ((إن المعونة تأتي العبد من الله على قدر مؤنته))، رواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار 223/2 في الباب (153) وعزاه إلى مسند

الشهاب، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه الحكيم، والبزار، والحاكم في الكنى، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة، بلفظه وزيادة في آخره وهي: ((إن الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة)) وصححه السيوطي. انتهى.

(3) في شرح النهج: منه.

(4) في (ب) وفي شرح النهج: أي بني، إني وإن لم أكن...إلخ.

(1733/5)

(وسرت في آثارهم): أماكنهم التي عمروها ومساكنهم التي زخرفوها، وطرقهم التي سلكوها.

(حتى عدت كأحدهم): كالواحد منهم في تحققها وتبينها.

(بل): إضراب(1) عما ذكره من أنه كالواحد منهم.

(كأني بما انتهى إليّ من أمورهم): قرع سمعي وتحققته من أحوالهم كلها.

(قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم): في شدة التحقق وعظم التبصر.

(فعرفت صفو ذلك من كدره): خيره من شره، فأخذت ماهو خير، وتركت ما هو شر.

(ونفعه من ضره(2)): وما يضر من ذلك وما يكون نافعاً منه.

(فاستخلصت لك من كل أمر جليله(3)): أعظمه وأسناه، وأحسنه موقعاً.

(وتوخيت لك جميله): طلبت لك من ذلك أجمله وأحمده.

(وصرفت عنك مجهوله): ما يكون مجهولاً من أموره، لا يعرف حاله.

(ورأيت حين(4) عناني من أمرك): وعرفت وقت ما أهمني من إصلاح حالك وأمرك.

(ما يعني الوالد الشفيق): ما هذه موصولة في موضع رفع فاعلة لعناني، والشفقة: المحبة، والمشفق: المحب لما يوده.

(وأجمعت عليه من أدبك): يقال: أجمعت أمري إذا عزمت عليه، ولا يقال: جمعته، قال الله تعالى: {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ}[يونس:71]، أي وادعوا شركاؤكم؛ لأنه لا يقال: أجمعت شركائي حكاه الكسائي.

(أن يكون ذلك): أي الأدب، والتثقيف مني.

(وأنت مقبل العمر): أي في أول أوانه.

(مقتبل(5) الدهر): أي ذو إقبال منه وبُلَهْنِيَة(6).

(ذو نية سليمة): عما يعرض لها ويشوش حالها وأمرها.

---

(1) في (ب): أضرب.

(2) في (ب) وفي شرح النهج: من ضرره.
(3) في نسخة: نخيله، وفي نسخة أخرى: نخيلته. (هامش في ب).
(4) في شرح النهج: حيث.
(5) في (ب): مقبل، وفي شرح النهج: ومقتبل.
(6) هو في بُلَهْنِيَةٍ من العيش بضم الباء أي سعة ورفاهية. (القاموس المحيط ص1524).

(1734/5)

(ونفس صافية): عن المكدرات والعوارض.
(وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله): أول ما أضعه في صدرك هو فهم كتاب الله تعالى، وفهم تأويله فيما كان منه مفتقراً إلى التأويل.
(وشرائع الإسلام): التي شرعها الله لخلقه، وعرَّفهم مصالحهم فيها.
(وأحكامه) ما حكم منها وفرض.
(وحلاله وحرامه): ومعرفة ما أحلَّه لعباده، وحظره عليهم.
(لا أجاوز ذلك بك إلى غيره): لا أعدل عما ذكرته من العلوم إلى غيرها لما في ذلك من المصلحة العامة.
(ثم أشفقت أن يلتبس عليك): الإشفاق ها هنا هو: الخوف، وأراد أني أتخوف عليك أن يلتبس عليك.
(ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم): يريد اختلافهم في هذه المذاهب وميلهم إلى هذه الأهواء، واستحداثهم لهذه(1) الآراء، وغرضه بذلك اختلافهم في الديانات، ومسائل الاعتقاد مما يكون الحق فيه واحداً ومما يعظم فيه الخطر، ويحصل بسببه الهلاك في هذه المسائل الإلهية، والاعتقادات الدينية.
(مثل الذي التبس عليهم): أراد أن تقع في مثل ما وقعوا فيه من اللبس واختلاف الآراء.
(فكان إحكام ذلك): الإشارة إلى ما ذكره أولاً من الأمر الملتبس.
(على ما كرهت من تنبيهك): الكره بالضم والفتح هو: المشقة، يقال: فعلت هذا على كره أي مشقة، وغرضه فكان إحكام ذلك من جهتي على ما يلحقني من المشقة بترك تنبيهك في ذلك.
(له): أي من أجله وسببه(2).
(أحب إليّ من إسلامك): أعظم إليّ محبة من تسليمك.
(إلى أمر لا آمن عليك فيه الهلكة): أن تكون هالكاً مع من هلك فيه، واتبع رأيه ولم يعول على حجة واضحة، ولا كتاب منير.
(ورجوت): إذا فعلت لك ذلك.

(أن يوفقك الله فيه): يريد الأمر الذي تخوض فيه.

(1) في نسخة أخرى: بهذه.
(2) في (ب): وبسببه.

(1735/5)

(لرشدك): لما قضاه لك من الرشد من جهته.
(وأن يهديك): يدلك.
(لقصدك): للطريق المستقيمة التي تقصدها.
(فعهدت إليك وصيتي هذه): لتكون إماماً لك في أمورك، وعوناً لك على مصالحك الدينية.
(واعلم أي(1) بني أن أحب ما أنت آخذ به من وصيتي هذه): أعظم ما أحبه وأريد لك أخذه منها.
(تقوى الله): اتقاه ومراقبته في الأمور كلها.
(والاقتصار على ما فرضه الله عليك): تأدية هذه الأمور المفترضة من جهة الله تعالى، فإن هذه الفروض مصالح عظيمة، وحالها عند الله عظيم، ولهذا وعد على فعلها الجنة، وأوعد على تركها النار.
(والأخذ بما مضى عليه الأولون(2) من آبائك): يريد بهذا من كان من ولد إسماعيل من الأنبياء وأهل الصلاح منهم، فإن الأخذ بطرائقهم فيه النجاة لا محالة.
(والصالحون من أهل بيتك): ممن كان سالكاً لطريق الصلاح من أولاد هاشم، ويحتمل أن يريد بذلك نفسه عليه السلام، فإن الاقتداء به والاهتداء بهديه هي الطريقة الحسنى، والمنقبة المثلى.
(فإنهم لم يَدَعُوا): لم يتركوا أنفسهم.
(أن نظروا(3) لأنفسهم كما أنت ناظر): في خواص دينهم وما يتعلق بتكاليفهم.
(وفكروا كما أنت مفكر): فيما يعنيهم أمره من ذلك.
(فردهم آخر(4) ذلك إلى الأخذ بما عرفوا): أراد فرجع الأمر في عاقبة أمرهم إلى الأخذ بما تحققوه وعقلوه.
(والإمساك عما لم يكلفوا): أراد وترك الخوض فيما لا حاجة لهم فيه، ولا غرض لهم فيه.

(1) في (ب) وفي شرح النهج: واعلم يابني.
(2) في نسخة: أولوك. (هامش في ب).

(3) في (ب): أن ينظروا.

(4) في (ب): أجر.

(1736/5)

(فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك): الإباء هو: الكراهة، وأراد فإن كرهت نفسك قبول ترك الخوض في مذاهب الناس، والاطلاع على ما هم عليه في هذه الاعتقادات، والدرية بأحوالهم فيها ولم تقف على غرضك.

(دون أن تعلم كما علموا): تحيط بما أحاطوا به، وتدرك غوره.

(فليكن طلبك ذلك بتفهّم): إدراكك له بعلم ودراية.

(وتعلُّم): ومعرفته(1) شيئاً فشيئاً، وافعل ما قلته لك، وأشرت إليك به.

(لا بتورط الشبهات): الورطة: الهلكة، وأراد من غير أن تكون هالكاً في اتباع الشبهات واقتفاء آثارها وسلوك مناهجها.

(وعلو(2) الخصومات): ارتفاعها وكثرتها، والمعنى في هذا هو أنك إذا أردت الخوض في مذاهب الناس فاحبس نفسك على تقوى الله والورع، ولا ترسلها في هواها فتهلك، وتقع في المتالف.

(وابدأ قبل نظرك في ذلك): الإشارة إلى خلاف الناس.

(بالاستعانة بإلهك): بطلب(3) الإعانة منه في كل أحوالك، وأمورك.

(والرغبة إليه(4) في توفيقك): وأن تكون راغباً إليه في تحصيل اللطف لك بموافقة الحق من ذلك، ومطابقته.

(وترك كل شائبة): واسأل منه أن يوفقك لترك ما يشوب دينك، أو ترك كل خصلة شائبة له أيضاً.

(أولجتك في شبهة): أدخلتك في الشبهات، وأورطتك في كل عظيمة وهلكة.

(أو أسلمتك إلى ضلالة): أو كانت مسلمة لك إلى ضلالة عن الحق ومخالفة له إلى الباطل.

(فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك): عن كدورة التعصب، ومال عن اتباع الهوى.

(فخشع): وكان خاشعاً لله متواضعاً لقبول الحق وإعطائه.

(وتمَّ رأيك): في تقوى الله.

(واجتمع): على فعلها والاحتكام لها.

---

(1) في (ب): وتذكَّر ومعرفته...إلخ.

(2) في شرح النهج: وعلق.

(3) في (أ). لطلب.

(4) إليه، زيادة في شرح النهج.

(1737/5)

(وكان همك في ذلك هماً واحداً): ليس متفرقاً إلى جهات مختلفة وشعوب متشتتة.

(فانظر فيما فسرت لك): يريد أنك تأخذ بما عرفت من الأمور كلها، وتمسك القول عما لا تعرفه، ففي هذا(1) سلامة عن كل محذور في الدين، وأمن من الوقوع في المهالك.

(وإن لم يجتمع لك ما تحب من نفسك): ولم تملكها عند الخوض، ولم تكن آمناً عليها في ذلك.

(وفراغ(2) فكرك ونظرك): فما أديا إليه فاعمل به من غير مخالفة.

(واعلم أنك إنما تخبط العشواء): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنك بمخالفتي فيما أمرتك به، ونهيتك عنه.

وثانيهما: أن يكون مراده أنك إن نظرت في مذاهب الناس وما هم عليه من الخلاف من غير تثبت وتسديد من الله، فإنما تخبط العشواء، وهو مثل فيمن لا يكون من أمره على بصيرة، وأصله من سير الناقة التي لا تبصر، وانتصابه على المصدرية.

(وتتورط الظلماء): الورطة: الهلاك، وغرضه أن تقع في الظلمات وهي الأمور الملتبسة.

(وليس طالب الدين من خبط): يريد وليس يطلب الدين من كان خابطاً في أموره على غير بصيرة فيها.

(أو خلط): فيه ما ليس فيه(3) من الضلالات والوقوع في العمايات.

(والإمساك عن ذلك أمثل): في الطريقة(4) وأقوم للدين لا محالة.

(فتفهم يا بني وصيتي): أحط بها حقيقة، وكن عارفاً بها.

(واعلم أي بني أن مالك الموت هو مالك الحياة): أنه إله واحد، كما أشار إليه تعالى بقوله: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ}[الملك:2].

(وأن الخالق هو المميت): الموجد للأجسام وجميع العالم هو القابض لأرواحها، والمتولي لذلك.

---

(1) في (ب): فهذا إسلامه.

(2) في (أ): فراغ.

(3) في نسخة: منه (هامش في ب).

(4) في (ب): الطريق.

(1738/5)

(وأن المفني): لها والمعدم لتأليفاتها(1)، والمبطل لنظامها.

(هو المعيد): لها على حقائقها وتفاصيل أحوالها.

(وأن المبتلي): بجميع أنواع البلايا من الغنى والفقر، والألم والغم وسائر الشرور والمصائب في العالم.

(هو المعافي): فيها كلها، والصارف لها أجمع.

(وأن الدنيا ما كانت(2) لتستقر): تنتظم أحوالها ويحصل المقصود منها في الحكمة.

(إلا على ما جعلها الله تعالى(3)): طَبَعَهَا:

(عليه): وجعل أحوالها منتظمة فيه.

(من النعماء والابتلاء): أراد بالنعماء على قوم والابتلاء لآخرين، وإما بالنعماء في حالة والابتلاء في حالة أخرى.

(والجزاء في المعاد): يريد والمجازاة بالخير والشر في الآخرة.

(وما شاء): من هذه الأحوال والاختلافات العظيمة.

(مما لا يُعلم): يحيط به علم عالم ولا تستولي عليه معرفة عارف، وفي كلامه هذا إشارة إلى أن أحوال العالم لا تنتظم إلا بما ذكره من إثبات الصانع، وعدله وحكمته والرغبة في الثواب، والرهبة من العقاب، وإثبات المعاد الأخروي.

(فإن أشكل عليك شيء من ذلك): مما ذكرته لك وأوضحته.

(فاحمله على جهالتك به): أراد فاتهم فيه نفسك، وأنه(4) لم تحط به علماً، ولا بلغت كنه حاله وحقيقته.

---

(1) في (ب): لتأليفها.

(2) في شرح النهج: وأن الدنيا لم تكن لتستقر، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(3) في (ب): فيها.

(4) في (ب): وأنك لم تحط.

(1739/5)

(فإنك(1) أول ما خلقت جاهلاً ثم عُلِّمت): أراد لا تأخذك أنفة في أنك تجهل أكثر الأمور، فإنك مولود على الجهالة وعدم العلم(2)، ثم علمك الله بعد ذلك كما قال تعالى(3): {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ}[النحل:78]،.

(وما أكثر ما تجهل من الأمور): إخبار عن كثرة الجهل بالأمور في معرض التعجب من ذلك والاستطراف له.

(ويتحير فيه رأيك): فلا تجد سبيلاً إلى حله وكشفه.

(ويضل فيه بصرك): تذهب عنه بصيرتك وعقلك.

(ثم تبصره بعد(4)): بإلهام الله لك ودلالتك عليه من جهته.

(فاعتصم بالذي خلقك ورزقك): إما تمسك به في جميع أمورك، وإما امتنع بألطافه عن كل ما تكره من الأمور وتحذر(5).

(وسواك): أقام صورتك وعدل قوامك وأحكم خلقك.

(وليكن له تعبدك): إما مصرف عبادتك، وإما تذللك وتصاغرك.

(وإليه رغبتك): في جميع الأمور العظيمة، وتحصيلها واكتسابها.

(ومنه شفقتك): أي لا تخف أحداً غيره، ولا تراقبنَّ أحداً سواه.

(واعلم يا بني أن أحداً لم ينبئ عن الله تعالى(6)): يخبر عنه من الأخبار الغيبية والأسرار الحكمية.

(كما أنبأ عنه الرسول(7) صلى الله عليه وآله وسلم): فإنه نصح في ذلك غاية النصح، وأبلغ نهاية البلاغ، ولم يكتم شيئاً مما ينفع الخلق، ويقربهم إلى النجاة، ويكون طريقاً لهم إلى الجنة.

---

(1) في نسخة: فإنك كنت أول ...إلخ، (ذكره في هامش ب).

(2) قوله: وعدم العلم، سقط من (ب).

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(4) في شرح النهج: بعد ذلك.

(5) قوله: وتحذر، سقط من (ب).

(6) تعالى، زيادة في (ب)، وفي شرح النهج: سبحانه.

(7) في شرح النهج: كما أنبأ عليه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

(1740/5)

(فارض به رائداً): الرائد هو: الذي يبعثه(1) القوم ليطلب لهم الكلأ.

(وإلى النجاة قائداً): أراد وهادياً إلى كل خير مما يكون فيه نجاة لك.

(فإني لم آلك نصيحة): أي لم أقصر في نصحك ولا منعتك منه شيئاً.

(وأنك لم(2) تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت): أي لا تبلغ غاية في النظر لنفسك إلا وأنت مقصر فيها فلا تبلغ.

(مبلغ نظري لك): في الأمور الدينية، والآداب الدنيوية.

(واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك): ثان مشارك له في الوحدانية.

(لأتتك رسله): أنبياؤه يدعونك إليه، ويعرفونك حاله، وما أمر به ونهى عنه، كما كان ذلك في حق الله تعالى، وهذه إشارة منه إلى برهان عقلي على أنه لا ثاني مع الله تعالى، وتقريره على مثال ما قاله هو أن الله تعالى لو كان معه إله آخر لكان داعي الإحسان متوفراً من جهته إلى الإحسان إلى الخلق، والتفضل إليهم، فكان من حقه بعثة الرسل إلى خلقه؛ ليكون متفضلاً عليهم بهذه التكاليف، وينعم بها عليهم ليحصل لهم بها الفوز في الآخرة، وإحراز النعيم المقيم بها، فإذا كان داعي الإحسان متوفراً بحيث لا مانع له عنه وجب فعله، فلما لم يفعله دل على بطلانه وزواله، وأنه لا إله إلا إله واحد.

(ولرأيت آثار ملكه وسلطانه): وهذه منه إشارة إلى برهان آخر عقلي، وهو أن الله تعالى لو كان معه إله آخر لكان داعيه متوفراً إلى الإحسان إلى الخلق بخلقهم وإكمال حياتهم، ليلتذوا بها، ويصلوا بها إلى إدراك هذه المنافع، ولن يتم ذلك إلا بإيجاد عوالم غير هذه العوالم ليكون دلالة عليه، وليكون معها منعماً متفضلاً، فلما لم يكن شيء من ذلك دل على بطلانه وزواله.

---

(1) في (ب): بعثه.

(2) في شرح النهج: لن، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(1741/5)

(ولعرفت أفعاله وصفاته): وهذه أيضاً إشارة إلى برهان عقلي، وهو أن الله تعالى لو كان معه إله آخر لوجب أن يكون عالماً قادراً، حكيماً في أفعاله، ولو كان الأمر كذلك لوجب أن يدلنا على هذه الأفعال دلالة لتكون حاصلة بالبرهان العقلي في حقه ليكون إلهاً لأجل اختصاصه بها.

(ولكنه إله واحد كما وصف نفسه): يشير إلى ما وقع في الكتاب الكريم من صفة الله تعالى، بكونه واحداً، كما أشار إليه تعالى في ثلاثين موضعاً من كتابه، كلها دالة على توحيده، وأنه إله واحد، والأدلة النقلية أصرح بالمراد، والأدلة العقلية فلا غبار عليها كما أشرنا إليه.

(لا يضاده(1) في ملكه أحد): التضاد في الملك هو أن يأمر هذا بما ينهى عنه ذاك وعكسه، أو يريد هذا ما يكرهه ذاك أو غير ذلك من الأحكام المتضادة، وأراد أنه ليس له مثل، فيكون مضاداً له،

ومخالفاً له في مراداته، وهذا لأن هذه قضية واجبة أعني الاختلاف في الدواعي بين الملوك، والتعالي لبعضهم على بعض، كما أشار إليه تعالى بقوله: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى}[الأعراف:26].

(ولا يزول أبداً): أراد أن وجوده إنما كان لذاته، وما كان هذا حاله استحال أن يكون لوجوده آخر وانقضاء، فلهذا قال: لا يزول أبداً.

(ولم يزل أولاً): أراد أن وجوده بلا أول؛ إذ لو كان لوجوده أول، لكان حاصلاً بعد أن لم يكن، فيحتاج إلى مؤثر وفاعل، وهذا محال في حقه.

(قبل الأشياء): لأن جميع الأشياء كلها سواه محدثة، ولها أول، فلهذا قال: إنه قبل الأشياء.

(بلا أولية): يريد أنه وإن كان قبل الأشياء فهذه القبلية ليس لها حد، ولا لها غاية.

(وآخر بعد الأشياء): يريد أن وجوده سرمدي، فلهذا كان متأخراً بعدها.

---

(1) في (ب): ولا يضاده.

(1742/5)

(بلا نهاية): له(1) في الآخرية كما لا بداية له في الأولية.

(عظم أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب): أراد أن من هذه حاله في عدم الأولية لوجوده، وعدم الآخرية لوجوده أيضاً(2)، وأنه مختص بالصفات الإلهية، فإنه يتعالى في ذاته عن أن تكون ربوبيته يشتمل عليها قلب في الإحاطة والاستيلاء.

(أو بصر): أو يكون إدراك يستولي على ذلك، أو عقل، إن حملنا الإدراك على العقل، فكلاهما بعيد عن الاستيلاء عليه؛ لأنه تعالى في ذاته غير متناه في جميع أحواله، وما لا نهاية له فلا يمكن الاستيلاء على حقيقته والإحاطة بها.

(فإذا عرفت ذلك): ما وصفته لك من خالقك واختصاصه بما ذكرته لك من الصفات.

(فافعل ما ينبغي لمثلك أن يفعله): من التذلل لجلاله والتصاغر لعظيم سلطانه، ولما يظهر عليك من قدرته وقهره.

(في صغر خطره): ضعف حاله.

(وقلة مقدرته): وحقارة قدرته على ما يقدر عليه.

(وكثرة عجزه): عن أكثر الأشياء وإيجادها.

(وعظيم حاجته إلى ربه): في قليل الأمور وكثيرها وجليلها ودقيقها.

(في طلب طاعته): فعلها وتحصيلها، والاجتهاد في أدائها.

(والرهبة من عقوبته): وأن تكون راهباً عن الوقوع في المعاصي الموجبة لعقوبته.

(والشفقة من سخطه): والخوف مما يوجب الوقوع في سخطه وغضبه، وهو أحق بذلك وأولى به.

(لأنه(3) لم يأمرك إلا بحسن): مصلحة في دينك، فلهذا وجب امتثال أمره.

(ولم ينهك إلا عن قبيح): ما يكون ارتكابه مفسدة، فلهذا وجب الانكفاف عما نهى.

(يا بني، إني قد أنبأتك عن الدنيا): أخبرتك عنها وأعلمتك.

(وحالها): في التغير والزوال والتقلب بأهلها، والتحول.

(وزوالها): عن أهلها.

---

(1) قوله: له، سقط من (ب).

(2) قوله: أيضاً، سقط من (ب).

(3) في شرح النهج: فإنه.

(وانتقالها): إما نفادها مطلقاً، وإما انتقالها من قوم إلى آخرين.

(وأنبأتك عن الآخرة): أعلمتك وعرفتك.

(وما أعد لأهلها فيها): من النعيم المقيم لأهل الجنة والعذاب الأليم لأهل النار.

(وضربت لك فيهما الأمثال): يريد الدنيا والآخرة.

(لتعتبر بها): تتعظ بما ذكرته.

(وتحذو عليها): تتبع آثارها وتسلك على طريقها.

(إنما مَثَلُ من خبر الدنيا): عرف حالها، وقلبَّها ظهراً لبطن.

(كمثل قوم سَفْرٍ): السفر: اسم للجمع كنفر ورهط، ويجوز أن يكون جمعاً لسافر نحو راكب وركب، وصاحب وصحب.

(نبا بهم): نبا الشيء: إذا ارتفع، وأراد أنه لم يوافقهم فارتفع عن الموافقة.

(منزل جديب): مكان لا خصب فيه ولا مرعى لأنعامهم.

(فأمَّوا منزلاً خصيباً): قصدوا مكاناً خصيباً فيه الخصب، وهو المرعى لأنعامهم.

(وجَنَاباً مريعاً): الْجَنَابُ بالفتح هو: فناء الدار، وما قَرُبَ من محلَّة القوم، والمريع: الممرع، يريد كثير الشجر.

(فاحتلموا وعثاء الطريق): الوعثاء: ما يصيب في الطريق من المطر وألم السفر(1)، وفي الحديث في دعائه عليه السلام: ((أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب))(2). وفي حديث آخر: ((السفر قطعة من العذاب))(3).

(وفراق الصديق): وما(4) يصيب من ألم بفراقه أيضاً.

(وخشونة السفر): الخشونة بالخاء بنقطة والنون هي: خلاف اللين.

(وجشوبة المطعم): بالجيم والباء بنقطة، وهو خلاف السلس، وفي الحديث: ((اجشوشبوا)) يريد كلوا الجشب من الطعام، وهو خلاف الطيب.

(ليأتوا سعة دارهم): اللام هذه متعلقة باحتملوا، وأراد ليأتوا الواسع من هذه الدار المقصودة.

(ومنزل قرارهم): والمنزل الذي يستقرونه ويجعلونه موطناً لهم.

(فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً): أي مما أصابهم واختص بهم ألماً ينفرون عنه، ويتوجعون من إصابته.

(ولا يرون نفقة فيه مغرماً): ولا يرون لما أنفقوا فيه من النفقات أنها من جملة المغارم المثقلة، والأمور المتعبة.

---

(1) في (ب): ما يصيب في الطريق من الطريق وألم السير.

(2) أخرجه بلاغاً من حديث الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في الأحكام 544/2، وهو بلفظ: ((اللهم، إني أعوذ بك من وعثاء السفر)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 219/2 وعزاه إلى مسلم979، وسنن النسائي272/8، وسنن ابن ماجة3888 إلى غيرها.

(3) رواه في لوامع الأنوار 232/3 في سلسلة الإبريز رقم (39)، وفي مسند شمس الأخبار 75/2 في الباب (119)، وعزاه إلى مسند الشهاب، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 273/5 إلى البخاري 10/3، 71/4، 100/7، ومسلم في الإمارة (179)، وسنن ابن ماجة2882، ومسند أحمد بن حنبل236/2،496،445، وموطأ مالك980 إلى غيرها.

(4) في (ب): ما يصيب، بدون واو.

(1745/5)

(ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم): هذا الذي يقصدونه؛ لما لهم إليه من الشوق.

(وأدناهم من محلتهم): التي يأتونها، ويريدون الوقوف فيها، فهذا مثل من عرف حالها وتحقق أمرها، وأمر الآخرة كما ذكرت.

(ومَثَلُ من اغتر بها): الغرر: الخديعة، وأراد من انخدع بلذاتها.

(كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب): كثير المرعى لأنعامهم وأنفسهم.
(فنبا بهم إلى منزل جديب): ارتفع إلى منزل مجدب لا مرعى فيها(1) ولا شجر.
(فليس شيء أكره ولا أفظع عندهم(2) من مفارقة): الفظاعة: هي الشدة في الأمر.
(ما كانوا فيه): من الرخاء والنعمة والراحة والدعة، وطيب المآكل والمشارب لهم ولأنعامهم.
(إلى ما يهجمون عليه، ويصيرون إليه): هجم على الشيء: إذا طلع عليه على بغتة، وأراد إلى ما تصير عاقبتهم إليه من الجوع والعطش، ومفارقة الراحة وحصول الألم، فهذا مثال من اغتر بها وخدعته.
(يا بني، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك): أراد اجعلها معياراً صادقاً فيما بينك وبين من تعامله من الخلق.
(فأحب(3) لغيرك ما تحب لنفسك): من جميع المحبوبات كلها.
(واكره له ما تكره لها): من جميع المكروهات كلها.
(ولا تظلم): أحداً من الخلق.
(كما لا تحب أن تظلم): يجري عليك ظلم من أحد من الخلق.
(وأحسن): إلى من أمكنك الإحسان إليه من الخليقة.
(كما تحب أن يحسن إليك): يحسن إليك الناس، وتريد ذلك وتهواه.
(واستقبح من نفسك): استنكره وكف عنه نفسك.
(ما تستقبح من غيرك): تكرهه وتنفر عنه من جهته.
(وارض من الناس): من المعاملة وإنصاف الحق.

______

(1) في نسخة: فيه (هامش في ب).
(2) في (ب): فليس شيء أفظع ولا أكره إليهم...إلخ.
(3) في (ب) وفي شرح النهج: فاحبب.

(1746/5)

(بما ترضاه لهم من نفسك): بما تحب أن يعاملوك به من جهة أنفسهم.
(ولا تقل ما لا تعلم): فتكون ممقوتاً عند الله، كما قال تعالى: {كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ}[الصف:3].
(وإن قَلَّ ما تعلم): فإن قليل القول مما يكون معلوماً مفهوماً واضحاً أحسن من كثير القول الذي ليس معلوماً ولا يفهم.

(ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك): أراد ولا تقل في أحد قولاً لو قيل لك من جهة غيرك لكنت كارهاً له.

(واعلم(1) أن الإعجاب ضد الصواب): يريد أن إعجاب الرجل بنفسه في مال أو جمال أو علم أو فضل، أو غير ذلك من أوصاف الفضل مضاد للصواب ومباين له، فلا يصاحب الإعجاب صواب قط في حالة من الحالات.

(وآفة الألباب): أراد وهو آفة العقول، ومفسد لها ومغير لأحكامها.

(فاسع في كدحك): أراد اجتهد في صلاح ما أنت فيه من أمر معيشتك ورمّها(2).

(ولا تكن خازناً لغيرك): بجمع المال فيأتي من يأخذه بعدك فتكون قد جمعته وأخذه غيرك، فتكون خزاناً على الحقيقة؛ لأن علامة الخزان أن يكون حافظاً لمال غيره حتى يأتي له ويأخذه.

(وإذا أنت هديت لقصدك): للطريق الموافقة لرضاء الله تعالى فاشكر ذلك.

(فكن أخشع ما تكون لربك): أخوف ما تكون وأخضع وأذل له.

وأقول: إن هذه الكلمات مع قلتها، وتقارب أطرافها، قد بلغت في الحكمة أقصاها، وصارت مستولية على حدها وقصاراها.

ثم أخذ في نوع آخر من الموعظة بقوله:

---

(1) في نسخة: واعلم أي بني (هامش في ب).

(2) أي إصلاحها، من رمَّ الشيء يرُمُّه بضم الراء وكسرها رمًّا ومرمَّة أصلحه. (مختار الصحاح5/257).

(1747/5)

(واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة): يريد الطريق إلى العرصة والقيامة، ويحكى أن بعد النفخة الثانية يساقون إلى أرض المحشر وهم حفاة عراة قد غرقوا في العرق، كل واحد منهم على قدر ذنبه، فيقفون في طول يوم القيامة شاخصة أبصارهم.

(ومشقة شديدة): لما يلقون من الأهوال، ولما هنالك من الشدائد.

اللَّهُمَّ، أجرنا من هولها برحمتك الواسعة.

(وأنه لا غنى لك(1) فيه): يريد الطريق.

(عن حسن الارتياد): الطلب لما يصلحك، ويكون عدة لك من هوله.

(وقدر بلاغك من الزاد): ومقدار ما يبلغك إليه ويوصلك من الزاد.

(مع خفة الظهر): عن ثقل الأوزار وتحمل المآثم.

(فلا تحملن على ظهرك): من الخطايا والمعاصي.

(فوق طاقتك): أزيد مما تحتمله قوتك ومنّتُك(2)، فإن فعلت ذلك واخترته صعب الأمر عليك.

(فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك): الوبال: الهلاك، وأراد أنه يكون مهلكاً لك في الآخرة بتحمله لا محالة.

(وإذا وجدت من أهل الفاقة(3)): وهم(4) أهل الفقر والمسكنة.

(من يحمل عنك(5) زادك إلى يوم القيامة): يتحمل ثقله ويكون عليه إيصاله.

(فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه): الموافاة: هي الملاقاة، وأراد يلاقيك به وأنت في غاية الافتقار إليه.

(فاغتنمه): اجعله كالغنيمة وأعطه إياه.

(وحمله إياه): اجعله حاملاً له دونك.

(وأكثرمن تزويده): من إعطائه ما يكون لك زاداً.

(وأنت قادر عليه): الآن ومتمكن منه.

(فلعلك تطلبه): بعد هذا.

(فلا تجده): لأنه ربما عرض فقر بعد غنى.

---

(1) في شرح النهج: بك، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(2) المنة بالضم: القوة، يقال: هو ضعيف المُنة. (مختار الصحاح ص636).

(3) في (ب): الحاجة.

(4) وهم، زيادة في (ب).

(5) في شرح النهج: لك.

(1748/5)

(واغتنم من استقرضك): أراد من طلب منك قرضاً بإعطائه على جهة الصدقة، فإنها في الحقيقة قرضاً لله تعالى ليجازي عليها(1) أضعافها، كما(2) قال تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}[الشعراء:214]، وقال تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}[الشعراء:214]، والأظهر أنه يريد الصدقات كلها، وأراد بكونه حسنة إخراج أنفس المال(3)، ومراعاة وجه الله تعالى، وجودة النفس بها.

(في حال غناك): ما دمت متمكناً من المال ومن إخراجه.

(لتجعل(4) قضاءه لك في(5) يوم عسرتك): لتجعل أنت بإعطائك له، أو ليجعل الله قضاءه في موضع الحاجة العسيرة.

(واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً): شاقة صعبة.

(المخف فيها أحسن حالاً من المثقل): لما يكون في الخفة من السلامة، ولما يخشى في الثقل من العطب والهلاك.

(والمبطئ عليها(6) أقبح حالاً من المسرع): لأن مع التأخر والبطء لا يأمن الهلكة.

(وإن مِهْبَطَهَا(7)): الْمِهْبطُ بالكسر هو: موضع الهبوط، كالمِضْرَب لموضع(8) الضرب.

(لا محالة): بلا شك ولا مرية، والمحالة: مفعلة من الحيلة، يقال: الموت آتٍ لا محالة، أي لا بد من وقوعه.

(على(9) جنة أو على نار): أراد أنه لا بد من أحد المنزلين، فإن الإجماع منعقد على أن كل من كان من المكلفين، فلا بد من كونه في الآخرة في جنة أونار(10).

(فارتد لنفسك): اطلب لها ما يصلحها من الأعمال الصالحة، وتزود التقوى.

---

(1) عليها، سقط من (ب).

(2) كما، سقط من (ب).

(3) في (ب): الأموال.

(4) في شرح النهج: ليجعل.

(5) في، سقط من (ب).

(6) في (ب): عنها.

(7) في شرح النهج: وأن مهبطها بك لا محالة.

(8) في (ب): كالمضرب موضع.

(9) في شرح النهج: إما على جنة ...إلخ.

(10) في (ب): أو في نار.

(1749/5)

(قبل نزولك): في حفرتك التي هي منزلك ومستقر وطنك.

(ووطئ المنزل قبل حلولك): أراد مهده، وقرر قواعده قبل استقرارك فيه.

(فليس بعد الموت مستعتب): استعتبته إذا طلبت(1) رضاه، والمستعتب هاهنا هو: الاستعتاب، وهو طلب الرضا، وأراد أنه لا يطلب رضا أحد بعد الموت بل هو الغاية.

(ولا إلى الدنيا منصرف): مرجع ولا رد بعد الموت، وإنما المرجع إلى الدار الآخرة.

(واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض): ملكهما وما فيهما من الخزائن والممالك.

(قد أذن لك في الدعاء): أمرك بالسؤال له، وحثك على الدعاء.

(وتكفل لك بالإجابة(2)): ضمن لك بذلك، والكفيل: الضامن.

(وأمرك أن تسأله): حيث قال: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[غافر:60].

(ليعطيك) من خزائنه ما سألته إياه.

(وتسترحمه): تطلب منه الرحمة.

(ليرحمك(3)): يلطف بك.

(ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه): من هذه الوسائط، وإنما سؤالك هو الشفيع، وطلبك هو الذريعة.

(ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه): يضطرك إلى واسطة شفيع إليه.

(ولم يمنعك إن أسأت من التوبة): يسدها عليك عن فعل المعصية، وتدارك ما سلف من جهتك.

(ولم يعاجلك بالنقمة) أراد ولم يعاجلك بالعذاب عند إقدامك على فعل المعصية.

(ولم يفضحك حيث الفضيحة(4)) فضحه: إذا كشف مساوئه وأظهرها للخلق، وغرضه أنه لم يكشف مساوئك عند انكشافها من جهتك بهتك سترك بفعلك للقبيح.

(ولم يشدد عليك في قبول الإنابة): أراد أنه جعل الإنابة والتوبة أسهل ما يكون من الأمر وأيسر، من غير مشقة من جهة الله تعالى، ولا تعسير في حالها.

---

(1) في (ب): استعتبه إذا طلب رضاه.

(2) في (ب): وتكفل لك الإجابة.

(3) في (ب): فيرحمك.

(4) في شرح النهج: ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة.

(1750/5)

(ولم يناقشك بالجريمة): المناقشة هي: الاستقصاء في الحساب، وفي الحديث: ((من نوقش الحساب عذب))، وغرضه هاهنا هو أن الله تعالى من جهة عظيم(1) لطفه وسعة رحمته لم يستقص عند فعله(2) المعصية من جهته على المناقشة، بل عفا وسمح حقه في ذلك.

(ولم يؤيسك من الرحمة): اليأس هو: القنوط، وهو غلبة الظن على عدم حصول الشيء، وغرضه أنه لم يقنطك عن رحمته مع التهالك في المخالفة.

(بل): إضراب عما ذكره أولاً من هذه التفضلات الكاملة.

(جعل نزوعك عن الذنب): إقلاعك عنه، وفلان قد نزع عن الإساءة إذا أقلع عنها وانصرف.

(حسنة): من جملة الحسنات التي يضاعف عليها الأجر، ويوفر عليها الثواب.

(وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشراً): حيث قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا}[الأنعام:160].

---

(1) في (ب): عظم

(2) في (ب): فعل، وفي نسخة أخرى: عند فعل المعصية من جهتك.

(1751/5)

(وفتح لك باب المتاب(1)): يريد التوبة، كما قال تعالى: {وَإِلَيْهِ مَتَابِ(2)}[الرعد:30]، أي توبتي، وأراد أنها غير مغلقة عن العبد في حالة من الحالات، وفي الحديث: ((باب التوبة مفتوح لا يغلق؛ حتى تطلع الشمس من مغربها))(3).

(فإذا ناديته سمع نداك): بجميع حوائجك، وكشف كربك وقضاء حوائجك من جهته كلها.

(وإذا ناجيته علم نجواك): النجوى هو: التناجي، وأراد أنه محيط بما تناجيه من مهماتك، وعالم بها، كما قال تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا}[المجادلة:7].

(ومتى شئت دعوته فلباك): وأي وقت دعوته أجابك بالتلبية التي هي نهاية الإنصاف في الإجابة.

(فأفضيت إليه بحاجتك): أظهرتها عنده وكشفتها لديه.

(وأبثثته ذات نفسك): بث إليه السر إذا كشفه(4) له، وأظهرت له حقيقة حالك.

---

(1) بعده في شرح النهج: وباب الاستعتاب.

(2) في النسخ: متابي، بإثبات الياء في آخره، فلعله قراءة، وما أثبته من المصحف الذي بين يدي على قراءة حفص.

(3) للحديث شاهد بلفظ: ((التوبة مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها)) أخرجه مرسلاً الإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار ص433-434 برقم (322). (انظر تخريجه فيه)، ورواه في مسند شمس الأخبار 324/2 الباب (177)، وله شاهد آخر من حديث عن صفوان بن عسال أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 200/1 بلفظ: ((إن الله تعالى يفتح باباً من المغرب مسافته سبعون خريفاً للتوبة، لن يغلقه الله تعالى حتى تطلع الشمس من مغربها)).

(4) في (ب): كشفته.

(1752/5)

(وشكوت إليه همومك): أعلمته بحالك فيما يهمك من الأمور ويعييك.

(واستكشفته كروبك): طلبت منه كشفها وإزالتها عنك.

(واستعنته على أمورك): طلبت منه الإعانة على كل ما يعرض لك، ويخصك(1) من أحوالك.

(وسألته من خزائن رحمته): ألطافه الخفية، وعطاياه الجزيلة.

(ما لا يقدر على إعطائه غيره): لأن الأمر إذا كان على هذه الصفة كان سؤاله أحق والتواضع له أجدر؛ لأن من هذه حاله فهو حقيق بذلك وأهل له.

(من زيادة الأعمار): تطويلها والتنفيس فيها.

(وصحة الأبدان): عافيتها واستقامتها.

(وسعة الأرزاق): كثرتها والبركة فيها.

سؤال؛ أليس هذه الأمور كلها -أعني الأعمار، والأبدان والأرزاق- أمور(2) مقدرة مفروضة، وأحوال معلومة لا يزاد عليها ولا ينقص، وتجري على مقادير معلومة، فما فائدة الدعاء والحال ما قلناه؟

وجوابه من وجهين؛

أما أولاً: فلأنه وإن كان الأمر كما ذكرت؛ لكنه قد ورد الشرع بذلك لمصلحة لا يُعْلَم حالها، فلهذا جاز وإن كان الحال كما قلت(3).

---

(1) في (ب): ويحصل.

(2) هكذا في جميع النسخ: أمور بالرفع، وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي أمور، والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر ليس الواردة في أول السؤال. والله أعلم.

(3) في (ب): كما قلناه.

(1753/5)

وأما ثانياً: فلأنه لا يمتنع أن يعلم الله تعالى من حاله أنه إذا دعا مد الله عمره إلى مدة مقدرة، لو(1)لم يدع لم يستحق ذلك، وهكذا القول في الرزق والصحة، وإذا كان العلم عندنا يجوز دخول الشرط فيه جاز ماذكرناه، كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ}[الأعراف:96]، ولأن العلم يتعلق بالشيء على جميع وجوهه ومن جملتها الشرط، وإذا جاز ذلك جاز ما ذكرناه.

(ثم يجعل في يديك(2) مفاتيح خزائنه): يمكّنك منها ويجعلها كأنها حاصلة في يديك(3)، أي وقت

أردت فتحها أطاعتك.

(بما أذن لك من مسألته): حيث أمرك بسؤاله وندبك إلى ذلك، وحثك عليه.

(فمتى شئت): أردت وطلبت.

(استفتحت بالدعاء): لا يعتاص عليك، ولا يؤخر عنك:

(أبواب نعمته): أنواعها.

(واستمطرت شآبيب رحمته): الشؤبوب: واحد الشآبيب، وهو الدفعة الواحدة من المطر، قال كعب بن زهير يصف حماراً يتبع الأتن(4):

إذا ما انتحاهنّ شؤبوبه

رأيت لجاعرتيه غضونا(5)

أراد أنه إذا عدا رأيت لجاعرتيه تكسراً وتعطفاً عند عدوه.

(فلا يقنطك(6)): يؤيسك.

(إبطاء إجابته): تأخرها عنك.

(فإن الإجابة(7) على قدر النية): على حد ما يعلم الله من ذلك، ويعلم المصلحة(8) فيه.

---

(1) في (ب)، وفي نسخة أخرى: ولو.

(2) في (ب): يدك، والعبارة في شرح النهج: ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه.

(3) في نسخة: يدك، (هامش في ب).

(4) الأتن: أنثى الحمار.

(5) لسان العرب 466/1.

(6) في شرح النهج: فلا يقنطنَّك.

(7) في شرح النهج: فإن العطية...إلخ.

(8) في (ب): ويعلم من المصلحة.

(1754/5)

(وربما أخِّرت الإجابة(1)): عن التعجيل على إثر الدعاء.

(ليكون ذلك أعظم لأجر السائل): أكثر لثوابه لما يحصل من الإلحاح بالدعاء وتكريره.

(وأجزل لعطاء المسئول(2)): أعظم في عطيته وأوسع.

(وربما سألت الشيء فلا تؤتاه(3)): يعني أنك ربما سألت، وفي تأخيره مصلحة لك فلا تسعد بالإجابة إليه.

(وأوتيت خيراً منه): أفضل وأعظم حالاً.

(عاجلاً): على الفور.

(أوآجلاً): إما متأخراً بعد ذلك بأزمنة، وإما مؤخراً إلى الآخرة.

(أو صرف عنك لما هو خير لك): إما لأن الله تعالى يريد أن يدخره لك إلى الآخرة، وإما لأن الله تعالى يعلم أن في تعجيله مفسدة لك فلهذا لم يعجله لك.

(فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته): لما يعلم الله فيه من المفسدة بالإعطاء والتمكين.

(فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله): خيره ومصلحته.

(ويُنْفَى عنك وباله): ويزول عنك ما يهلكك منه، يريد مما يعلم الله أن لك فيه صلاحاً في الدين والدنيا.

(والمال لا يبقى لك): لأنه فانٍ متفرق.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: وربما أخرت عنك الإجابة.

(2) في شرح النهج: الآمل.

(3) في شرح النهج: فلا تعطاه.

(1755/5)

(ولا تبقى له): لأنك منطقع عنه بالموت، وفي الحديث:((إنَّ المؤمن إذا دعا إلى(1) الله تعالى في حاجة له(2)، فإنَّ الله تعالى يقول لملك الإجابة: أخِّر دعوته، فإنّي أحبُّ أن أسمع صوته، وإذا دعا الفاجر في حاجة له، يقول الله لملك الإجابة: عجِّل له دعوته، فإنِّي أكره أن أسمع صوته))، فالدعاء لا محالة قدورد به الشرع، وكثرة الإلحاح على الله تعالى، والإجابة وعدمها إنما يكون على حد ما يراه من المصلحة ويعلمه منها، والدعاء بجميع المنافع كلها، ودفع المضار كله مشروط بالمصلحة، وهي مضمرة في الدعاء بلا إشكال.

ثم أخذ في نوع آخر من الآداب والحكم، بقوله:

(واعلم(3) أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنك إنما خلقت لغرض الآخرة وهو العبادة لله تعالى المستحق بها منافع الآخرة، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[الذاريات:56]، لا من أجل منافع الدنيا ولذاتها وطيباتها.

وثانيهما: أن يريد أنك إنما خلقت للأمر الدائم، وهو ما كان في الآخرة، لا لما يكون منقطعاً بالزوال والفناء، وهوالدنيا.

(وللفناء): أي ولأن(4) يكون منتهاك الفناء.

(لا للبقاء): أي وليس الغرض بقاءك في الدنيا.

(وللموت): أي ولأن تموت.

(لا للحياة): أي لأن تحيا في الدنيا، والمقصود من هذا كله هو العلم بأن المطلوب هو الآخرة لا الدنيا.

---

(1) إلى، سقط من (ب).

(2) له، زيادة في (ب).

(3) في شرح النهج: واعلم يا بني أنك ...إلخ.

(4) في (أ): أي ولا يكون، وما أثبته من (ب).

(1756/5)

(وأنك(1) في منزل قُلْعَة): يقال: هذا منزل قلعة إذا كان ليس مستوطناً، ومجلس قلعة إذا كان صاحبه يحتاج فيه إلى أن يقوم مرة بعد مرة، ويقال: هم على قلعة، أي على رحلة.

(ودار بُلْغَة): إلى الآخرة، وإلى الدرجات العالية من الجنة بالأعمال الصالحة.

(وطريق إلى الآخرة): توصل بها(2) إليها.

(وأنك طريد الموت): الطريد: ما يتبع من الصيد وغيره، وأراد أن الموت تابع لك وهو في أثرك.

(الذي لا ينجو منه(3) هاربه(4)): من يهرب منه.

(ولا بد أنه مدركه): لابد من كذا أي لا فراق عنه، وغرضه أن الموت لا يفارقه، فإذا كان ملازماً لك لا محيص لك عنه.

(فكن منه على حذر أن يدركك): مخافة أن يدركك.

(وأنت على حالة(5) سيئة): قبيحة عند الله غير مرضية.

(قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة): تأمل الإقلاع عنها، والخروج عن عهدتها بالإنابة إلى الله تعالى.

(فيحول بينك وبين ذاك(6)): يريد فاحذر أن يكون الموت حائلاً بينك وبين الإنابة، والإقبال إليه.

(فإذا أنت(7) قد أهلكت نفسك): بالتساهل حتى أخذ الموت بعنقك.

(أي بني(8)، أكثر من ذكر الموت): أخطره على بالك وكرر حاله على ذهنك، واذكره بلسانك، ولا

تغفله عن قلبك ولسانك.

(وذكر(9) ما تهجم عليه، وتفضي بعد الموت إليه): هجم علينا إذا طلع بغتة، وأراد أحوال الآخرة كلها وما تؤول إليه عاقبة أمره بعد الموت.

(فاجعله أمامك): مقابلاً لك.

(كأنك تراه): بعينك لا يستره عنك شيء.

---

(1) في (ب): فإنك.

(2) في (ب): به.

(3) منه، سقط من شرح النهج.

(4) بعده في شرح النهج: ولا يفوته طالبه.

(5) في شرح النهج: حال.

(6) في (ب) وفي شرح النهج: ذلك.

(7) في (ب): وأنت قد أهلكت ...إلخ.

(8) في شرح النهج: يا بني.

(9) في (ب): واذكر.

(حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك): أي تحرزت منه بمبلغ جهدك وطاقتك.

(وشددت له أزرك): الأزر: القوة، قال الله تعالى:{اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي}[طه:31]،.

(ولا يأتيك بغتة): من غير تيقظ له ولا تحفظ عنه.

(فيبهرك(1)): أراد يغلبك.

(وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها): تحذير له عن أن ينخدع بما يرى من ركون أهل الدنيا إليها.

(وتكالبهم عليها): التكالب: هو التواثب عليها.

(فقد نبأك الله عنها): أخبرك في كتابه الكريم بأخبارها، ووصفها بصفاتها من كونها متاعاً وغروراً ولعباً ولهواً وزينة، وغير ذلك مما يؤذن باستحقارها وهونها عند الله تعالى وانقطاعها.

(ونعت(2) إليك نفسها): بأنها فانية، وأنها منقطعة غير باقية ولا دائمة.

(وتكشفت لك عن مساويها): أبانت عيوبها وأظهرت مساوئها؛ بما كان من خدعها لأهلها ومكرها بمن اطمأن إليها، فهذه هي المساوئ، إذ لا مساوئ أعظم منها.

(واذكر الآخرة): أخطرها ببالك، وأجرِ ذكرها على لسانك.

(وما فيها من النعيم المقيم): لأهل الطاعة، وأهل ولاية الله تعالى ومحبته.

(والعذاب المقيم(3)): لأهل المعصية، وأهل عداوة الله تعالى.

(فإن ذلك): يريد ذكر الآخرة.

(يزهدك في الدنيا): يزيدك فيها زهادة وإعراضاً عنها.

(ويصغرها في عينك): فلا ترى لها قدراً ولا وزناً.

(فلا تركن إليها): أراد لا تستند إليها.

(فإنما أهلها كلاب عاوية): يشبهون فيما هم فيه الكلاب العاوية.

(وسباع ضارية): ضرا يضري بكذا إذا كان متعوداً له، وأراد أنها متعودة للأكل والافتراس.

---

(1) في نسخة أخرى: فيقهرك.

(2) من النعي (هامش في ب)، ولفظ العبارة في شرح النهج: ونعتت لك نفسها.

(3) في (ب): الأليم.

(1758/5)

(يهر بعضها على بعض): هرير الكلب: صياحه، قال آخر يصف شدة البرد:

إذا كَبَّدَ النجم السماء بشتوة

على حين هرَّ الكلب والثلج خاشف(1)

أي ذاهب في الأرض.

(ويأكل عزيزها ذليلها): تسلطاً عليه وقهراً له(2).

(ويقهر كبيرها صغيرها): ذلاً واستهانة.

(نعم معقَّلة): أي معقولة، فلا تقدر على الذهاب والتصرف.

(وأخرى مهملة): من غير عقال سائبة على رءوسها.

(قد أضلت عقولها): أي ذهبت حيرة وفشلاً فلا يُنْتَفَعُ بها.

(وركبت مجهولها): أراد إما دخلت مواطن تجهلها ولا تدري حالها، وإما احتملت أموراً لا تعرف مواردها ومصادرها لجهلها بها.

(سروح عاهة): أعاه القوم إذا أصابت ماشيتهم العاهة، والسروح: جمع سرح وهو قطعة من الماشية،

وكنى بذلك عن أهل الدنيا وتغير أحوالهم كلها.

(بوادٍ وعث): الوعث: الرمل الرخو الذي تغيب فيه الأقدام لرخاوته.

(ليس لها راعٍ يقيمها): على مصالحها، ويسلك بها مراعيها.

(ولا مسيم يسيمها): والمسيم هو: الراعي، وأراد ليس لها راعٍ يكون حافظاً لها عن المحذورات، فجعل ما ذكره مثالاً للدنيا وأهلها وما هم عليه من عدم التحفظ والإهمال.

(سلكت بهم الدنيا طريق العمى): باتباعهم لها وانقيادهم لأمرها، وانهماكهم في لذاتها.

(وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى): أمالت أبصارهم عن أعلام الهداية إلى الدين وطرق السلامة.

(فتاهوا في حيرتها): تحيروا في ضلالها.

---

(1) أورد البيت ابن منظور في لسان العرب 794/3 من بيتين نسبهما للقطامي أولهما:

أرى الحق لا يعيا عليَّ سبيله

إذا ضافني ليلاً مع القرِّ ضائف

إذا كبَّد النجم ....

البيت

(2) له، سقط من (ب).

(1759/5)

(وغرقوا في نعمتها): استعارة لما هم عليه من الاشتغال فيها بالرفاهية والتنعم، وطلب اللذات فيها.

(واتخذوها رباً): هذه مبالغة عظيمة في الخضوع لها، وأنها بلغت مبلغ من يُعْبَدُ، ويكون رباً يُخْضَعُ له، ويكون ذليلاً من أجله، ونظير هذا قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}[الجاثية:23]، فلما انقاد لأمره واحتكم له، صار هواه بمنزلة إله يعبده، فلما صار أمرها كما ذكرناه واستحكمت فيهم.

(فلعبت بهم): باحتكامها عليهم واستعبادها لهم وإنفاذ أمرها عليهم.

(ولعبوا بها): في استعمال لذاتها والتنعم في طيباتها، وشغل أنفسهم بها.

(ونسوا ما وراءها): من الأهوال العظيمة والأمور المفظعة، والأخطار الجليلة.

(رويداً يسفر الظلام): انتصاب رويداً على المصدر، وهو تصغير إرواد(1) على الترخيم، وأراد

أمهل، يسفر الظلام أي ينكشف(2)، وأراد أمهل قليلاً فعن قريب وقد انكشف عن حقيقته(3) الأمر، ورجعت الأشياء إلى حقائقها وأصولها.

(كأن قد وردت الأظعان!): الأظعان: جمع ظَعْن، والْظَّعْنُ: اسم للجمع كالْنَّفْرِ والْرَّهْطِ، فأما قوله تعالى: {يَوْمَ ظَعْنِكُمْ}[النحل:80]، فهو مصدر، والأظعان: الإبل التي عليها الهوادج، والمعنى في هذا أنا مسافرون، وكأن قد وردت الأظعان مناهلها، وكأن قد قدمنا منازلنا، وانقطعت هذه الأسفار.

(يوشك من أسرع يلحق(4)): يقرب، أي(5) من أسرع في سيره يلحق بمن كان متقدماً عليه، وأراد أنا عن قريب لاحقون بمن تقدمنا من الأموات، مسرعون إليهم.

---

(1) في (ب): رواد.

(2) في (ب): إلى أن ينكشف.

(3) في (ب): حقيقة الأمر.

(4) في (ب) وفي شرح النهج: أن يلحق.

(5) في (أ): أن.

(1760/5)

(واعلم أن من كانت مطيته الليل والنهار، يسار(1) به وإن كان واقفاً): شبه جري الليل والنهار بالمطايا المسرعة في سيرها، وهما في غاية السير والإسراع بمن فيهما، وإن كان واقفاً لا يشعر بالسير.

(ويقطع المسافة): إلى الآخرة.

(وإن كان مقيماً وادعاً): أي ساكناً، من قولهم: ودع الرجل فهو وديع أي ساكن، وقيل لبعض الصالحين: كيف أصبحت؟ وكيف حالك؟ فقال: ما حال من ينتقل كل يوم مرحلة إلى الآخرة(2).

ثم أخذ في بيان حال الرزق والتفويض إلى الله بقوله:

(واعلم يقيناً): إما علماً يقيناً، وإما متيقناً، فالأول يكون صفة لمصدر، والثاني على الحال.

(أنك لن تبلغ أملك): يريد ما كنت تأمله في الدنيا، وأنه لا بد من انقطاعه بالموت لا محالة، فكل أحد من الخلائق ليس بالغاً أمله بحال.

(وأن الله قد أذن في خراب الدنيا وعمارة الآخرة): إذنه علمه بخرابها، أو أمره بذلك وترغيبه عنها، وأن الآخرة قد أمر بعمارتها لكونها دائمة غير منقطعة وأنها دار الجزاء.

(فإن زهدت فيما زهدتك فيه): زهد في الأمر إذا انصرف عنه، وأراد إن أعرضت عن زخارف الدنيا ولذاتها.

(ورغبت فيما رغبتك فيه): رغب في الأمر إذا أراده، وغرضه إن رغبت في الآخرة ونعيمها كما أشرت إليك في هذا وهاذاك(3).

(فأهل ذاك أنت): أراد فهو المرجو فيك والمؤمل من عندك.

(وإن كنت غير قابل نصحي): غير(4) ملتفتٍ إلى ما أودعتك من النصيحة في أمرك كله.

(فاعلم يقيناً): لا شك فيه.

---

(1) في شرح النهج: فإنه يسار به.

(2) هذا القول هو لمحمد بن واسع بن جابر الأزدي، انظر الاعتبار وسلوة العارفين ص413 فهو فيه مع اختلاف يسير في بعض لفظه.

(3) في (ب): كما أشرت في هذا أو ذاك.

(4) غير، سقط من (ب).

(1761/5)

(أنك لن(1) تبلغ أملك): وأن الموت حائل بينك وبينه، وقاطع لك عن إتمامه.

(ولن تعدو أجلك): الذي قد فرض الله لك وقدره من أجلك، فلا يزاد عليه ولا ينقص منه.

(وأنت(2) في سبيل من كان قبلك): يريد سالكاً لطرائقهم، تابع لآثارهم.

(فخفض في الطلب): أراد هون الطلب في الأمور كلها.

(وأجمل في المكتسب): أراد إما في الاكتساب، وإما في تحصيل الأمر بكسبه، ولا تجهد نفسك، ولا تكلفها فوق طوقها(3) في ذلك.

(فإنه): الضمير للشأن.

(ربَّ طلب جرَّ إلى(4) حرب): الحرب هو: استلاب المال من صاحبه ظلماً وعدواناً، وأراد أن الطلب ربما كان سبباً في أخذ المال واصطلامه(5) من صاحبه، وهذا كثير(6) ما يعرض.

(وليس كل طالب بمرزوق): أراد كم من مجدٍ في الطلب ومع ذلك فإنه لا يرزق ما في نفسه، ولا يبلغه أصلاً.

(ولا كل مجمل): ساع في طلب الرزق على الإجمال والسهولة في حاله.

(بمحروم): ممنوع ما قدر له عند الله تعالى.

(وأكرم نفسك عن كل دنيَّة): الدنيَّة من الأمور: ما يسقط الهمة وينزل القدر، وأراد نزّه نفسك عن الوقوع في كل خصلة مسقطة لقدرك عند الله وعند الخلق.

(وإن ساقتك إلى الرغائب): وإن كانت مؤدية لك إلى كل ماترغب فيه النفوس وتدعو إليه.

(فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً): أراد أنك إذا أسقطت نفسك وهونَّت منزلتك في طلب شيء من حقير الدنيا وحطامها، فإنه لا يكون عوضاً وإن عظم خطره وكان(7) نفيساً، عما فات من نقص نفسك وإنزالها عن قدرها.

---

(1) في (ب): لم.
(2) في شرح النهج: وأنك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(3) في (ب): طاقتها.
(4) في شرح النهج والاعتبار: قد جرَّ إلى حرب.
(5) اصطلام المال: استئصاله.
(6) في (أ): كثيراً.
(7) في (ب): وإن كان نفيساً.

(1762/5)

(ولا تكن(1) عبداً لغيرك): أراد أنك لا تذل نفسك بطلب طمع من أحد فتكون عبداً له بملكه لك بما كان من جهته من الإحسان إليك، والتذلل له في طلبه.
(وقد جعلك الله حراً): مالكاً لنفسك غنياً بإحسانه إليك عن إحسان غيره، فلا تذل نفسك وقد أعزك بما أعطاك من خيره.
(وما خير خير لا يوجد إلا بشر): استفهام فيه معنى التعجب، وأراد(2) أي خير في الخير الذي لا يمكن تحصيله إلا بتحمل الشر والتلبس به.
(ويسر لا ينال إلا بعسر): وما حال يسر لا يمكن إيجاده إلا بتحمل العسر.
(وإياك أن توجف بك مطايا الطمع): الوجيف: هو ضرب من السير السريع، يقال: وجف البعير يجف وجوفاً إذا سار سيراً سريعاً، وأراد تحذيره عن أن تسرع مطايا الأطماع بك، أي بسببك ومن أجلك، ومطايا الطمع في موضع رفع على الفاعلية لتوجف.
(فتوردك مناهل الهلكة): الورود مع المناهل من باب توشيح الاستعارة، وأراد تحقق العطب مع المواظبة على الأطماع.
(وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل): أراد أنه إن أمكنك الاكتفاء بما قسم الله لك من جهته، والاستغناء عما في أيدي الناس، وكف السؤال عنهم؛ كيلا يكونوا منعمين عليك، فيكون الله قد قسم على أيديهم نعمة(3) منه عليك.
(فإنك مدركٌ قسمك): ما قدره الله لك وحتمه من الرزق من غير وساطة أحد من خلقه.

(وآخذٌ سهمك): الذي فرضه الله لك.

(فإن اليسير من الله سبحانه): من الرزق.

(أكثر(4) وأعظم من الكثير من خلقه): أجزل وأحمد عاقبة مما يكون على أيدي الخلق، وقد ظهر ذلك من أوجه:

---

(1) في (ب): فلا تكن.

(2) في (ب): أراد.

(3) في (ب): نعمته.

(4) في (ب) وفي شرح النهج: أكرم.

أما أولا: فلأن عطاء الله تعالى ليس فيه منّة من جهة مخلوق، بخلاف ما يكون من جهة بني آدم فإن فيه المنّة.

وأما ثانياً: فلأن عطاء الله تعالى(1) أهنأ وأمرأ بخلاف عطاء غيره من جهة الخلق، فإن فيه تعباً ونصباً.

وأما ثالثاً: فلأنهم يرجون بما ينعمون به من النعم المكافأة والمصانعة، والله تعالى لا يرجو شيئاً من ذلك.

وأما رابعاً: فلأن عطاءهم حقير هين، وعطاؤه جل جلاله لا يمكن حصره ولا عده.

وأما خامساً: فلأن في سؤال الخلق إراقة ماء الوجه عند المسؤل، وليس أهلاً لذلك، بخلاف سؤاله تعالى فإنه مستحق لأكثر من ذلك.

وعلى الجملة فإن إحسانه تعالى مخالف لإحسان جميع الخلق من جميع الوجوه، فلا وجه لطلب المخالفة في ذلك.

(وإن كان الكل منه): يريد أن الإحسان وإن حصل لك من جهة الغير فهو في الحقيقة من جهة الله تعالى(2)؛ لأن الله تعالى هو الذي أعطاه ومكنه من فعل الإحسان ورغبه في فعله، ووعده العوض في الدنيا، وإجزال(3) الثواب له في الآخرة، فلهذا قال: الكل منه لأجل ما قررناه.

(واعلم أنك لست بايعاً شيئاً من دينك وعرضك بثمن وإن جل إلا كنت مغبوناً): أراد أن تحصيل شيء من الدنيا وإن جل حاله وعظم خطره بنقص(4) في الدين أو نقص من العرض بإهراق ماء الوجه في المسألة، أو التواضع لمخلوق، فإنه لا محالة يكون الغبن فيه كبيراً؛ لأن ما يحصل من ذلك حقيراً بالإضافة إلى ما يفوت من الدين والعرض.

(فالمغبون من غبن نصيبه من الله): أراد أن المنقوص حقيقة هو من نقص نصيبه من ثواب الله وجزيل ما عنده.

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).
(2) تعالى، سقط من (ب).
(3) في (ب): وأجزل.
(4) في (ب): نقص.

(1764/5)

(خذ من الدنيا ما آتاك): ما قسمه الله لك من غير كلفة ولا مشقة؛ لأن كل ما قدره الله لك منها فهو آتيك لا محالة على أيسر الوجوه وأسهلها.

(وتول عمَّا تولاك): وأعرض عمَّا أعرض عنك منها، ولا تذهب نفسك على ذلك حسرة وجزعاً.

(وإن أنت لم تفعل): ما أشرت إليه من أخذ ما جاءك منها، والإعراض عما لم يأتك منها.

(فأجمل في الطلب): اطلب ما طلبت منها على سهولة، وتيسير حال من غير تهالك في طلب وإتعاب النفس في تحصيلها.

(وإياك ومقاربة من ترهبه): تخافه وتشفق منه.

(على دينك وعرضك): فإن من هذه(1) حاله لا خير في خلطته لما فيها من الضرر على الدين بالثلم والنقص، وعلى العرض بالإهدار.

(تباعد من السلطان الجائر): ففي بعدك عنه سلامة للدين وراحة للقلب عن التكلف؛ لأن في خلطته إيناساً له والواجب إيحاشه وفيها تقريب له وقد أمرنا بالإبعاد له، وفي الحديث: ((إذا مدح الفاسق اهتز العرش))(2).

(ولا تأمن خدع الشيطان): ختله ومكره وإدلاؤه بالغرور في الخلطة لهم، والقرب منهم، وتقريب الحال منه في ذلك.

(فيقول لك: متى أنكرت): عليهم ما يفعلونه من الظلم والجور.

(أو علمت): بمنكر فأزلته، أو ظلم فغيرته.

(أو تشفعت): في حال ضعيف أو في إزالة منكر، أو غير ذلك من الأمور المقربة إلى الله تعالى.

(أجرت): أعطاك الله الأجر العظيم، وكان له ثواب عند الله تعالى.

---

(1) في (ب): هذا.

(2) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 407/1 إلى ميزان الذهبي (3041)، وكشف الخفاء105/1، 16/2، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي 298/7، 428/8، وتهذيب تأريخ دمشق لابن عساكر40/6، والكامل لابن عدي 1307/3، 1308 وإلى غيرها.

(1765/5)

(فإنه هكذا أهلك من كان قبلكم): الضمير للشيطان، يعني أنه خدعهم بهذه الأماني، وقرب لهم الحال بهذه التسويفات، وزين لهم ذلك بهذه الأكاذيب حتى وقعوا فيما وقعوا.

(وإن أهل القبلة): ممن آمن بالرسول وصلى إلى قبلته.

(آمنوا بالمعاد): أحكام الآخرة، وصدقوا بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الأهوال.

(ولو سمعت أحدهم يبيع آخرته بدنياه): يعني ولو خوطب الواحد منهم، وكلم على أن يبيع آخرته بشيء من حطام الدنيا ورغائبها النفيسة.

(لم يفعل): ما دعاه إلى ذلك داعي ولا أراده.

(ولم يطب بذلك نفساً): ما ساعدته نفسه ولا طابت به، لما فيه من القوة والصلابة على دينه.

(ثم قد يختله الشيطان): الختل هو: الخدع والمكر، وغرضه أنه لا يزال يمنيه الأماني، ويرغبه فيها بخدعه ومكره وبأمانيه وأكاذيبه.

(حتى يورطه): يهلكه في كل ورطة، والورطة: الهلكة.

(في هلكته): الضمير إما للشيطان أي في هلكاته التي يهلك بها غيره، وإما للواحد منا أي في هلكته التي قد(1) قدرت له، وأحكم فيها رأيه من أجله.

(بعرض من الدنيا): شيء.

(حقير يسير): فَيُطْمِعُهُ فيه، ويُمَنِّيه أخذه وتناوله على قرب وسهولة.

(وينقله من شيء): من المعاصي.

(إلى شيء): فوقه وأعلا منه، أو ينقله من درجة في ترك الدين وإهماله إلى درجة أسفل منها.

(حتى يؤيسه من رحمة الله): حتى هذه متعلقة بكلام، أي فلا يزال يفعل ذلك به حتى يزيل رجاه عن الرحمة، فينقطع عنها ولا تخطر له على بال، وعند ذلك يقتحم العظائم وهي سهلة عليه لا يكترث(2) بها، ولا يبالي بالدخول فيها.

---

(1) قد، سقط من (ب).

(2) في (ب): ثم لا يكترث بها.

(فيجد الراحة إلى ما يخالف الإسلام وأحكامه): فيسهل عليه الحال بعد ذلك إلى ترك الدين وراء ظهره، ولا يبالي عن ذلك، فهذه حال من اطمأن إلى قرب الظلمة وساعد نفسه إلى ذلك.

(فإن أبت نفسك إلا حب الدنيا): بالتقرب إليهم ومخالطتهم.

(وقرب السلاطين): أهل الأمر والدولة على الخلق.

(وخالفتك عما فيه رشدك): سلامتك ونجاتك في الآخرة.

(فأملك عنك(1) لسانك): احفظه عن الكلام بحضرتهم، والمحاذرة عن إكثاره معهم.

(فإنه لا بقيّة للملوك عند الغضب): الرواية في قوله: بُقَيَّة بالتصغير [تحقير بَقيَّة] (2)، وله معنيان:

أحدهما: أن يكون مراده أنه لا انتظار لهم عند الغضب، ولا مراعاة أصلاً، من قولهم: بقيت فلاناً إذا انتظرته.

وثانيهما: أن يكون مراده أنه لا استبقاء لهم عند الغضب، وأخذه من بقية الماء في الكوز، أي أنهم لا يتركون شيئاً يبقى عند الغضب، بل يهلكون هلاكاً باستئصال.

(ولا تسأل عن أخبارهم): عما يتعلق بأحوالهم الخاصة فإن ذلك يبعث على الغيرة والغضب من جهتهم.

(ولا تنطق بأسرارهم): فإن فيه مخالفة لمقاصدهم، وآرائهم.

(ولا تدخل فيما بينهم): فإن فيه تغريراً بالنفس ومخاطرة بها.

(وفي الصمت السلامة عن الندامة): عما فرط من الكلام، وعن بعضهم:

ما إن ندمت على سكوتٍ مرة

ولقد ندمت على الكلام مرارا

(وتلا فيك فيما(3) فرط من صمتك): يريد أنك إن فرطت في الصمت فإنه يمكنك تداركه بأن تتكلم فيما بدا لك منه فهو لا محالة.

---

(1) في (ب) وفي الاعتبار وسلوة العارفين: عليك.

(2) سقط من (ب).

(3) في (ب): عما، وفي شرح النهج: ما، والعبارة في الاعتبار: وتلا فيك ما فرطت فيه من صمتك ...إلخ.

(1767/5)

(أيسر من إدراك(1) ما فات من منطقك): يعني وأنت إذا تكلمت بكلام فإنه لا يمكنك تداركه بأن تصمت عنه، فإنه يستحيل استرجاع ما خرج من الكلام ورده، ولهذا قال بعضهم: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، وعن بعضهم: أنا على ما لم أقل أقدر مني على ما قلت، وقال آخر: أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، وإذا لم أتكلم بها ملكتها(2).

---

(1) في الاعتبار، وشرح النهج: إدراكك.

(2) انظر تصفية القلوب للمؤلف ص95، ومثل ذلك ورد في شرح النهج لابن أبي الحديد138/16 فقال: اجتمع أربعة حكماء: من الروم، والفرس، والهند، والصين، فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت، ولم أندم على ما لم أقل، وقال الآخر: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلم ملكتها ولم تملكني، وقال الآخر: عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه، وقال الرابع: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت. انتهى.

(1768/5)

ولقد أشار صاحب الشريعة إلى هذه الأسرار بقوله: ((من صمت نجا))(1)، وبقوله: ((من سكت سلم))(2)، وبقوله: ((الصمت خير، وقليل فاعله))(3)، فهذه الكلم كلها من جهته قد اشتملت على جميع أسرار الصمت، واحتوت عليها.

(وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء): وكاء القربة: الخيط الذي يشد به رأسها، وفي الحديث: ((احفظ عفاصها ووكاءها))(4) وغرضه من هذا التحفظ عن عورات الكلام بالصمت.

(وحفظ ما في يديك): من الأموال وما تحتاج إليه في الدنيا.

---

(1) رواه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص513 برقم (443)، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 378/8 إلى سنن الترمذي (2501)، ومسند أحمد بن حنبل 159/2، 177، وسنن الدارمي 299/2، وإتحاف السادة المتقين 449/7، 459، 578 وعزاه إلى غيرها من المصادر انظرها هناك.

(2) له شاهد بلفظ: ((من أراد أن يسلم فليحفظ لسانه)) رواه في مسند شمس الأخبار507/1 في الباب السادس والتسعين عن أنس بن مالك، وعزاه إلى الاعتبار وسلوة العارفين.

(3) الحديث بلفظ: ((الصمت حكم، وقليل فاعله)) رواه في مسند شمس الأخبار 509/1 في الباب السادس والتسعين وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 383/5 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 449/7، والمطالب العالية 3219، وكنز العمال رقم(6880)، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي 105/3، والكامل لابن عدي 1816/5.

(4) النهاية لابن الأثير 263/3، وقال في شرح الحديث: العفاص: الوعاء الذي تكون فيه النفقة من جلد أو خرقة أو غير ذلك، من العفص وهو: الثني والعطف، وبه سمي الجلد الذي يجعل على رأس القارورة عفاصاً وكذلك غلافها.

(1769/5)

(أحب إليك(1) من طلب ما في يد غيرك): والمعنى في هذا هو أن حفظ ما في يدك عن الإتلاف بالهبة، وسائر أنواع التفضلات أحب وأقرب إلى الله من إتلافه، وطلب ما في أيدي الناس، والخضوع لهم بالسؤال والطلب.

(ولا تحدثن(2) إلا عن ثقة): عمَّن يغلب على الظن صدقه وأمانته في(3) الحديث، فإذا حدثت عمن يغلب عليه الكذب.

(فتكون كذاباً): لأن نقل الحديث عن الكاذب يكون كذباً لامحالة.

(والكذب ذل): لصاحبه وعار عليه لما فيه من المقت عند الله تعالى، وعند الخلق.

(وحسن التدبير مع الكفاف): [الكفاف] (4) هو: الذي يكون فيه كفاية من غير إسراف ولا تقتير، وفي الحديث: ((اللَّهُمَّ، اجعل رزق آل محمد كفافاً))(5) وأراد أن الاقتصاد في المعيشة وإن كان كفافاً.

(أكفى لك): أعظم كفاية لمآقي وجهك.

(من الكثير مع الإسراف): لأن مع الاقتصاد فالكفاية حاصلة، ومع الإسراف لا كفاية، فلهذا كان ذلك أحق وأولى.

(ومرارة اليأس خير من الطلب إلى لئام الناس): المعنى في هذا هو(6) أن اليأس وإن كان مراً عما في أيدي الخلق، فهو خير من الرجوى والطلب إلى أسافل الناس وأراذلهم.

---

(1) في شرح النهج: أحب إليَّ من طلب ما في يدي غيرك، والعبارة في الاعتبار: وحفظ ما في يديك أعود عليك من طلب ما في يد غيرك.

(2) في (ب): ولا تحدث.

(3) في (ب): وفي الحديث.

(4) سقط من (ب).
(5) الحديث بلفظ: ((اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا كفافاً)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 159/2 وعزاه إلى مسلم (730) و(2281)، وسنن الترمذي(2361)، وسنن ابن ماجة(4139)، والسنن الكبرى للبيهقي 150/2، 46/7، وأخلاق النبوة 268، إلى غيرها.
(6) هو، سقط من (ب).

(1770/5)

(والعفة مع الحرفة): أراد أن التعفف عن كل ما يشين المرء ويسقط منزلته مع الحرفة، وهو نقصان الحظ والحرمان.
(خير من الغنى مع الفجور): أعود لا محالة، وأحسن حالاً؛ لأن الفجور فيه نقصان الدين وهدمه، والعفة مع نقصان الحظ لا نقص فيه على الدين ولا هدم له.
(والمرء أحفظ لسره): أراد أن المرء إذا كان معه سر فهو أحفظ لسره وأملك به، فإذا أباحه وأفشاه إلى غيره، فذلك الغير لا محالة أكثر إظهاراً له، وعن هذا قال بعضهم:
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه

فصدر الذي يستودع السر أضيق(1)

(رب ساعٍ فيما يضره): في الدين والدنيا، وبيانه هو: أنا نرى من يكون مجتهداً في التعلق بالملوك، ومحباً في خدمتهم ومع ذلك يضره في دينه، وهكذا فإنا نرى كثيراً ممن يتعلق بطلب الأموال فيولع بالأسفار، ويعلم ما فيها من النقص بجسمه بالمرض، فلهذا قال: رب ساعٍ فيما يضره، يشير به إلى ما ذكرناه، ونرى من هذا شيئاً كثيراً.
(من أكثر): من الكلام فيما لا يعنيه.
(أهجر): الإهجار: هو الإفحاش في المنطق، وغرضه أن كثرة الكلام تؤدي إلى ذلك، وترشد إليه.
(ومن تفكر أبصر): أراد أن كل من تفكر في عواقب أمره(2) وما يؤول إليه حاله استبصر في أمره، وكان منه على حقيقة وبصيرة.
(خير حظ المرء قرين صالح): الحظ: ما يقدره الله للإنسان ويقسمه من سعادة وشقاوة، وأراد أن خير ما يقدره الله تعالى(3) للمرء مقارنة أهل الصلاح؛ لما في ذلك من السعادة والنفع في الآخرة.

---

(1) أورد البيت ابن أبي الحديد في شرح النهج 99/16 بدون نسبه لقائله.

(2) في (ب): الأمور.
(3) تعالى، زيادة في (ب).

(1771/5)

(قارن(1) أهل الخير تكن منهم): أراد أن المقارنة(2) والخلطة تكسب البعضية، فمن قارن(3) أهل الخير، واختلط بهم كان من جملتهم ونسب إليهم، وفي الحديث: ((المرء من قرينه)) أي أنه يكتسب من خلائقه، ويأخذ من شيمه.

(باين أهل الشر تبن عنهم): اعتزل عنهم تكن مخالفاً لهم في كل أحوالك.

(لا يغلبن عليك سوء الظن): يعني كن في أكثر أحوالك محسناً للظن بكل(4) أحد، ولا يغلبن عليك سوء الظن بكل أحد، فيؤدي إلى التهمة وانقطاع الألفة.

(بئس الطعام الحرام): وفي الحديث عن الرسول عليه السلام أنه قال: ((طلب الحلال فريضة على كل مسلم))(5)، وفي حديث(6) آخر: ((كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به))(7).

وعن ابن عباس: لا يقبل الله صلاة(8) امرئ في جوفه حرام.

---

(1) في (ب): قارب.
(2) في (ب): المقاربة.
(3) في (ب): قارب.
(4) في (ب): في كل أحد.
(5) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 409/5 إلى إتحاف السادة المتقين4/6، وتأريخ أصفهان339/2، والكامل لابن عدي 779/2، 1043/3، 1525/4، 1810/5.
(6) في (ب): وفي الحديث.
(7) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 439/6 إلى إتحاف السادة المتقين 226/5، 106/6،81، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي 9207/2.
(8) في (ب): لاتقبل صلاة امرئ...إلخ.

(1772/5)

(ظلم ضعيف أفحش الظلم): أعظمه وأعلاه، وكل شيء جاوز حده فهو فاحش، وفي الحديث: ((اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري))(1).

(الفاحشة كاسمها): أراد أن لفظها(2) مطابق لمعناها، فلما كان الزنا عظيماً عند الله وأجل الكبائر، ولهذا جعل في مقابلته عقوبة لا تشبه العقوبات، فلما عظم أمره وكبر خطره عند الله، لا جرم سمي فاحشة، وهكذا كلما عظم حاله أطلق عليه هذا الاسم.

(التصبر(3) على المكروه): على ما تكرهه النفس وينفر عنه الطبع من احتمال الأذى وكظم الغيظ، وغير ذلك مما يعد تصبراً.

(يعصم القلب): عن الميل عن الحق، وعن الطيش والفشل، والعجلة، وغير ذلك من الأمورالمكروهة.

---

(1) رواه في مسند شمس الأخبار 266/2 الباب (163)، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه الطبراني في الأوسط عن علي عليه السلام ولفظه: ((أشد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصراً غيري)) ...إلخ، وأشار إلى طرفه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 382/11 وعزاه إلى المعجم الصغير للطبراني 31/1، والدر المنثور 353/1، وكشف الخفاء 143/1.

(2) في (ب): اسمها.

(3) في (ب): الصبر.

(1773/5)

(ربما كان الدواء داء، والداء دواء): يعني ربما أهلك الدواء الذي ترجا منه الصحة للإنسان، وربما كان الشيء الذي يؤلم ويؤذي دواءً مفيداً للصحة، مثل: الكي وقطع بعض الأعضاء لسلامة الروح، وهكذا ما يحكى عن بعض الأطباء أن من الأمراض ما يكون سبباً لزوال مرض آخر، وهذا نحو المالَنْخُوليا(1) فإنه يذهب وينجل(2) بالبواسير.

(إذا كان الرفق خرقاً، كان الخرق رفقاً): الخَرَقُ بالخاء المعجمة بفتحتين هو المصدر، والاسم منه الْخُرُق بضمتين هو: الجهل، والرفق: هو نقيضه، وفي الحديث: ((عليك بالرفق يا عائشة، فإنه ما حصل في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه))، ومثال ما يكون فيه الرفق خرقاً أنه إذا أقدم عليك العدو في الحرب فتأنيت في دفعه وقتله، فهذا يكون رفقاً بالإضافة إلى العدو، وهو بالإضافة إليك خرقاً؛ لأنه يؤدي إلى هلاك(3) نفسك.

ومثال ما يكون الخرق رفقاً: هو أنك إذا خاطرت وعاجلت في قتل العدو، وكان هذا خرقاً بالإضافة إلى العدو، ورفقاً بالإضافة إلى نفسك، وحاصل المعنى فيما ذكر هاهنا هو أن الرفق في بعض المواضع قد يكون خرقاً، والخرق في بعض المواضع قد يكون رفقاً على أوجه مختلفة، لا يخفى

حالها على الأذكياء.

---

(1) في (ب): المالوخيا، قلت: والمَلَنْخُوليا: في رأي القدماء مرض عقلي من مظاهره فساد التفكير، ينشأ من تغلب أحد الأخلاط الأربعة وهي السوداء في الدم، وذلك لعجز الطحال عن امتصاصها منه، وفي رأي المحدثين: مرض عقلي، من مظاهره اضطراب الوجدان، وتغلب الغم والحزن والقلق وضيق الصدر والميل إلى التشاؤم، وسببه اضطرابات جسمانية أهمها عدم الاعتدال في نشاط الغدد الصم. (المعجم الوسيط 887/2).

(2) أي يزيل.

(3) في (ب): إهلاك.

(1774/5)

(سوف يأتيك ما قدرِّ لك): أراد وإن بعد الأمر في ذلك وتراخت المدد، فإنه لا بد من وصوله إليك من خير وشر.

(رب يسير أهنئ(1) من كثير): من الرزق؛ لأنه ربما حصل في الكثير ما يكدره من كثرة العوارض والآفات والغموم والأحزان، واليسير(2) لا يلزمه شيء من هذه الأمور، فلهذا كان أهنئ.

(ساهل الدهر ماذل لك قَعُوْدُهُ): القَعود بفتح القاف من الإبل: ما يقتعده الراعي في جميع حوائجه، وهو الذي تمت له سنتان إلى أن يثنى(3)، فإذا أثنى فهو جمل، وغرضه من هذا الأمر بمواتاة الدهر، وأخذ أموره بالسهولة مهما كان مذعناً منقاداً، فأما إذا اعتاص أمره فلا سبيل إلى مساهلته.

(ربما نصح غير الناصح): الجاري على الأكثر النصيحة ممن طلبت منه(4)، وفي الحديث: ((المستشار مؤتمن))(5) وربما جرى على القلة أن يُسْتَنْصَحُ إنسان فتأتي النصيحة من غيره.

(وغش المستنصح): أي وحصل الغش والخديعة ممن طلبت منه النصيحة، ومهما كان الأمر هكذا فلا ينبغي لعاقل الاتكال على نصح الناصح، وغش الغاش؛ لأنه ربما جرى منهما خلاف ذلك.

---

(1) في شرح النهج: أنمى، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في (أ): والكثير، وهو تحريف، والصواب ما أثبته من (ب).

(3) يثنى: يدخل في السنة السادسة فعند دخوله فيها يسمى جمل. (وانظر نهاية ابن الأثير87/4).

(4) منه، سقط من (ب).

(5) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص469 رقم (624) بسنده عن أم سلمة، وللحديث مصادر كثيرة انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 671/8، ورواه في لوامع

الأنوار 228/3 في سلسلة الإبريز رقم (6) وقال: أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، والطبراني في الكبير.

(1775/5)

(إياك والاتكال على المنى): المنى: جمع منية، وهو: ما يتمناه الإنسان من جميع الأشياء، فحذَّره عن الاعتماد عليها.
(لأنها(1) بضائع النوكى): البضاعة: ما يتوصل بها إلى الربح، وغرضه أنها بضائع أهل الحمق والجهل، والنوكى: جمع أنوك وهو الأحمق.
(وفي تركها خير الدنيا والأخرى): يريد أنك إذا تركتها، وآثرت ما هو الصحيح المعتمد عليها دونما هو أمر موهوم لا تدري هو يحصل أم لا، فقد اعتمدت في أمرك على ما هو الحق من أعمال الدنيا والآخرة، وعملت على ما هو الأفضل منهما.
(ذكِّ قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب): ذكت النار تذكو ذكواً: إذا اشتعلت، وأراد نوِّر قلبك بتذكر الآداب الدينية والدنيوية، وأشعل فيها نيرانها كما تشعل النار وتذكو وقودها بإيراد الحطب عليها.
(لا تكن كحاطب ليل): نهاه عن أن يكون جامعاً بين غث الأمور وسمينها، وقويها وضعيفها، وجيدها ورديئها، وإنما يأخذ من الأمور أحسنها وأعلاها وأرفعها من أمور الدين والدنيا، وفي الحديث: ((إن الله تعالى(2) يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها)).
(وغثاء السيل): الغثاء: ما يحمله السيل من بطون الأودية من الأخلاط المجتمعة، قال امرؤ القيس:
كأن ذرى رأس المجيمر(3) غدوة

من السيل والغثاء فلكة مِغْزَلِ

---

(1) في شرح النهج: فإنها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(2) تعالى، زيادة في (ب)، والحديث رواه في مسند شمس الأخبار 20/2 في الباب (105)، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه الطبراني في الكبير عن الحسين بن علي عليهما السلام، وحسنه السيوطي. انتهى.
(3) في (ب) وفي نسخة أخرى: المخيم، والبيت ورد في شرح المعلقات السبع للزوزني ص32 بلفظ: المجيمر كما في (أ)، والمجيمر: أكمة بعينها.

ويكون مثقلاً ومخففاً.

(كفر النعمة لؤم): اللَّومُ بفتح الفاء: العذل، يقال: لامه لوماً إذا عذله، واللُّوْمُ بضم الفاء هو: الاسم من الملامة واللائمة، وألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه، واستلام الرجل إلى الناس أي استذمَّ.

(صحبة الجاهل شؤم): الشؤم هو: نقيض اليمن، وأراد أن كل من صحب الجهال فإنه يكون لا محالة مشئوماً لا خير فيه ولا معه.

(العقل حفظ التجارب): وهي جمع تجربة، وهي(1) خبرة الأمور والحنكة فيها، ومعاناتها مرة بعد مرة، وفيه معنيان:

أحدهما: أن يريد أن من حكم العقل وقضيته حفظ ما جربه الإنسان وعالجه مرة بعد أخرى.

وثانيهما: أن يكون غرضه أن العاقل لا يكون عاقلاً، ولا يكون عقله كاملاً، إلا بعد أن يكون مجرباً للأمور، ذا حنكة فيها، وأما من يأتي الأمور ويفعلها من غير تجربة فيها، فليس على حد العقلاء، ولا ذاك من حقيقة شأنهم.

(وخير ما جربت ما وعظك): وأفضل ما عالجت من الأمور كلها، ما كان سبباً في اعتبارك وموعظتك، وانتفاعك في أمر الدين وحال الآخرة.

(بادر الفرصة): يقال(2): أفرصتني الفرصة أي أمكنتني، وأراد الأمر بالإسراع والمعاجلة(3) في إحراز الخيرات من جميع الأمور، والمواثبة عليها قبل فواتها، وعروض ما يعرض من أخذها وتناولها.

(قبل أن تكون غصة): الغصة: واحدة الغصص وهي: الشجا في الحلق، وأراد أن إهمالها وترك المعاجلة في أخذها يكون شجاً في الحلق لا محالة.

---

(1) في (ب): وهو.

(2) يقال، سقط من (ب).

(3) في (ب): والماجلة، وهو تحريف.

(من الحزم العزم): أراد أن العزم على أخذ الشيء، وتناوله هو أحد أجزاء الحزم؛ لأنه إذا أخذه وقطع على تناوله فهو آخذ بالحزم لا محالة، مخافة أن يفوت أو يعرض عن أخذه عارض، فلهذا قال: من

الحزم العزم.

ثم أخذ في تقرير الحكم وبيان أسرارها وغرائبها بقوله:

(سبب الحرمان التواني): اشتقاق التواني من الونى، وهو: الضعف، وغرضه أن السبب في امتناع بعض الأشياء وحرمانها هو الضعف عن طلبها والتساهل في إدراكها، ولهذا نجد الإنسان إذا جدَّ في طلب شيء حصل، وإذا توانى فيه فات لا محالة.

(ليس كل طالب يصيب): مطلوبه، ويحصل له، فكم من طالب ولا ينال مطلوبه، ولا يكون حاصلاً وإن جد واجتهد.

(ولا كل غائب يؤوب): فكم من غائب يعرض(1) دون إيابه الموت، فلا يؤوب أبداً.

(من الفساد): في الدين والإعراض عن الآخرة:

(إضاعة الزاد): وهو التقوى وما بلغ إلى الآخرة، ولا فساد كهو؛ لأن كل فساد يرجى صلاحه إلا ما كان من فساد الزاد في الآخرة فإنه لا رجوى لصلاحه بحال.

(وهو مفسدة المعاد): يعني أن من أضاع زاده في الآخرة فقد أفسد لا محالة معاده إلى الله تعالى، ومرجعه إليه؛ إذ لا معاد من دون زاد.

(لكل أمر عاقبة): يؤول إليها ويرجع، وإلى الله عاقبة الأمور كلها وصيرورتها.

(رب دائب مفرط): الدأب: المداومة على الشيء وتكراره، وأراد رب مداوم على فعل شيء وهو في الحقيقة مفرط في فعله، كأنه بمنزلة من لم يفعله، إما لفساد قصده وتغير نيته، وإما لإيقاعه له على غير الوجه المأمور به.

---

(1) في (ب): يعرض له.

(1778/5)

(ورب ساعٍ مضيع): أي رب(1) من يكون ساعياً في تحصيل شيء ومجتهداً في فعله وهو في الحقيقة مضيع له(2)؛ لكون سعيه غير موافق للأمر، ولا مطابقاً له، وما ذكره أمير المؤمنين يقع كثيراً.

(التاجر مخاطر): في اضطرابه في تجارته وركوب البر والبحر، فهو على غير حقيقة في تجارته هل تسلم أو لا؟ وهل يربح أو يكون خاسراً؟ فلا يزال في خطر في تصرفاتها(3) كلها، ولا يزال راكباً للأخطار.

(لا خير في معين مهين): الإعانة إنما تراد من أجل تحصيل المقصود وإيقاعه، فإذا كان المعين في غاية الضعف والهوان فلا فائدة فيها، ولا نفع واقع بها.

(ولا في صديق ضنين): أراد بالضنين إما البخيل، وإما المتهم، وكلاهما يشوبان الصداقة، ويقطعان حالها، ويبطلان أمرها.

(ولا تبنينَّ في أمر على غرور): الغرور هو: الخدع والمكر، وأراد أن كل أمر قررت قواعده على خديعة ومكر، فهوباطل متلاشي لا ثبات له، فلهذا نهى عنه.

(من حلم ساد): أراد أن الصبر على المكاره وتحمل أذى الخلق والاصطبار على ما يأتي منهم من المكروه، يورث السؤدد عليهم، وعن هذا قال بعضهم:

تحلم عن الأدنين واستبق ودهم

فلن تستطيع الحلم حتى تحلمّا(4)

(ومن تفقه ازداد): التفقه: التفهم لمراد الله وإصلاح حاله في الدين والدنيا، ومن فهم عن الله ازداد خيره وكثر صلاحه.

(لقاء أهل الخيرات عمارة القلوب): لأن عمارة القلوب لا تحصل بأعظم من ذكر الموت وأحوال الآخرة، ولقاء أهل الصلاح يكون فيه أبلغ ذلك وأعظمه.

---

(1) في (ب): أي ورب.

(2) في (ب): فلا يزال في خطر تصرفاته كلها.

(3) له، سقط من (ب).

(4) لسان العرب 707/1 بدون نسبة لقائله.

(1779/5)

(إياك أن تجمح بك مطايا اللجاج): جمح الفرس براكبه، إذا خالفه في مراده ولم يملك أمره، وأراد التحذير عن أن يكون اللجاج والشجار طامحين بالإنسان إلى المكاره السيئة والمداخل الضيقة، والمعنى في هذا هو كف النفس وزمها عن الورود في اللجاج والخصومات.

(إن قارفت سيئة فعجِّل لها توبة(1)): القرف: الاكتساب، يقال: فلان يقترف لعياله إذا كان يكتسب عليهم، وأراد أنك إذا اكتسبت سيئة فلا تمَّالك في تعجيل توبة من أجلها تمحوها.

(لا تخن من ائتمنك وإن خانك): أراد أن الواجب عليك أن لا تخون أحداً، وخيانته لك لا تبطل هذا الواجب، ولأنه إذا خانك فقد أسقط حقك، وإذا أسقط حقك فلا تسقط حقه بالخيانة من جهتك.

(لا(2) تذع سره وإن أذاع سرك): الإذاعة: هي الإفشاء، وفلان خدَّاع مذَّاع أي يفشي الأسرار

وينشرها، وغرضه أنك لا تفش(3) سره وإن أساء في إفشاء سرك.

(لا تستوثق بثقة رجاء): يقال: فلان أخذ بالوثيقة في أمره، أي بالثقة، وأراد هاهنا أنك إذا طلبت وثيقة في أمر فلا تجعلها على جهة الرجاء، وكن فيها على قطع فيطمئن بها القلب، ويكون الصدر إليها منشرحاً.

(لا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه): يعني أن حفظ القليل في يدك خير من بذله على غير حقيقة من حاله لرجوى ما هو أكثر منه، وأراد بهذا حيث لا يكون ظن السلامة أكثر، فأما إذا كان ظن السلامة أكثر فالعقول مشيرة إلى حسن ذلك لا محالة.

---

(1) في (ب): فعجل لها توبة تمحوها.

(2) في الاعتبار: ولا تذع.

(3) في النسخ: لا تفشي، بإثبات الياء في آخره، والصواب ما أثبته؛ لأن الفعل المضارع المعتل الآخر إذا دخلت عليه لا الناهية، جزمته وذلك بحذف الحرف الأخير منه.

(1780/5)

(جد بالفضل(1)): في جميع أحوالك، وغرضه كن مفضلاً على من قدرت عليه.

(وأحسن البذل): أي ليكن بَذْلُكَ [وعطاؤك حسناً](2) متوسطاً من غير إسراف في حالك، ولا إضرار به، كما قال تعالى: {وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}[الإسراء:29]،.

(قل للناس حسناً): أي قولاً ذا حسن، وأراد قولاً لطيفاً لا خشونة فيه، ولا يجوز حسناً بغير تنوين، على أن يكون تأنيث الأحسن؛ لأن المؤنث من ذلك لا يجوز إتيانه(3) بغير اللام أو الإضافة إلا على جهة الشذوذ، فلهذا وجب حمله على المصدر كما ذكرناه.

(قلَّ ما تسلم ممن تسرعت إليه): بالمكروه والأذى، وغرضه أن كل من بادرت إليه بفعل القبيح فإنه لا يزال مجتهداً في المبالغة، [في المكر](4) والخديعة، والكيد لك لا محالة، فلا تكاد تسلم من كيده.

(أو تندم إن تفضلت عليه): أي أن الإحسان يقود إلى كل خير، فلا تكاد تندم على فضل على أحد بحال.

(من الكرم): في الطباع، واتباع محامد الشيم.

(الوفاء بالذمم): بالعقود والمواثيق، والمكر والخديعة هو اللؤم بعينه.

(الصدود آية المقت): صدَّ عنه صدوداً إذا أعرض عنه، والمقت: البغض والكراهة، وأراد أن الإعراض علامة للبغض لا مرية فيه.

(الانقباض يجلب العداوة): لأن مع الانقباض البعد، والبعد يورث الوحشة والقطيعة، وهذه كلها

أسباب جالبة للعداوة.

---

(1) في (أ) وفي نسخة أخرى: (خذ الفضل)، وقوله: في جميع أحوالك غير واضح في (أ) وأثبته من (ب).

(2) ما بين المعكوفين في (أ): غير واضح وهو بياض في نسخة أخرى، وما أثبته من(ب).

(3) في (ب): إثباته.

(4) سقط من (ب).

(1781/5)

(والخلطة تورث المحبة): لأن مع الخلطة الألفة، والألفة تورث البشاشة، والبشاشة حِبَالَةُ(1) المودة.

(كثرة العلل): أراد أن المرء إذا كان كثيراً ما يكثر العلل على صاحبه في أحوال معاشرته له، فإن ذلك كله.

(آية الملل): علامة السآمة له، والنفرة عن خلطته ومفاكهته.

(من الكرم): في الطباع والشيم.

(صلة الرحم): برها وكرامتها بالمواصلة والتعهد، ولهذا ترى ذلك كثيراً في أفاضل الناس وأهل الشهامة منهم.

(التجني وجه القطيعة): التجني هو: التجرم وهو ادعاء ذنب لم يذنبه الغير، وأراد أنه وجه المقاطعة عن التواصل، وحقيقتها وعلامتها، ومعه حصولها لا محالة.

(احمل نفسك في أخيك عند صرمه على الصلة):أراد أنه إذا صرمك فأكره نفسك على صلته واحملها على ذلك، وقوله: احمل نفسك، يدل على أنه إكراه للنفس على ذلك؛ لأنه خلاف هواها ومرادها.

(وعند صدوده): إعراضه عنك.

(على اللطف والمقاربة): الرفق به والتقرب إليه.

(وعند جموده): بخله ومنع جود نفسه.

(على البذل): على إسداء المعروف إليه، وإنالته بخيرك.

(وعند تباعده على الدنو): على القرب منه(2)، والتعهد لحاله.

(وعند شدته): بخله بما في يده أوعلى ضيق أخلاقه وضنكها.

(على اللين): إما على المسامحة، وإما على بسط الأخلاق ولينها له.

(وعند جرمه): إساءته إليك.

(على العذر): على قبول عذره إذا اعتذر في ذلك.

(حتى كأنك له عبد): أراد أنك تفعل ذلك وتستمر عليه حتى كأنك في منزلة العبد له.

(وكأنه ذونعمة عليك): تفضل وعطاء في اصطبارك على ذلك، وإكراه النفس عليه.

---

(1) الحِبالة بالكسر هي: التي يصاد بها. (وانظر مختار الصحاح 121).

(2) في (ب): منك.

(1782/5)

(وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه): يعني أن خضوعك وقربك ودنوك ولينك، إنما يكون ذلك مستحقاً ومندوباً إليه في حق من يعرف ذلك، ويتحققه ويكون موضعاً له.

(أو أن تفعله في غير أهله): لأن فعلك ذلك في غير موضعه، وفي غير أهله سقوط في الهمة، وركة في الطبيعة، وذل في النفس.

(لا تتخذَّن عدو صديقك صديقاً): لأن الأعداء ثلاثة: عدوك، وعدو صديقك، وصديق عدوك، والأصدقاء ثلاثة أيضاً: صديقك، وصديق صديقك، وعدوعدوك، فإذا اتخذت عدو صديقك صديقاً.

(فتعادي صديقك): باتخاذ عدوه صديقاً، وهو أحد الأعداء لك.

(ولا تعمل بالخديعة): في أحوالك كلها فتري صاحبك النصح وغرضك خدعه.

(فإنها خلق اللئام): جمع لئيم وهو: الدني الأصل الشحيح [الفعل وأراد أن](1) ذلك دال على لآمة أصله، وسخافة(2) فعله.

(امحض أخاك النصيحة): [محضته الود أخلصته] (3) له ويقال: هو عربي محض أي خالص نسبه، أي أخلصها له، وكل شيء [أخلصته فقد](4) أمحضته، قال الشاعر:

قل للغواني أما فيكنَّ فاتكةٌ

تعلو اللئيم بضربٍ فيه إمحاض(5)

---

(1) ما بين المعقوفين غير واضح في (أ)، وهو بياض في النسخة الأخرى، وما أثبته من (ب).

(2) في (ب): وشحاحة.

(3) ما بين المعقوفين غير واضح في (أ)، وما أثبته من (ب)، ولفظه في النسخة الأخرى: محض النصيحة له ويقال: هو عربي محض ...إلخ.

(4) ما بين المعقوفين غير واضح في (أ) وما أثبته من (ب)، ومحله في النسخة الأخرى بياض.

(5) لسان العرب 445/3 بدون نسبة لقائله.

(حسنة كانت أو قبيحة): يعني مراده كانت حسنة عنده أو مكروهة، فعبَّر عن(1) الحسن عما يكون مراداً، وعن القبيح بما(2) يكون مكروهاً، وليس الغرض أن النصيحة تكون قبيحة، فإن كل ما كان قبيحاً فلا وجه للأمر به.

(لا تصحبن الإخوان بالإيهان): الوهن: الضعف، وأراد لا تصحبهم بالإفساد والضعف، والركة في الحال.

(صاحبهم بالتذكير عند الزلة): تذكير التوبة ليتوب عنها، أو تذكير كونها خطيئة فيقلع، أو تذكَّر عظمة الله وخوفه، فيكون ذلك سبباً للانزجار عنها.

(وأمحضهم المودة): أي(3) أخلصها لهم، وود محض إذا كان خالصاً لا شوب فيه.

(عند الهَبَّةِ): يُروى مفتوحاً، وهي واحد الهبات، يقال: هب البعير هبة وهباباً إذانشط في سيره، قال لبيد:

فلها هَبَابٌ في الزِّمام كأنَّها

صهباء راح(4) مع الجنوب جهامها

ويُروى بالكسر وهي: الحالة، يقال: هب البعير هِبَة إذا هاج للضراب، وكلاهما صالح هاهنا، فإن الغرض محض المودة عند شدة الأمر وصعوبته.

(كم من أخ ثقة): تثق به في جميع أحواله، ويطمئن صدرك إليه وينشرح.

(بعث العتب بحقه(5)): البعث: الإرسال، قال تعالى: {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا}[الإسراء:5]، وأراد أزال العتب حقه وأرسله، وغرضه من هذا كله هو أن كثرة عتاب الصاحب تزيل حقه وتبطله.

---

(1) في (ب): فعبّر بالحسن بما يكون...إلخ.

(2) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: وبالقبيح عما ...إلخ.

(3) أي زيادة في (ب).

(4) في شرح المعلقات السبع ص 79: صهباء خَفَّ، والبيت في لسان العرب 760/3 وروايته فيه كرواية المؤلف له هنا.

(5) في الاعتبار وسلوة العارفين: كم من أخ ثقة يعد هدية العيب تحفة.

(ساعد أخاك على كل حال): في أمور الصحبة والإخوة، فإن مع المساعدة تكون استقامة الأحوال كلها وانتظامها.

(وزل معه في الحق حيث زال): أي لا تفارقه مهما كان على الحق، وكن معه عليه على أي وجه كان.

(جد على عدوك بالفضل): عامله بالتفضل عليه في أحواله كلها.

(فتسخير العدو بالإحسان إليه أجلى الظفرين): التسخير: هو التذليل(1)، وأراد أن تذليل العدو بإعطائه المعروف والإحسان من جهتك، فإن الظفر بالعدو يكون بوجهين:

أحدهما: القهر له والغلبة.

وثانيهما: الإحسان إليه، لكن تذليله بالإحسان إليه(2) أجلى من قهره، وأحمد عاقبة في مذاهب الكرام؛ لكونه أخف حالاً وأسهل من القهر لا محالة، ولأنه بالإحسان ينجذب من جهة نفسه، وبالقهر إنما ينجذب بداعية الإكراه لا غير، فلهذا كان ذلك أجلى وأجود.

(بصر صديقك): أره البصيرة في أمره، واهده إلى الرشد.

(وتجرع الغيظ): اصبر على ما يغيظك من أمرك، واكظم غيظك فيه.

(فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة): يريد أن عاقبتها حلوة المطعم.

(ولا ألذ منها مغبة): مغبة كل شيء: عاقبته، وهي بفتح الغين المصدر، وبالكسر أيضاً كالمحمدة والمعذرة.

(لن لمن غالظك): قاساك وناواك، والغلظة: الفظاظة، قال الله تعالى: {وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ}[آل عمران:159].

(يوشك أن يلين لك): أراد أنك إذا لنت له في أول الأمر فيقرب لا محالة أن يلين لك في آخره.

(تفضل على عدوك): بالإحسان إليه وإسداء المعروف عليه.

(فإنه أجلى الظفرين): إما القهر له، وإما الإحسان إليه، ولا شك أن الإحسان هو أجلاهما وأعظمهما نفعاً وجدوى.

---

(1) في (ب): التذلل.

(2) إليه، سقط من (ب).

(وإن أردت قطيعة أخيك): يقول: إذا عزمت يوماً على قطعه عن المواصلة، وإيحاشه عن الألفة.

(فاستبق له من نفسك بقية): اجعل عند نفسك له(1) بقية من المواصلة، ولا تبالغ في القطيعة والوحشة.

(إن بدا لك): عن ذلك من(2) المواصلة، واستقبحت أمرك.

(يوماً ما): يوماً(3) من الأيام على القلة والندور وهذه إشارة منه إلى أن الإنسان لا يستمر على حالة واحدة، فليكن من أمره على ثقة في التبقية لنفسه من ذلك.

(ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه): من قصدك في طلب حاجة وظن فيك قضاءها، أو قصدك في عطية، وظن بك غنى، أو غير ذلك من الظنون الحسنة فلا تخيب رجاءه فيما قصد من ذلك، وصدِّق رجاءه في ذلك، ولا تخالفه فيما أمَّل فيك من قضائها.

(ما أقبح القطيعة بعد الصلة!): أي أن القبح فيها يعظم حاله، ولهذا أتى به على جهة التعجب من حاله، لما فيه من زيادة القبح وشناعته(4).

(والجفاء بعد الإخاء): الجفاء: خلاف البر، والإخاء: المودة.

(والعداوة بعد المودة): وإنما عظم القبح لما تقدم قبل ذلك مما ينافيه ويعاكسه، فلهذا ازداد قبحاً؛ لأن العداوة ابتداءً ليس حالها مثل حالها إذا تقدمها(5) مودة وموالاة، فإن ذلك يكون أدخل في القبح لا محالة.

(لا تضيعن حق أخيك): تسقطه وتزيله.

(اتكالاً على ما بينك وبينه): من الإدلال والألفة والصحبة.

(فإنه ليس(6) بأخ لك من ضيعت حقه): يعني أن ذلك كله يبطل ويسقط حكمها ويبطل حقيقتها.

---

(1) له، زيادة في (ب).

(2) في (ب): من ذلك عن المواصلة.

(3) يوماً، سقط من (ب).

(4) في (ب): والشناعة.

(5) في (ب): تقدمتها.

(6) العبارة في (ب): فليس بأخ لك ...إلخ.

(1786/5)

(لا ترغبنَّ فيمن زهد فيك(1) [ولا تزهدنَّ فيمن رغب فيك](2)): لأن رغبتك في زاهد فيك دلالة على هون النفس وركتها، وسقوط حالها، وزهدك فيمن رغب فيك أيضاً نقصان حظ في حقه.

(لا يكن أهلك): قرابتك ومن يختص بك من أهلك.

(أشقى الناس بك): أعظم الناس شقاء بك، يشير إلى حسن المعاشرة لهم والتوسيع في حالهم، والمواساة لهم، فإذا فعلت ذلك كانوا أسعد الناس بك حالاً، وأعظمهم حظاً بك.

(لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على مواصلته(3)): أراد أن أخاك وإن قطعك عن المواصلة وقوي على ذلك، فكن أقوى منه، على خلاف ذلك من المواصلة والقرب، لتكون أفضل منه وأعلى حالاً.

(ولا على(4) الإساءة أقوى منك على الإحسان): وإذا كان قوياً على الإساءة إليك، فكن أقوى منه على الإحسان إليه.

(ولا على البخل أقوى منك على الجود): وإذا كان قوياً على البخل فكن أقوى منه على الجود والتفضل .

(ولا على التقصير أقوى منك على التفضل): وإذا كان قوياً على التقصير في الأحوال كلها، فكن أقوى على الإفضال والإعطاء منه.

(وليس جزاء من سرك أن تسوءه): ليس من خلائق الكرام ولا من خصال أهل الشيم الشريفة؛ أنه إذا صدر من جهة أحد إليك(5) مسرة أن تكافئ صاحبها بمكروه، ولا أن من فعل فعلاً من الإحسان يكون جزاؤه الإساءة إليه.

(لا يكبرنَّ عليك ظلم من ظلمك): أي لا يَعْظُمَنَّ عليك، إما في العفو عنه والصفح، وإما في وقوع الغم فيه.

---

(1) في شرح النهج: ولا ترغبن فيمن زهد عنك.

(2) زيادة في (ب) ما بين المعقوفين.

(3) في شرح النهج والاعتبار: صلته.

(4) في شرح النهج: ولا تكونن على الإساءة ...إلخ.

(5) إليك، زيادة في (ب).

(1787/5)

(فإنما سعى(1) في مضرته): بما يحصل عليه من اللوم من الخلق في الدنيا، والعقوبة من الله تعالى في الآخرة.

(ونفعك): بما يحصل من الثواب على كظم الغيظ عنه أو بالعفو عنه أيضاً، وما يحصل من محمدة الناس لك في ذلك كله.

(الرزق): الذي قدَّره الله لك وحتمه، وجعله بلغةً لك.

(رزقان): نوعان، ووجهان:

(رزق تطلبه): بالاجتهاد في طلبه بحرفة أو سفر، أو عمل أوكدٍّ على أي وجه كان ذلك في إيجاده.

(ورزق يطلبك): يسوقه الله تعالى إليك من غير كد ولا تعب، ولا نصب في ذلك.

(وأنت إن(2) لم تأته أتاك): يعني أن الله تعالى قد قدر وقوعه وحصوله إليك، فأنت وإن لم تأته بالطلب فهوآتٍ إليك لا محالة لا يتخلف عنك.

(والزمان): الذي خلقه الله تعالى مصلحة للعباد ومقداراً لآجالهم.

(يومان: يوم لك): نفعه.

(ويوم عليك): ضره.

(فما كان لك): فيه من المنافع والأرزاق المقدرة لك.

(أتاك على ضعفك): وصلك وإن كنت ضعيفاً عن تناوله وأخذه.

(وما كان عليك): وباله من الهموم، والغموم، والآلام المقدر(3) وصولها إليك.

(لم تقدر على دفعه): إزالته عنك وإبعاده.

(بقوتك): وإن كنت قوياً.

(ما أقبح الخضوع عند الحاجة!): أتى به على قضية التعجب، لما فيه من المبالغة في القبح والشناعة، وهو أن تكون خاضعاً عند حاجتك لغيرك، لا وجه للخضوع سوى الحاجة.

(والجفاء عند الغنى!): أي وما أقبح الجفاء، وهو خلاف البر عند الاستغناء، وأراد أن التذلل إذا كان عند طلب الحاجة، ثم يكون الجفاء بعد الاستغناء، فهذا يكون أقبح ما يكون.

---

(1) في (ب): فإنما يسعى، وفي شرح النهج: فإنه يسعى، وفي الاعتبار: فإنه إنما يسعى.

(2) في (ب): وأنت وإن.

(3) في (ب): المقدرة.

(1788/5)

(ما أقبح المعصية لمن لم يزل(1) بره عندك): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون خاصاً في حق الله تعالى، فإذا كان الله تعالى لا يزال بره واصلاً إلى الخلق في كل ساعة، فمعصية من هذه حاله لها مدخل عظيم في القبح.

وثانيهما: أن يكون عاماً في حق الله تعالى وفي حق غيره، وهو أن كل من كان بره واصلاً إليك على الدوام فمعصيته تعظم لا محالة، سواء كان في حق الله أو حق غيره من المخلوقين.

(إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك): يشير إلى ما(2) في الدنيا فهو فانٍ، ولا بقاء لشيء منها إلا ما كان صلاحاً للآخرة من الأعمال الصالحة، وجميع أنواع البر كلها، والمثوى: موضع الإقامة والثوى.

(إن كنت جازعاً على ما نقل(3) من يديك): يشير إلى أن الجزع كله مذموم، وبيانه أنك لا يخلو جزعك، إما أن يكون على ما هو حاصل في يديك شحاً عليه وبخلاً أن يفوت، أو يكون جزعك على ما نقل من يديك، [فإن كان على ما نقل من يديك](4) من الأموال والأولاد وسائر النفائس:

(فاجزع على كل ما لم يصل إليك): لأنهما سيان في الفوات عن يديك، لا مزية لأحدهما على الآخر في ذلك، وإن كان جزعك على ما هو حاصل في يديك، فهو إساءة ظن بالله تعالى(5) وقلة ثقة بكرمه ومزيد إحسانه، فلا فائدة فيه كما قال.

(استدلل على ما لم يكن بما قد(6) كان): فيه وجوه:

أحدها: أن يكون مراده في الدنيا، وهو أن ما كان من الدنيا فهو زائل فانٍ، فهكذا ما يحصل منها من بعد، يكون حاله هكذا.

---

(1) في (أ): لم لمن يزل، وهو تحريف، وما أثبته من (ب).

(2) في (ب): يشير إلى أن ما ...إلخ.

(3) في (ب) وفي شرح النهج: تقلت.

(4) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(5) تعالى، زيادة في (ب).

(6) قد، سقط من (ب).

(1789/5)

وثانيها(1): أن يريد ذلك في خطوب الدهر وحوادثه، وهي لا تزال حادثة في كل أوان، فافعل فيما يحدث منها من الصبر وكظم الغيظ مثلما فعلت فيما مضى منها.

وثالثها: أن يكون ذلك بالإضافة إلى الله تعالى، وعلى هذا يكون مراده استدلل على لطف الله وحسن رعايته بالخلق بما فعل من ذلك فيما مضى، فهو لا محالة يفعل مثله فيما يستقبل، وهو يحتمل(2) لغير ما ذكرناه من المعاني، ولكنها مندرجة تحت هذا.

(فالأمور أشباه(3)): أي أن الأمور متشابهة يشبه بعضها بعضاً، ويستدل ببعضها على بعض.

(لا تكونن ممن لا ينتفع(4) بالموعظة إلا إذا بالغت في إيلامه): يحث في هذا على أن الإنسان ينتفع بالذكر القليل، وينهى عن أن يكون لا ينتفع إلا بالمبالغة في الإيلام، وكدّ القلوب وجرح الأفئدة

بالزواجر الوعظية، والقوارع الوعيدية.

(فإن العاقل يتعظ بالأدب): أدنى الموعظة وأيسرها وأسهلها.

(والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب): وهذا تعريض بأن من هذه حاله في كونه لا ينتفع إلا بعظيم الموعظة، مشبه(5) للبهائم في أن انقيادها والانتفاع بها لا يكون(6) إلا بالضرب، ومن ينقاد بأسهلها فهو مشبه بالعاقل في ذلك، وبين العاقل والبهيمة من التفاوت بون(7) لا يدرك حده، ولا ينال أمره وقصده.

---

(1) في (ب): وثانيهما.

(2) في (ب): محتمل.

(3) في نسخة: فإن الأمور متشابهة (هامش في ب)، وفي الاعتبار وشرح النهج: فإن الأمور أشباه.

(4) في نسخة: لا تنفعه العظة (هامش في ب)، وكذا في شرح النهج، ونص العبارة في الاعتبار: ولا تكونن ممن لا ينتفع بالعظة إلا بما لزمه فآلمه.

(5) في (ب): يشبه البهائم.

(6) لا يكون، سقط من (أ).

(7) أي بُعْدٌ.

(1790/5)

(اعرف حق من عرفه لك(1)): أراد أن من جملة الإنصاف معرفة الحق لمن اعترف به لك، ولا تلتفت إلى حاله.

(رفيعاً كان أو وضيعاً(2)): سواء كان قدره مرتفعاً أو متضعاً فذاك بمعزل عنه.

(استعد للموت): خذ العدة لوقوعه وهجومه، فإنك لا تدري أي وقت يهجم عليك، وما هذا حاله خليق بإحضار عدته والتأهب لوقوعه.

(اطَّرِحْ عنك واردات الهموم): أزل عن نفسك جميع ما ورد عليك من المهمات كلها.

(بعزائم الصبر): بالجد في الصبر والإعتماد عليه.

(وحسن اليقين): على ما يحصل في ذلك من الأجر والثواب، وتعلق الباء في قوله: بعزائم الصبر تعلق الآلة، كما تقول: كتبت بالقلم، أو تعلق الأحوال أي اطرحها أعني الهموم معتزماً بالصبر.

(من تعدى الحق ضاق مذهبه): أي من خالف الحق ضاق عليه تصرفه في أموره كلها وذهابه فيها، ومنه قولهم: لفلان في الأمور مذهب حسن أي تصرف معجب.

(من اقتصر على قدره كان أبقى له): يعني من قصر نفسه على قدرها كان أبقى لما هو عليه من

الزوال والتغير؛ لأن الجهل بالحال يؤدي إلى ذلك، ولقد أحسن من قال في ذلك:

من طال فوق منتهى بسطته

أعجزه نيل الدنى بَلْهَ القضاء

من لم يقف عند انتهاء قدره

تقاصرت عنه فسيحات الخطاء

فهذا كله يشير إلى ما قلناه من تغير الحال عند جهل الإنسان بقدر نفسه، وسيأتي لأمير المؤمنين فيه كلام بالغ نشرحه في موضعه بمعونة الله تعالى.

---

(1) العبارة في الاعتبار: اعرف الحق لمن عرفه لك.

(2) في (أ): أو ضيعاً، وما أثبته من (ب) ومن الاعتبار..

(1791/5)

(أوثق سبب ما بين الله وبينك(1)): يريد أن الأسباب والوُصَل وإن كانت كثيرة بينك وبين غيرك، لكن أحقها بالوثاق والربط هو السبب الذي بينك وبين الله، لما فيه من محمود العاقبة وجميل السلامة في الدنيا والآخرة، وكيف لا يكون أحق الأسباب بالإيثاق، وفيه صلاح الحال كله، والبغية المقصودة، المعول عليها.

(ليس كل عورة تظهر): أراد أن بعض العورات وإن حسن اطلاع غيرك عليها، فليس هذا حاصلاً في كلها، وإنما يكون ذلك في بعضها دون بعض.

(ولا كل فرصة تصاب): الفرصة: النهزة، وفي الحديث: ((من فتح له باب خير فلينتهزه)) أي يعاجله بالأخذ قبل فواته، فهكذا حال الفرصة ينبغي معاجلتها قبل فواتها، وليس هذا في كل فرصة، فربما ساعد فيها القدر فأخذت، وربما كان الأمر على خلاف ذلك

(فربما(2) أخطأ البصير قصده): أكثر تصرفات البصير على نعت الصواب لموافقة المقادير، وربما خالفت المقادير فأخطأ ما قصده من ذلك.

(وأصاب الأعمى رشده): [وأكثر تصرفات الأعمى لا تجري على قانون الاستقامة، وربما أذعنت المقادير له فأصاب رشده] (3)، وهو ما يطلبه من ذلك.

(أخِّر الشر): يريد تأنَّ فيه ولا تعجل على فعله، فالعجلة إنما تنبغي في أعمال الآخرة، فأما الشر فلا عجلة فيه.
(فإنك إن شئت تعجلته): يريد أنما كان يمكن فعله في كل حالة فلا حاجة به إلى العجلة.
(قطيعة الجاهل): يريد مقاطعته، وعدم الإتصال به.

---

(1) في شرح النهج: وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه.
(2) في (ب): وربما.
(3) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(1792/5)

(تعدل صلة العاقل): يشير إلى أن النفع بمقاطعة الجاهل يساوي ما يحصل من النفع بصلة العاقل؛ لأنه لا يحصل بمواصلة الجاهل إلا ضرر، كما لا يحصل بانتفاء خلطة العاقل إلا نقص، فلهذا كان قطيعة هذا توازي صلة هذا(1).
(نعم حظ المرء القنوع): يشير إلى أن الله تعالى ما رزق المرء من الحظوظ والعطايا أفضل ولا أعظم من القناعة، وسيأتي له في القناعة كلام غير هذا، نورده في موضعه بمشيئة الله.
(شر أخلاق المرء الحسد): يشير إلى أنه لا شر أعظم في الخلائق من الحسد، وحقيقته: أن تريد إزالة نعمة غيرك إليك فتكون لك دونه، فهذا هو الحسد المذموم، وقد أكثر الله من الوعيد على صاحبه، وفي الحديث: ((الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب))(2)، وفي حديث آخر: ((ما ذئبان ضاريان في زريبة أحدكم؛ بأسرع(3) من الحسد في حسنات المؤمن)).

---

(1) في (ب): ذاك.
(2) رواه من حديث عن أنس القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار 489/1 الباب (91)، وعزاه إلى أمالي السمان، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه ابن ماجة، وحسنه السيوطي، وأبو يعلي عن أنس بلفظه. انتهى، وعزاه موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 568/4 إلى سنن ابن ماجة (4210)، والدر المنثور للسيوطي 419/6، والترهيب والترغيب للمنذري 547/3، وإتحاف السادة المتقين294/1، 50/8، 449، وتفسير القرطبي 251/5 وعزاه إلى غيرها.
(3) في (ب): بأسرع فساداً.

(الشح يجلب الملامة): يريد أنه أعظم أسبابها وأقواها، وفي الحديث: ((أخوف ما أخاف على أمتي: شح مطاع، وهوى(1) متبع، وإعجاب المرء بنفسه))(2).

(الصديق من صدق غيبه): أراد أن الصديق حقيقة من كان صادقاً في حال الغيبة، فيكون حاله في حضورك كحاله في حال غيبتك من النصيحة والمواساة والذب عن العرض.

(الهوى شريك العمى): يعني أن العمى في البصيرة كماهو مهلك للإنسان، فهكذا أيضاً الهوى فإنه مشارك للعمى في هلاك المرء باتباعه وإيثاره.

(من التوفيق الوقوف عند الحيرة): التوفيق: هو اللطف الذي يكون معه موافقة رضاء الله تعالى، وسمي(3) توفيقاً من أجل ذلك، ومن حكم هذا اللطف هو التوقف عند التحير في الأمور العظيمة؛ لأن مع الوقوف السلامة، ومع التهور العطب.

(طارد الهمِّ اليقين): يريد أن الهمَّ إذا عرض لك وتراكم فلا طارد له من الأمور شيء سوى اليقين بما قدر الله تعالى(4) لك وعلم أنه لا يفوتك، وأنه لا محيص لك عنه، ومع هذا التحقق لا يبقي للهمِّ وجه أصلاً.

(رب بعيد): يعني أن(5) من الأمور ما يستبعده الإنسان، ويحيِّل وقوعه وحصوله، ومع ذلك فإن المقادير تقضي بوجوده وحصوله وأنه:

(أقرب من قريب): أي أقرب ما يستقربه الإنسان ويظن وقوعه.

(الغريب): على الحقيقة.

(من ليس له حبيب): يوده، ويحنو عليه ويتعطف دون غيره من سائر الغرباء، فمن ليس حاله هذه [فليس بغريب](6).

---

(1) في (أ): أو هوى.

(2) أورد قوله: ((أخوف ما أخاف على أمتي شح مطاع)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 186/1 وعزاه إلى كنز العمال برقم (43863).

(3) في (ب): ويسمى.

(4) تعالى، زيادة في (ب).

(5) أن، سقط من (ب).

(6) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(أوثق العرى التقوى): يريد أن سائر العرى منقطعة بصاحبها إلا عروة التقوى، فإنه لا انقطاع لها ولا انفصام.

(من أعتبك): أي أرضاك من نفسه، وأعتبت فلاناً إذا أرضيته.

(فهو منك): أي موافق لك على ما أنت فيه، أو راعي لحقك منصف لك في إعطائك ما تستحق.

(من لم يبالك): يحتفل بأمرك ولا يطول بحالك، ولا يرعيك طرفاً.

(فهو عدوك): لأن هذه حالة العدو وحكمه.

(قطيعة الجاهل): قطع الوصل بينك وبينه، وسائر الأسباب.

(مصلحة): إصلاح(1) لحالك ومراعاة لجانبك، إذ لا خير في مواصلته.

(بر الوالدين): بجميع أنواع البر من المعروف، وإسداء الخير إليهما وإنصافهما بكل ممكن تجده.

(كرم): أي من كرم النفوس وجودتها.

(المخافة): يعني الخوف من عدو أو لصٍّ أو سَبُعٍ أو غير ذلك من أنواع المخافات كلها:

(شر لحاف(2)): أقبح ما تردَّى به الإنسان والأم للقلب من كل شيء؛ لأن مع الخوف تتغير أكثر الحالات، وتضيق فرائص الإنسان ويشذُّ نومه، ولهذا قال الله تعالى: {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ}[النحل:112]، مبالغة في عظم ما أصابها ونالها من ذلك.

(لا خير في لذة): أراد لا فائدة ولا جدوى في لذة.

(تعقب ندماً): لأن ما يحصل بعدها من الندم يوفي ويزيد على ما يحصل منها من اللذة ويربي على ذلك.

(العاقل): أراد العاقل حقيقة.

(من وعظته التجارب): التجربة هي: خبرة الأمور والدرية بأحوالها حتى صار عارفاً ماهراً فيها، فمن هذه حاله فهو العاقل دون غيره.

(رسولك): بأي رسالة كانت وإلى أي رجل كان.

---

(1) في (ب): أصلح.

(2) في (ب): شر يخاف.

(تَرْجُمانُ عقلك): الترجمان هو: الذي يفسر كلامك ويظهر معناه بلغة أخرى، وأراد أن الرسول هو الذي يُعَبِّرُ عن عقلك ويظهر مقصودك، ويبين عن(1) غرضك، فاختر من شئت يكون رسولاً لك، فهذه حاله.

(ليس مع الاختلاف ائتلاف): يعني أن كل ما وقع فيه مخالفة وتفرق كلمة وتشتت آراء، فلا وجه للموافقة فيه بحال.

(ينبئ عن كل امرئ دخيلته): الدخيل والدُّخْلُلُ هو: الذي يختص بالإنسان ويداخله في أموره كلها، وأراد أن كل من يختص بالإنسان فهو دليل عليه من جودة ورداءة.

(رب باعث عن حتفه): الحتف: الموت، وأراد رب من يبعث الموت على نفسه ويجره عليها، وترى(2) هذا كثيراً، ومنه قولهم: فلان باعث عن حتفه بظلفه.

(رب هزل عاد جدّاً): من الطلاق والحرية(3) وغير ذلك من الأمور؛ لأنه ربما وقع في أول الأمر أحاديث ليس لها وقع، ثم كان عاقبة الأمر الجد في ذلك وبلوغ غايته.

(من أمن الزمان خانه): يعني أن طبع الدهر هو الخيانة، فهو لا يزول عن طبعه وما هو من مقتضى ذاته، فإذا أمنه أحد فهو يرجع إلى طبعه الأول في المكر والخديعة والخيانة.

(من(4) تعظَّم عليه أهانه): يعني من صاوله ولم يجنح له أذله وصرعه لجنبه.

(ليس كل من رمى أصاب): جعل هذا كناية، وأراد به أن كل من توصل بسبب إلى غرض من الأغراض فليس يكاد يناله، وربما عرض دونه عارض فحال بينه وبينه.

(إذا تغيَّر السلطان): في العدل والقيام بالأمر، وإنصاف كل ذي حق حقه.

---

(1) عن، سقط من (ب).

(2) في (ب): ويرى.

(3) في (أ): والحرب.

(4) في الاعتبار: ومن، والعبارة في شرح النهج: ومن أعظمه أهانه.

(تغيَّر الزمان): إما بفساد الرعية من جهة أنفسهم لما يلحقهم في ذلك من الضرر، وإما بتغير من جهة الله تعالى يسلطه الله عليهم، وفي الحديث: ((خمس بخمس)) قيل: يا رسول الله، وما خمس بخمس؟ فقال: ((ما نقض قوم العهد إلا سلَّط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس [الله](1) عنهم القطر))(2). وإذا كان الأمر هكذا

فلا يمتنع مع تغير الزمان أن يصيبهم الله بشيء من البلاوي عند تغير السلطان.

(خير أهلك من كفاك): أراد إما من كفاك نفسه فلم تشتغل به، وإما أن يريد من كفاك بعض أمورك وأعانك بها.

(اعتذر(3) من اجتهد): أراد أن كل من اعتذر إليك فقد بالغ في الاجتهاد في زوال العتب عنه، أو من اعتذر عن الإساءة فقد(4) بالغ في الاجتهاد في محو الذنب.

___

(1) الله، زيادة في (ب).

(2) رواه العلامة الزمخشري رحمه الله في الكشاف 719/4، ورواه القاضي العلامة الحسين بن ناصر المهلا رحمه الله في مطمح الآمال ص415 وعزاه إلى الطبراني عن ابن عباس عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم قال:.. وذكر الحديث، وهو فيه مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه، وعزاه المحقق في الهامش إلى الطبراني في الكبير 10992/1، والمتقي الهندي في منتخبه 436/6.

(3) في نسخة: أعذر، (هامش في ب)، وكذا في الاعتبار.

(4) في (أ): قد.

(1797/5)

(رأس الدين): أعلاه وأكمله، كما قال عليه السلام: ((رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس))(1).

(صحة اليقين): الإيقان بالله، والقطع بوجوده، والتصديق بما جاءت به رسله.

(تمام الإخلاص): في العبادة لله تعالى والوفاء بحقه.

(تجنب المعاصي): البعد عنها ومجانبتها، فلا إخلاص لله فيما عمل لوجهه مع فعل المعاصي وارتكاب المناهي.

(خير المقال): أجوده عند الله، وأعلاه حالة عنده.

(ما صدَّقه الفعال): يريد ما كان مطابقاً له، فمن قال قولاً ثم صدقه فعله فذلك القول هو أنفس الأقوال وأعلاها وخيرها.

(السلامة مع الاستقامة): أراد أن الدين مهما كان راسخاً في النفس فالاستقامة حاصلة، ومهما كانت الاستقامة موجودة فالسلامة عن(2) الأخطار كلها موجودة أيضاً، ومع الاضطراب حصول الفشل والتغير في الحال، ولا سلامة مع ذلك، ولما نزل قوله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}[هود:112]، شق ذلك على الرسول عليه السلام (3)لما فيه من الصعوبة(4).

(1) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 76/5 إلى الدر المنثور للسيوطي 256/3، ومصنف ابن أبي شيبة 361/8، وقضاء الحوائج لابن أبي الدنيا 17، وتهذيب تأريخ دمشق لابن عساكر 301/2، والضعفاء للعقيلي 244/2.

(2) في (ب): من.

(3) في (ب): صلى الله عليه وآله وسلم.

(4) قال العلامة المفسر الزمخشري رحمه الله في الكشاف 407/2-408 في تفسير قوله تعالى: {فاستقم كما أمرت} قال ما لفظه: وعن ابن عباس: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية. ولهذا قال: ((شيبتني هود والواقعة وأخواتهما))، وروي أن أصحابه قالوا له: لقد أسرع فيك الشيب، فقال: ((شيبتني هود)).

(1798/5)

(الدعاء مفتاح الرحمة): يريد اللطف من الله للخلق، ولولا أنه مفتاح الرحمة لما أمر الله به عباده حتى قال: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[غافر:60]، وندبهم إلى ذلك وحثهم عليه حتى قال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَإِنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}[البقرة:186]، وفي الحديث: ((الدعاء يرد القضاء))(1)، وفي حديث آخر: ((الدعاء سلاح المؤمن))(2) شبهه بالسلاح؛ لأنه يصاول به كل من غالبه، ومن آدابه تربص الأوقات الشريفة، واستقبال القبلة، وأن يكون على وضوء وخفض الصوت، والتضرع والإيقان بالإجابة، وافتتاح الدعاء بذكر الله والصلاة على الرسول(3).

(1) أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص336 رقم (352) بسنده عن علي عليه السلام واللفظ في أوله: ((إن الدعاء يرد القضاء ...)) الحديث، وهو باللفظ الذي أورده المؤلف هنا في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 39/5 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين30/5، وكنز العمال رقم (3118)، والترهيب والترغيب للمنذري 596/3، وكشف الخفاء486/1.

(2) أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام في المجموع ص114 برقم (151) بسنده عن علي عليه السلام، والحديث بلفظ: ((الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، وزين ما بين السماوات والأرض)) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص337 رقم (354) بسنده عن علي عليه السلام. وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 38/5.

(3) في (ب): على رسول الله. وعن آداب الدعاء، انظر كتاب رضاء الرحمن في الذكر والدعاء

وتلاوة القرآن 60-71 للسيد العلامة المجتهد علي بن محمد العجري رحمه الله تعالى، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد 6/196-198.

(1799/5)

(سل عن الرفيق قبل الطريق): يعني إذا سافرت سفراً فاسأل أولاً عمن يرافقك فيها قبل سلوكها، فإن الرفيق لا بد منه في الطريق، وفي الحديث: ((الواحد شيطان، والاثنان شيطانان، والثلاثة رفقة))(1).

(والجار قبل الدار): وسل عن جيرانك قبل الشروع في شرائها، فإن كانوا صالحين وإلا فلا.

(احتمل ممن أدل عليك): فإن إدلاله عليك لأحد أمرين:

أما أولاً: فلما يظنه من سعة الخلق، ولين الجانب.

وأما ثانياً: فلما يعهد من كرم النفس وشرف الطبع، وكل هذه الأمور موجبة للاحتمال في الإدلال.

(واقبل عذر من اعتذر إليك): لأن اعتذاره عما فرط منه دلالة على ندمه على ذلك، وفي الحديث: ((من لم يقبل العذر لم يرد عليَّ الحوض))(2).

(أطع أخاك وإن عصاك): لأن في ذلك دلالة على حسن الشمائل، وشرف الخلائق، وهذا كله في الطاعة التي لاخلل على الدين بها(3).

---

(1) أخرجه الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام 2/554 بلاغاً ولفظ آخره فيه: ((الثلاثة جماعة))، وأورد بعضه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 10/483 وهو قوله: ((الواحد شيطان، والاثنان شيطانان)) وعزاه إلى صحيح ابن خزيمة2570، ومصنف ابن أبي شيبة 12/522، والترغيب والترهيب للمنذري 4/71، وكنز العمال برقم (17571).

(2) الحديث بلفظ: ((من لم يقبل العذر من محق أو مبطل لا ورد عليَّ الحوض)) أخرجه الإمام الهادي إلى الحق في الأحكام 2/545 بلاغاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص459 برقم (606) بسنده عن عليعليه السلام، والحديث بلفظ: ((من اعتذر إليه فلم يقبل لم يرد عليَّ الحوض)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 8/106 وعزاه إلى مجمع الزوائد للهيثمي 8/81.

(3) في (ب): فيها.

(1800/5)

(خذ العفو من الناس): يعني ما سمحت به أنفسهم من غير إكراه لهم على ما يشق ويكره، وهو من محاسن الشمائل، ولهذا أمر الله به نبيه حيث قال: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف:199].

(إياك أن تذكر من الكلام قذراً): القذر: ما تستقذره النفس من هذه العقوبات، والقذر: الكلام الفاحش، وإنما حذر عن ذكره؛ لأن في ذكره ولوع اللسان به، وفيه أيضاً سقوط الحالة وركة النفس وهونها، والقياس هاهنا، ورود الواو في أن، وأن يقال: إياك وأن، كما مر في مواضع من كلامه، ولكن الواو حذفت عن أن ها هنا لما كان التقدير فيه: إياك عن أن تذكر أو من أن تذكر، وطرح حرف الجر يكثر في أن المخففة والثقيلة.

(وأن تكون مضحكاً): أراد وإياك أن تكون مضحكاً لجلسائك أو للناس لما في ذلك من ركة الهمة وسخف الطبيعة، وفي الحديث: ((إن الرجل ليتكلم(1) بالكلمة ليضحك بها جلساءه فيهوى بها من الثريا إلى الثرى)).

(وإن حكيت ذلك من غيرك): فإنه لا خير(2) فيه أيضاً؛ لأن يجري على لسانك لا محالة.

(عوِّد نفسك السماح): يعني إن كان السماح غريزة من الله فهي خصلة محمودة، وإن لم تكن غريزة فتعودها فإنها تأتي بكل خير، وفي الحديث: ((السخي قريب من الله، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار))(3).

---

(1) في (ب): يتكلم.

(2) العبارة في (ب): فلا خير فيه أيضاً.

(3) هو من حديث عن أبي هريرة رواه القاضي العلامة الحسين بن ناصر المهلا في مطمح الآمال ص87، وعزاه إلى الترمذي.

(1801/5)

(تخيَّر من كل خلق أحسنه): معناه تبصَّر الخلائق كلها، فما رأيته يزينك فخذه واعمل عليه، كما قال تعالى: {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}[الأعراف:145]، وقال تعالى(1): {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}[الزمر:18]، فالأحسن(2) من كل شيء هو: أفضله وأعلاه.

(فإن الخير عادة): يريد أن فعل الخير على حسب ما تعوده الإنسان فإن تعود خيراً فعله، وإن تعود شراً فعله.

(إياك ومشاورة النساء): في أمورك في الدين والدنيا واقتباس الرأي منهنَّ في ذلك، فحذره من ذلك.

(فإن رأيهنَّ إلى أَفْنٍ): الأفن: مصدر قولك أفنه الله أفناً بسكون العين، والاسم منه: الأفَن(3) بتحريك

العين، والأفن: ضعف الرأي والعقل جميعاً، ورجل مأفون أي ضعيف.

(وعزمهنَّ إلى وهن): الوهن: الضعف أيضاً، وأراد وما عزمن عليه فهو يؤول إلى الضعف والهوان.

(اكفف أبصارهنَّ بحجابك إياهنَّ(4)): يشير إلى أن أبصارهنَّ طوامح، ولا يكف أبصارهنَّ مثل الحجاب لهنَّ، فإن فيه خلاصاً عن تشوف أبصارهنَّ.

(فشدة الحجاب خير من الارتياب(5)): يعني فما يلحقهنَّ من الغم بشدة الحجاب خير من لحوق الريبة، وهي الخوف عليهنَّ من الفتنة وركوب الفاحشة.

---

(1) تعالى، زيادة في (ب).

(2) في (ب): والأحسن.

(3) في (ب): أفن.

(4) في الاعتبار وشرح النهج: واكفف عليهن من أبصارهن ...إلخ.

(5) في شرح النهج: فإن شدة الحجاب أبقى عليهن، وفي الاعتبار: فإن شدة الحجاب خير لهن من الارتياب.

(1802/5)

(وليس خروجهنَّ بأضر من دخول من لا تأمنه(1) عليهنَّ): يشير بذلك إلى مصلحة الحجاب لهن، يعني فإذا كنت لا ترضى دخول أحد عليهنَّ لأجل الريبة، فهكذا حالهنَّ في الخروج أيضاً من غير تفرقة بينهما.

(فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل): لأن معرفتهنَّ بحال غيرك آنس به ولا حاجة إلى ذاك(2)، وكل هذا تبعيد عن الريبة، وتحرز في النزاهة، ومواظبة على الشهامة ومبالغة في الغيرة.

(ولا تُمَلِّكِ المرأة من أمرها ما جاوز نفسها): لأنها إذا مُلِّكت أمراً آخر فإنه يجرُّ إلى التسلط والشطارة، وهو خلاف ما هي مأمورة به من الستر والوقوف في قعر البيوت(3)، ومهما كانت لا تملك إلا ما يتعلق بإصلاح حالها في نفسها لا غير كان أقرب إلى الخِفارة(4) والستر عليها.

(المرأة ريحانة): يشير إلى أنها بمنزلة الريحانة المشمومة، فيجب أن تقتصر على التمتع بها، ولا تكون متمكنة من خلاف ذلك من أمر ولا نهي ولا تصرف في الأمور.

(وليست بِقَهْرَمَانَة): الْقَهْرَمَانُ: فارسي معرب، وهو الذي يملك التصرف في الأمور بالإيراد والإصدار عن رأيه.

---

(1) في الاعتبار: لا يوثق به.

(2) في (ب): ذلك.

(3) في (ب): بيتها.

(4) أي حفظها من الفساد، من الخِفارة بالكسر في النخل وهو حفظه من الفساد، هذا إذا كانت الخاء مكسورة، فإن كانت مفتوحة أي: الخَفارة، فهي من الخَفر، وهو شدة الحياء، ومن معاني الخفر أيضاً: المنع والحماية والاستجارة. (وانظر القاموس المحيط ص494، ومختار الصحاح ص182)، وفي (ب): الختارة، فلعله من قولهم: خثرت نفسه كفرح أي استحيا، وخثر الرجل أي أقام في الحي ولم يخرج مع القوم إلى الميرة –أي الطعام-. (انظر القاموس المحيط ص490).

(1803/5)

(لا تَعْدُ بكرامتها نفسها): يعني احجرها عن أن تكون متكرمة على غيرها، وأقصر كرامتها على نفسها؛ لأن قصر كرامتها على نفسها فيه السلامة، وتعدي الكرامة فيه الريبة.

(ولا تطمعها أن تشفع لغيرها): أي لا تكون طامعة في هذا منك؛ لأنه يكون فيه تشجيع لها على غير هذا واعتقاد أمر في نفسها.

(إياك والتغاير في غير موضع غَيْرَةٍ): الغيرة: الأنفة، وهي مصدر غار الرجل على أهله غيرة، وأراد التحذير عن وضع ذلك في غير موضعه، وهو أن يأنف في غير موضع الأنفة(1).

ثم علل(2) ذلك بقوله:

(فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم، والبريئة إلى الريب): لأن المرأة إذا رأت الرجل يأنف من(3) غير موضع الأنفة كان ذلك جرأة لها على اقتحام الريبة، ظناً منها وعملاً على أنه إنما ينكر ما لا ريبة فيه، ويترك ما فيه الريبة.

سؤال؛ أفليس إذا كان ينكر(4) ما لا ريبة فيه، ويغار في غير موضع الغيرة(5)، فغيرته في موضع الغيرة أحق، وإنكاره لما فيه الريبة أولى، فمن أين تكون الجرأة في ذلك والحال هذه؟

وجوابه؛ هو أن التغاير في غير موضعه جهل منه، وتوهمها لترك الإنكار لما فيه غيرة جهل منها أيضاً، فلا يؤمن أن يتولد هذا من ذاك.

---

(1) في (أ): للأنفة.

(2) في (ب): وعلل.

(3) في (ب): في.

(4) في (ب): منكراً.

(5) في (ب): الريبة.

(أقلل الغضب): لأن مع قلة الغضب فالإنسان مالك لأمره كله، ومع كثرته لا يملك أمره، وفي ذلك حصول الفساد وتغير الأحوال كلها، وفي الحديث: ((الغضب توقد(1) في فؤاد ابن آدم من النار))(2) وفي حديث آخر: ((أقرب ما يكون الشيطان إلى ابن آدم في حال غضبه)).

(ولا تكثر العتاب في غير ذنب): لأن فيه إيحاراً(3) للصدور ووقعاً في النفوس حرجاً وضيقاً، ويحرك أموراً ساكنة.

(أحسن للمماليك(4) الأدب): أي ليكن الأدب لهم مقدراً بمقدار محكم لا يزيد فيفسد، ولا ينقص فيكون سبباً للجرأة على التهاون في الخدمة، وعلى الإقدام على ما نهوا عنه.

(وأحسن العفو عنهم إذا أجرموا مع العذل): يريد أن حسن العفو أنجع في الانكفاف إذا صاحبته الملامة لهم على ما فعلوه، وارتكبوه من الجرم؛ لأنهم يتوقعون ماهو أشد من ذلك وأعظم منه، فلا تجاوز ما ذكرته في حقهم.

(فإنه أشد من الضرب): أبلغ منه وأنفع؛ لأنهم لا يتوقعون حالة بعده.

(لمن كان له قلب): فطانة وفهم منهم، فأما من كان منهم على خلاف ذلك فقد جاوز الحد.

(وخف القصاص): في ضربهم من غير جرم وعلى غير ذنب.

(حيث(5) لا مناص): مخلص وهو يوم القيامة.

سؤال؛ كيف قال هاهنا: وخف القصاص، ولا قصاص بين الحر والعبد، ولا بين السيد وعبده؟

---

(1) في (ب): موقد.

(2) له شاهد أخرجه من حديث الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص557 رقم (781) بسنده عن الإمام علي عليه السلام واللفظ فيه: ((واتقوا الغضب فإنه جمرة تتوقد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه، فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليذكر الله سبحانه وتعالى))، وانظر مسند شمس الأخبار 481/1 الباب (89).

(3) في (ب): إيغاراً.

(4) في الاعتبار: لمماليكك.

(5) في نسخة: حين (هامش في ب).

وجوابه: هو أن الغرض المقاصة في الآلام والأعواض بينهما، والشرع إنما أباح إيلامهم على ترك الخدمة والاهتمام بأمر السادة في ذلك، فأما إذا كان الأمر في الإيلام من غير جرم ولا تسهيل في الخدمة فالقصاص كائن لا محالة، والانتصاف واقع إذ لا وجه في ذلك.

(واجعل لكل امرئ منهم عملاً يأخذ به): وضف بكل(1) واحد منهم عملاً تكون عهدته عليه(2)، ويكون أمره مفوضاً إليه.

(فإنه أحرى أن لا يتواكلوا): يريد أن ذلك أقرب إلى أن كل واحد منهم لا يكل عمله إلى صاحبه، ويقول: هو يعمله دوني.

(في خدمتك): التي أردتهم من أجلها.

(أكرم عشيرتك): أقاربك الذين يلصقون بك وتعتزي إليهم.

(فإنهم جناحك الذي به تطير): استعارة رشيقة، يشير بذلك إلى أنهم بمنزلة جناح الطير(3) الذي به يملك التصرف لنفسه في جميع أحواله.

(وأصلك الذي إليه تصير): من حيث كان استنادك إليهم، واعتمادك في الأمور كلها عليهم.

(فإنك بهم تصول): الصولة: القهر والغلبة، وأراد أنك تقهر بهم كل أحد.

(وبهم تطول): إما من الطَّوْلِ وهو: الكرم، فإن كرامتك إنما كانت بهم، وإما من الطُّول وهو: نقيض القصر، فإن علّوه على غيره إنما هو من أجلهم، ولهذا ترى كثيراً من الشعراء ما يفتخر(4) إلا بعشيرته وأهله في أكبر مفاخره، ولهذا قال بعضهم:

ولو أن قوماً لارتفاع قبيلة

دخلوا السماء دخلتها لا أحجبُ

(وهم العدة): للشر والمكافحة للأعداء.

(عند الشدة): مواضع الشدائد والعظائم.

(أكرم كريمهم): اعترف له بالفضل، وارفع حاله وشرف أمره.

(وعد سقيمهم) في مرضه، وأظهر(5) الشفقة عليه.

---

(1) في (ب): لكل.

(2) في (ب): إليه.

(3) في (ب): الطائر.

(4) في (أ): ما يفخر.

(5) في (ب): وأكثر.

(وأشركهم في أمرك وأمرهم): يشير إلى إيناسهم بالمشاورة في الأمر والمشاركة لهم في ذلك لما يكون فيه من تقرير خواطرهم وتأنيسهم وانجذاب خواطرهم وإعظام أمرهم.

فهذا(1) تمام هذه الوصية.

وفي نسخة أخرى تكرير من قوله: (واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك إلى آخرها): وليس فيها مخالفة لما سبق إلا في قوله:

(من ترك القصد جار): أي من ترك الطريق المستقيم مال عن الحق وعدل.

وقوله: (قد يكون اليأس إدراكاً): للمقصود والبغية؛ لما فيه من سلامة الدين.

(إذا كان الطمع إهلاكاً): أراد إما مهلكاً للخلق، وإما ذا إهلاك لهم، وما عداه مذكور فيما أوردناه من هذه الوصية فلا فائدة في تكريره.

ثم قال في آخرها: (واستعن بالله على أمرك كله): اطلب من جهته الإعانة، واللطف بك في كل أحوالك.

(فإنه أكرم معين): أعظم من يسمح بالإعانة، وأولاه بذلك.

(واستودع الله دينك ودنياك): أطلب منه أن يحفظ عليك دينك، وأمورك في الدنيا.

(وأسأله خير القضاء لك): أن يقضي لك بكل خير.

(في العاجلة): فيما تتعجله.

(والآجلة): وما يتأجل فيه.

(والدنيا والآخرة): وأسأله أن يصلحك في الدارين جميعاً.

(إنه قريب): لمن دعاه.

(مجيب): لمن ناداه.

(فعال لما يريد): من ذلك كله.

ثم أقول: لولا أن القرآن قد سبق بالإحاطة بالمصالح الدينية والأسرار الربانية، والحكم الأدبية والزواجر الوعظية، والقوارع الوعيدية، والأوامر المؤكدة، والنواهي المشددة، لكانت هذه الوصية هي الجامعة لهذه الأسرار؛ لاشتمالها على مثل ما ذكرناه، فكتاب الله سابق بذلك، وهي تلوه.

(32) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

---

(1) في (ب): هذا تمام الوصية.

(وأرديت جيلاً من الناس): أرداه إذا جعله بصدد الردى، كما يقال: أقبره إذا جعل له قبراً، والجيل: الكثير من الناس، وغرضه أنك أوقعتهم في الردى، وأوردتهم المهالك.

(كثيراً، خدعتهم بغيِّك): الغيُّ: خلاف الرشد، وأراد بأمانيك وخدائعك وتسويفاتك ومواعيدك الكاذبة لهم في ذلك.

(وألقيتهم في بحر موجك(1)): استعار ذلك لما هم عليه من اضطراب الأمر، وتراكم الإزعاج والفشل.

(تغشاهم الظلمات): العمايات من كل جانب.

(وتتلاطم بهم الشبهات): لما استعار في حقهم الموج والبحر أردفه بما يليق به، فعقَّب ذكر البحر بغشيان الظلمات لكثرة سواده، وعقَّب ذكر الموج بتلاطم الشبهات لغلبة اضطرابه، ويسمى توشيح الاستعارة، وقد ذكر فيه لمعاً وفصوصاً في كلامه، ونبهنا عليها في مواضعها.

(فجاروا عن وجهتهم): الوجهة: الطريقة، قال تعالى: {وَلِكُلّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلّيهَا}[البقرة:148]، أي طريقاً، فجاروا إن روي بالجيم فالغرض(2) أنهم عدلوا عن طريقهم التي أوضحت لهم، وإن روي بالحاء(3) فالمراد أنهم وقفوا من أجل التحير عن سلوكها.

(ونكصوا على أعقابهم): النكوص: هو الرجوع، وأراد أنهم رجعوا عن الدين إلى خلافه، وتركوه وراء ظهورهم.

(وتولوا على أدبارهم): عن متابعة الحق وملازمته.

(وعولوا على أحسابهم): أراد أنهم اعتمدوا على حفظ مفاخر آبائهم في الجاهلية، فهذه حال من اتبعك من هؤلاء.

---

(1) في شرح النهج: في موج بحرك.

(2) في (ب): والغرض.

(3) أي: فحاروا.

(إلا من فاء من أهل البصائر) الاستثناء من قوله(1): أرديت جيلاً من الناس، هذه صفتهم، إلا من رجع من أهل العلم، ونفذت بصيرته، والفيء هو: الرجوع، يشير بذلك إلى انقياد أهل الجهل(2)

لمعاوية؛ لأجل(3) خدعه لهم ومكره بهم، ويشير إلى أن ناساً رجعوا عما هو عليه بتدارك الله تعالى لهم، وإنقاذه لهم عن وُرَطِ(4) العمى، ومن أجل استبصارهم وعلمهم بمعرفة حاله.

(فإنهم فارقوك بعد معرفتك): بأنك خارج عن الدين، ناكص على عقبك.

(وهربوا إلى الله من موازرتك): الموازرة: المعاضدة والمعاونة، وجعل فيئهم عنه هرباً إلى الله، تنبيهاً على أنه مُنْكِبٌ عن الطريق المستقيم، مستمر على المخالفة لله.

(إذ حملتهم على الصعب): إذ هذه معمولة لقوله: فارقوك وقت حملك لهم على الأمور العسيرة.

(وعدلت بهم عن القصد): ملت بهم عن الطريق المستقيمة، والقصد: هو العدل، أي الطريق ذات العدل والاستقامة.

(فاتق الله يا معاوية): مبالغة في النصح، وملاطفة في الفيء إلى الحق.

(في نفسك): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون الجار متعلقاً بقوله: اتق الله، ويكون معناه راقبه في نفسك أن تهلكها، وتوقعها في المكاره.

وثانيهما: أن يكون متعلقاً بمحذوف تقديره: فاتق الله، واجتهد في إصلاح نفسك.

(وجاذب الشيطان قيادك): القياد: الحبل الذي تقاد به الدابة، وأراد أنك لا تسلط الشيطان عليك ونازعه قيادك، واجذبه إليك كيلا يقودك به ويملكه عليك.

(فإن الدنيا منقطعة عنك): ذاهبة عن يدك.

(والآخرة قريبة منك): لأنك سائر إليها.

وما أحسن ما ختم به هذا الكلام من قوله في انقطاع الدنيا وقرب الآخرة، وما أوقع معناه.

---

(1) في (أ): قولك.

(2) في (ب): الخمل.

(3) في (ب): من أجل.

(4) في (ب): ورطة.

(1809/5)

---

(33) ومن كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس(1) وهو عامله على مكة

قثم: اسم معدول عن قاثم، واشتقاقه من قولهم: قثم له من المال إذا أعطاه عطية جيدة، ويقال للرجل إذا كان كثير العطاء: مائح قثم(2)، قال الشاعر:

ماح البلاد لنا في أوليّتنا

على حشود الأعادي مائح قُثَمُ(3)

(أمابعد، فإن عيني بالمغرب كتب إلي): عين الإمام: هوالرجل الذي يستعمله؛ لأن يرفع إليه أعلام الأقطار والأقاليم وأخبارها.

(يعلمني أنه وُجِّهَ إلى الموسم): يعني مكة.

(أناس من أهل الشام): من أصحاب معاوية.

(العمي القلوب): الذين أعمى الله قلوبهم عن بصر الحق ورؤيته.

(الصم الأسماع): الذين أصم الله أسماعهم عن سماع الحق وإدراكه.

(الْكُمْهِ الأبصار): الذين لا أعين لهم في الحقيقة فيدركون بها الحق ويرونه.

---

(1) هو قثم بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي المتوفى سنة57هـ، أمير، أدرك صدر الإسلام، ومر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحمله، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قال ابن عبد البر: وروى عبد الله بن عباس، قال: كان قثم آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه، إلى أن قال: وكان قثم والياً لعلي عليه السلام على مكة. انتهى. استشهد قثم بسمرقند، وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس له عقب. (انظر الأعلام 190/5، وشرح النهج لابن أبي الحديد 140/16).

(2) أي غرّاف.

(3) البيت أورده الزمخشري في أساس البلاغة صـ355، بدون نسبة إلى قائله، وابن منظور في لسان العرب 22/3 بدون نسبة لقائله أيضاً، وقوله هنا: حشود، في لسان العرب: حسود، وفي أساس البلاغة كما أورده المؤلف هنا..

(1810/5)

(الذين يلتمسون(1) الحق بالباطل): إن كانت الراوية: يلتمسون فالمراد به يطلبون الحق بزعمهم بالتعلق بالباطل، يشير بهذا إلى خلافهم عليه ظناً منهم أنهم فيه على حق، وإن كانت الرواية: (يلبسون) فالمراد منه يخلطون الحق بالباطل، حتى لا يتميز حقهم من باطلهم.

(ويطيعون المخلوق في معصية الخالق): يشير إلى انقيادهم لمعاوية، وأمره مخالف لأمر الله من حيث كان متعدٍ بالحدود بالخدع والمكر وإعمال الحيل.

(ويحتلبون الدنيا درها): أي لبنها.

(بالدين): بما يظهرونه من التمسك بالدين وإظهار الحق والعمل عليه.

(ويشترون عاجلها): ما يحضر منها ويتعجلون حصوله.

(بآجل الأبرار المتقين): بما يكون مؤجلاً في الدار الآخرة للأبرار أهل التقوى والصلاح، وهو الثواب العظيم والدرجات العالية عند الله تعالى، فهذه الأماني كاذبة والتسويفات باطلة لا محالة.

(ولن يفوز بالخير إلا عامله): الذي كدَّ نفسه في تحصيله، وأبلى جسمه لله تعالى، وجدَّ في اجتهاده.

(ولا يُجْزَى جزاء الشر إلا فاعله): من مضاعفة العقاب والإهانة من جهة الله تعالى(2)، كما قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه}[الزلزلة:7-8]، وقوله تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ}[النساء:123]، وغير ذلك.

(فأقم على ما في يديك): أراد إما استقم على ما تحت يديك من الولايات والاجتهاد في تحصيل الخراجات المفوضة إليك، وإما اثبت على ما أمرت به من الطاعة لله تعالى(3) ولإمامك فيما وليت عليه مما في يدك.

(قيام الحازم): في أموره.

---

(1) في شرح النهج: يلبسون.

(2) تعالى، زيادة في (ب).

(3) تعالى، زيادة في (ب).

(1811/5)

(الصليب(1)): في ذات الله تعالى وفي دينه.

(والناصح): الذي لايعتريه الغدر والخيانة في عمالاته كلها.

(اللبيب): العاقل لأمر الله وخطابه.

(والتابع لسلطانه): في جميع أوامره كلها من غير مخالفة منه في شيء منها.

(المطيع لإمامه): الفاعل لما يريده منه(2).

سؤال؛ هل من تفرقة بين الإمام والسلطان كما ذكره هاهنا؟

وجوابه؛ أما من جهة الشرع فلا فرق بينهما، فإن سلطان الإسلام هو الإمام، وهو المراد بقوله عليه السلام: ((السلطان ظل الله في الأرض))(3)، وفي حديث آخر: ((السلطان ولي من لا ولي له(4))) وغرضه في هذه الأحكام هو الإمام، وأما العرف فظاهر، فإن السلطان يطلق على من له ولاية الحق وعلى(5) غير ذلك، ولهذا يقال: سلاطين الجور وأمراءوه، وقد أشار إلى التفرقة بينهما بقوله: التابع لسلطانه؛ لأن المتابعة قد تكون على الحق وعلى غير الحق، المطيع لإمامه لأن الطاعة أغلب

أحوالها تستعمل في الحق.

---

(1) في شرح النهج: الطبيب.

(2) منه، سقط من (ب).

(3) ورد بلفظ: ((إن السلطان ظل الله في الأرض)) أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص413 رقم (510) بسنده عن كثير بن مرة، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 274/5، 84./3

(4) في نسخة: لها، (هامش في ب)، والحديث أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 274/5 وعزاه إلى مصادر عدة منها سنن أبي داود في النكاح ب(20)، وسنن الترمذي (1102)، وسنن ابن ماجة(1879) و(1880)، ومسند أحمد بن حنبل250/1، 47/6، 270، وسنن الدارمي 137/2، والسنن الكبرى للبيهقي 106/7، 148/10 وغيرها.

(5) على، سقط من (ب).

(1812/5)

(وإياك وما يعتذر منه): احذر(1) من كل أمر يفتقر إلى الاعتذار؛ لأن ما هذا حاله فهو متفق على قبحه، ولهذا فإنه مفتقر إلى الاعتذار، ولو كان حسناً ما افتقر إليه، وهذا من أبلغ الحكم وأعجبها.

(ولا تكن عند النعماء بطراً): البطر: الطغيان عند كثرة النعم.

(ولا عند البأساء فشلاً): البأس والبأساء: الحرب، والفشل: الخور والجبن، فإن هاتين الخصلتين من خصال اللئام: البطر عند النعمة، والجبن والخور عند لقاء الأبطال.

(34) من كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر

لما بلغه توجده من عزله بالأشتر، ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها:

(وقد بلغني موجدتك): وجد مطلوبه يجده وجوداً، ووجدضالته وجداناً، ووجد في نفسه موجدة، وهو عبارة عما يلج في الصدر من الغم، وفي الحديث: ((فلان يجد في قلبه موجدة علينا، قوموا بنا إليه)).

(من تسريح الأشتر إلى عملك): التسريح: هو الإرسال، وأراد من إرسال الأشتر ليقوم مقامك في أعمالك كلها.

(وإني لم أفعل ذلك): يشير إلى عزله، وإقامة الأشتر مقامه.

(استبطاء لك في الجهد): الجهد بفتح الجيم وضمها هو: الطاقة، أي لأنك أبطأت في الاجتهاد فيما

أنت [بصدده.

(ولا ازدياداً لك في الجدّ): ولا فعلت ذلك؛ لأن تزداد في جدك فيما أنت فيه](2) فيكون ذلك سبباً للموجدة في نفسك، واختلاطها بك.

(ولو نزعت ما في يدك): من الولايات وأزلتها.

(من سلطانك): ونفوذ أمرك فيها بالقهر والسلطنة.

(لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة): أسهل حملاً، وأخف تعباً ومشقة.

(وأعجب إليك ولاية): لما يظهر فيها من الجمال، وحسن الهيئة والمنظر.

(وإن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر): يعني الأشتر من أمرائه.

---

(1) في (أ): حذر.

(2) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(1813/5)

(كان رجلاً لنا ناصحاً): في جميع أموره وعمالاته كلها، والنصح: خلاف الغش والغدر.

(وعلى عدونا شديداً): متشدداً في أموره كلها.

(ناقماً): نقمه إذا كرهه، ونقم عليه إذا عتب، وأراد أنه كان كارهاً للأعداء، عاتباً عليهم ما يفعلونه من العداوة.

(فرحمه الله): أوصل الله إليه الرحمة من عنده، وهي الثواب من جهة الله تعالى.

(فلقد استكمل أيامه): العمر الذي قدَّره الله له وحتمه.

(ولاقى حمِامه): الحمِام: الموت وقدره.

(ونحن عنه راضون): هذه الجملة الإبتدائية في موضع نصب على الحال، مثلها في قولك: جاء زيد والشمس طالعة.

(أولاه الله رضوانه): أي أعطاه، من قولهم: أولاني معروفاً من عنده.

(وضاعف له الثواب): جعله أضعافاً زائدة على مقدار المستحق تفضلاً وإحساناً من جوده.

(فأصحر لعدوك): المصاحر: الذي يقاتل عدوه في الصحراء ولا يخاتله، وأراد أظهر له نفسك وتكشف له.

(وامض على بصيرتك): على معرفتك بالحق وعلمك به.

(وشمر لحرب من حاربك): عن ساق الجد، والأمر بالتشمير هاهنا كناية عن الاجتهاد في الحرب للأعداء، والجد فيه من غير تهوين.

(وادع إلى سبيل ربك): إلى صراطه وطريقه بالنصرة والسيف.

(وأكثر الاستعانة بالله): إن كانت الرواية بالنون فالمراد اطلب(1) العون من الله تعالى، وإن كانت الرواية بالثاء(2) فالمراد به طلب الغوث من عند الله، واستغاثني فلان فأغثته إغاثة، والاسم منه الغياث.

(يكفك ما أهمك): ما أنت مهموم به من الأمور كلها.

(ويعينك على ما ينزل بك): يلطف لك فيما ينزل بك من المهمات العظيمة.

(35) ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد قتل محمد بن أبي بكر بمصر رحمه الله تعالى

---

(1) في (ب): طلب.

(2) أي الاستغاثة.

(1814/5)

(أما بعد، فإن مصر قد افتتح): أعاننا الله تعالى حتى فتحناه، وصارت من جملة أعمالنا، وما ينفذ فيه أمر الله وأمرنا.

(ومحمد بن أبي بكر رحمه الله(1) قد استشهد): حيزت له الشهادة، ولقي الله تعالى(2) شهيداً.

(فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً): يقال: فلان نحتسبه ولداً إذا مات وهو كبير، فإن مات وهو صغير قيل: افترطه، وفي الحديث: ((أسقاطكم أفراطكم)).

(وعاملاً كادحاً): الكدح: جهد النفس في العمل وكدها فيه، من: كدح جلده إذا خدشه.

(وسيفاً قاطعاً): يقال: فلان سيف قاطع إذا كان ماضياً في أموره.

(وركناً دافعاً): أي عظيماً، من قولهم: سيل دفاع إذا كان يدفع ما قابله.

(وقد كنت حثثت الناس على لحاقه): للنصرة له والدفاع عنه.

(قبل الوقعة): واشتباك الحرب والتحامها.

(وأمرتهم بغياثه): بالإغاثة له والإسراع إلى نصرته.

(ودعوتهم سراً وجهراً): أراد أني كالمتهم على أعيان الملأ مرة، وخفية فيما بيني وبينهم مرة أخرى.

(وعوداً وبدءاً): وأعدت عليهم المراجعة بعد أن ابتدأتها، فتحزبوا عند ذلك أحزاباً، وتفرقوا فرقاً.

(فمنهم الآتي كارهاً): من غير رضا من نفسه.

(ومنهم المعتل كاذباً): يعني يعتل بعلة وهو كاذب فيها أنه معذور، وما له عذر يعذر به.

(ومنهم القاعد): من غير علة.

(خاذلاً): متقاعداً عن نصرة الحق وهو متمكن منها(3).

(أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً): لطفاً من عنده معجلاً لمخالفتهم لأمري، ونكوصهم عن نصرة دينه.

(فوالله لولا طمعي): الطمع: شدة الرغبة في مطلوب الطامع.

---

(1) قوله: رحمه الله، زيادة في شرح النهج.

(2) تعالى، زيادة في (ب).

(3) في (ب): فيها.

(1815/5)

(عند لقاء(1) عدوي في الشهادة): شدة رغبتي فيها، وانقطاع نفسي في محبتها.

(وتوطيني نفسي على المنية): وعزمي على موافاة الأجل ولقائه.

(لأحببت ألاَّ أبقى مع هؤلاء): هذا جواب القسم، وهوفي الحقيقة جواب لولا، ولكنه مع لولا نازل منزلة جواب القسم وساد مسده، وأراد أنه لا يحب الدوام معهم.

(ولا يوماً(2) واحداً): على قلته وحقارته.

(ولا ألتقي بهم): ألاقيهم.

(أبداً): زماناً لا ينقطع.

(36) ومن كتاب له عليه السلام إلى عقيل بن أبي طالب(3)

(فسرحت إليه(4) جيشاً كثيفاً من المسلمين): الكثيف: الغليظ يقال: كثف الشيء كثافة إذا غلظ، وأراد جيشاً متكاثفاً لكثرة عساكره، وقد كان أرسله في هذه العساكر لحرب بعض البغاة وأظنه معاوية.

(فلما بلغه ذلك): يريد وصول العسكر(5) وخروج عقيل فيهم.

(شمر هارباً): جزعاً وفشلاً عن اللقاء.

(ونكص): على عقبيه، يعني رجع عما أراد.

(نادماً): على ما فعل من اللقاء، أومن استمراره على المخالفة لما رأى ما رأى.

(فلحقوه ببعض الطريق): تداركوه بعد توليته هارباً.

(وقد طفَّلت الشمس للإياب): تطفيل الشمس: ميلها إلى الغروب، وإيابها: رجوعها إلى مكانها الذي تستقر فيه.

(فاقتتلواشيئاً): أي اقتتالاً.

---

(1) في شرح النهج: لقائي.

(2) في (ب): يوماً، وقوله: ولا، سقط منها.

(3) في شرح النهج: ومن كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل.

(4) إليه، سقط من (أ).

(5) في (ب): العساكر.

(1816/5)

(كلا ولا): أي ليس بالقليل ولا بالكثير أي متوسطاً بين الأمرين، كما قال تعالى: {لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}[النور:35]، أي لا هي في مضحاة للشمس، ولا في مقنأة(1) للظل(2).

(فما كان): بعد الاقتتال الذي كان منهم.

(إلا كموقف ساعة): كساعة قليلة يوقف فيها.

(حتى نجا): عن القتل والأسر والسلب.

(حريصاً)(3): في غاية الحرص على الذهاب، وانتصابه على الحال من الضمير في نجا.

(بعدما أُخِذَ منه بالْمُخَنَّق): المخنَّق بالتشديد هو: موضع الخنق من العنق، أورد هذا كناية عن شدة الحال التي بلغوها، وصعوبة الأمر هناك.

(ولم يبق معه غير الرمق): آخر النفس، ومنه عيش رمق أي يمسك الرمق لقلته.

(فلأياً بلأي): أي شدة بعد شدة وإبطاء، وانتصابه على المصدرية تقديره: لأى لأياً(4) أي اشتد شدة وإبطاء.

(ما نجا): ما هذه زائدة للإبهام أي شدة بعد شدة عظيمة كان نجاؤه.

(فدع عنك قريشاً): اترك أخبارهم وأحاديثهم.

(وَتَرْكاضَهُم في الضلال): التفعال من أبنية المصادر الموضوعة للمبالغة كالتسيار والتضراب.

(وتَجْوَالهُم في الشقاق): التجوال: الاضطراب، ومنه: تجاول الفرسان.

---

(1) المقنأة: المكان الذي لا تصيبه الشمس، يقال: هذه الشجرة ليست في مضحاة ولا مقنأة. (وانظر أساس البلاغة ص378).

(2) في (ب): أي لا هي في مضحاة الشمس، ولا في مفيأة الظل.

(3) في (ب) وشرح النهج: جريضاً، وقال ابن أبي الحديد في شرحه: أي قد غصَّ بالريق من شدة الجهد والكرب. انتهى.

(4) في (ب): لأياً لأياً.

(1817/5)

(وجماحهم في التيه): جمح الفرس: إذا اشتد رأسه فلا يملك، وأراد بهذا كله إصرارهم على ماهم فيه من الضلال، وركوب الشقاق في مخالفته، يشير به إلى طلحة والزبير وعائشة ومعاوية ممن تحزب عليه من قريش.

(فإنهم أجمعوا على حربي): اجتمعوا عن آخرهم على شقاقي ومخالفتي.

(كإجماعهم على حرب رسول الله[صلى الله عليه وآله وسلم](1) قبلي): يريد في الاجتماع والتألب دون الحكم؛ لأن حرب رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](2) كان كفراً وشركاً ونفاقاً، وحربه إنما هو فسق وبغي ومخالفة.

(فجزت قريشاً عني الجوازي): الجوازي: جمع جازية، وأراد إما الأرحام، وإما الخصال المحمودة، وإما الفعلات المذمومة على ما فعلوه معي وأسندوه إلي.

(فقد قطعوا رحمي): بما كان منهم من الشقاق والمخالفة، والحرب بيني وبينهم التي تؤذن بقطع الأرحام.

(وسلبوني سلطان ابن أمي): أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما عبَّر عنه بابن الأم؛ لأمرين:

---

(1) سقط من (أ).

(2) سقط من (أ).

(1818/5)

أما أولاً: فلأن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين كانت تربي رسول الله[صلى الله عليه وآله وسلم](1) في حجر أبي طالب فكانت كالوالدة له(2).

وأما ثانياً: فلأن أبا طالب وعبد الله أب رسول الله كانا أخوين من الأب والأم، وأمّ الأب أم، فلهذا قال: ابن أمي يشير إلى ما ذكرناه، وأراد بالسلطان الولاية بعد رسول الله كانت مستحقة له.

(1) سقط من (أ).

(2) قال المولى العلامة المجتهد الكبير مجد الدين بن محمد المؤيدي في لوامع الأنوار 209/3-210 في ترجمة فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ما لفظه: أخرج الطبراني في الكبير والأوسط، وابن حبان، والحاكم عن أنس قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها فقال: ((رحمك الله يا أمي بعد أمي)) وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده، قال: ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسامة، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاضطجع فيه ثم قال: ((الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي)). انتهى ما نقلته من لوامع الأنوار، وقال الإمام أبو العباس الحسني رحمه الله في المصابيح ص120 بعد ذكر وفاة فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين رضي الله عنها ونزول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قبرها ودعاءه لها قال ما لفظه: وفي حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وآله وسلم ألبسها قميصه واضطجع معها في قبرها وقال: ((إني كنت يتيماً في حجرها فأحسنت إليَّ)).

(1819/5)

وزعم الشريف علي بن ناصر أنه أراد بقوله: ابن أمي، نفسه، وهذا بعيد لا يعهد مثله، والوجه فيه ما ذكرناه(1).

(وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال): لأن عقيلاً سأل أمير المؤمنين عن رأيه في قتال أهل القبلة، فأجابه بقوله:

(فإن رأيي قتال المحلِّين): بالحاء المهملة أي إن(2) الذي أذهب إليه، وأقوله بالحجة الواضحة، والدليل القاطع أن أقاتل من أحل قتالي وأباحه، وبغى عليَّ، وخالف أمري من هؤلاء.

(حتى ألقى الله): ألاقيه عند انقضاء أجلي بالشهادة في حربهم وقتالهم.

(لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة): أي أني لا أعتز باجتماع الناس إليَّ، وإنما عزتي بالله ونفوذ بصيرتي في ذلك.

(ولا تفرقهم علي(3) وحشة): ولا يزيدني بعدهم عني وحشة، ولا نكوصاً عما أنا فيه من قتالهم ومنابذتهم.

---

(1) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 152/16 تعليقاً على الراوندي الذي سبق أن شرح (نهج

البلاغة) قبل ابن أبي الحديد، ما لفظه: وقال أيضاً - أي الراوندي- قوله: (سلطان ابن أمي) يعني نفسه أي سلطانه لأنه ابن أم نفسه، قال: وهذا من أحسن الكلام، ولا شبهة أنه على تفسير الراوندي لو قال: وسلبوني سلطان ابن أخت خالتي، أو ابن أخت عمتي، لكان أحسن وأحسن، وهذا الرجل قد كان يجب أن يحجر عليه، ولا يمكن من تفسير هذا الكتاب، ويؤخذ عليه أيمان البيعة ألاّ يتعرض له. انتهى بلفظه.

(2) إن، سقط من (ب).

(3) في شرح النهج: عني.

(1820/5)

(ولا تحسبن أن ابن أبيك -ولو أسلمه الناس-): إنما قال: ابن أبيك، ولم يقل: ولا تحسبني ملاطفة في أدب(1) الخطاب، وتذكيراً للرحم الباعثة على المواصلة والنصرة، وتشجيعاً له على معاضدته في الخطوب العظيمة، ونظيره قول إبراهيم لآزر: {يَاأَبَتِ}، وقول لقمان: {يَابُنَيَّ}، وقول هارون: {يَبْنَؤُمَّ}، وغير ذلك، وأراد ولا تظننَّ ابن أبيك عند إسلام الناس له وانقطاعهم عن نصرته وانفلاتهم عن يده.

(متضرعاً): ذليلاً خاضعاً.

(متخشعاً): إن كانت الرواية فيه(2) بالخاء المنقوطة، فالغرض بالخشوع هو: الخضوع والتصاغر، وإن كانت الرواية بالجيم(3)، فالغرض بالتجشع هو: أشد الحرص على الدنيا والبقاء فيها.

(ولا مقراً للضيم): أي ولا معترفاً بالظلم.

(واهناً): أي ضعيفاً من الوهن(4)، وهو: الضعف.

(ولا سلس القياد(5) للقائد): ولا سهلاً لمن أراد قياده.

(ولا وَطِئَ الظهر للراكب): استعار هذا من الجمل الذي تكون فيه صلابة وخشونة، فلا ينجذب لمن يقوده بزمامه، ولا يتوطئ ظهره لمن أراد ركوبه.

(المقتعد): الذي يقعد عليه عند ركوبه له.

(ولكنه كما قال أخو بني سليم): سليم: قبيلة من قيس غيلان، وسُليم: قبيلة من غطفان.

(فإن(6) تسألني كيف أنت فإنني

يعز عليَّ أن ترى بي كآبة

صبور على ريب الزمان صليب

فيشمت عادٍ أو يساء حبيب)(7)

---

(1) في (ب): في آداب.
(2) فيه، سقط من (ب).
(3) أي متجشعاً.
(4) في (ب): والوهن هو: الضعف.
(5) في شرح النهج: الزمام، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(6) في (ب): وإن، و في شرح النهج: فإن تسأليني.
(7) ذكر ابن أبي الحديد أن هذين البيتين ينسبان إلى العباس بن مرداس السلمي، وذكر أنه لم يجدهما في ديوانه.

(1821/5)

ولنذكر إعرابهما وموضع الشاهد منهما:
أما إعرابهما فهو(1) ظاهر، والكآبة: سوء الحال وشدة الحزن، والشماتة: الفرح ببلية العدو ووقوعه في المكاره، وقوله: أن ترى بي(2) في موضع رفع على الفاعلية ليعز.
وأما موضع الشاهد منهما: فإنما أوردهما تمثلاً(3) لما هو فيه من التجلد وإظهار حسن الحال، والصبر على المكاره، وإمضاء العزم على الاصطبار عند كل مساءة(4).

(37) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية
(فسبحان الله!): تنزيهاً له وبراءة له عما أنت فيه من خبث السريرة، وفساد العلانية وقبح الأعمال.
(ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة): تعجب من شدة ملازمته لما ابتدعه من جهة نفسه من الأهواء وضلال الآراء التي افتعلها بالمكر، وأعمل فيها رأيه بالخديعة.
(والحيرة المتَّبعة): واتباعك للمذاهب(5) التي هي مواطن للحيرة والارتباك، وتعمقك فيها من غير بصيرة هناك ولا رأي مسدد.
(مع تضييع الحقائق): الحقائق: جمع حقيقة، وهي ما ينبغي للإنسان أن يحرسه عن الإهمال والضياع، وأراد أن معاوية مهمل لما يتوجه عليه حراسته من حقائق الدين والقيام بواجباته وامتثال أوامره، والانكفاف عن الوقوع في مناهيه.
(واطّراح الوثائق): الوثائق: جمع وثيقة وهي واجبات الدين ومهماته.
(التي هي لله طِلْبَةٌ): أي مطلوبة من جهة كونه آمراً بها وحاثًّا على فعلها، وإرساله للرسل اعتناء بها.
(وعلى عباده حجة): إن هم أتوا بها استحقوا الجنة، وإن هم أعرضوا عنها استحقوا النار، وحال

معاوية لا يخفى في إهماله لهذه الأشياء وإعراضه عنها.

---

(1) في (ب): أما إعرابهما فظاهر.

(2) بي، سقط من (ب).

(3) في (ب): تمثيلاً.

(4) في (ب): عند مسآءة.

(5) في (ب): المذاهب.

(1822/5)

(فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته): اعلم أن معاوية لكثرة غدره وعظم محاله ومكره، لا(1) يزال تكرير أحاديث قتلة عثمان وأمره إغراقاً في مخالفة الحق، وإعراضاً منه عن المسالك الواضحة، واتخاذ ذلك طعناً في الدين ومخالفة لسبيل المؤمنين.

(فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك): يشير بكلامه هذا إلى أنه ليس من عثمان في ورد ولا صدر، وأن كلامه هذا ليس انتصاراً من أجل عثمان، وإنما هوتقرير لما هو فيه من البدعة والضلالة والبغي؛ لأن عثمان لا ينتفع بانتصاره له الآن، وإنما هو انتصار من أجل نفسه فلهذا قال: نصرته حيث كان النصر لك.

(وخذلته حيث كان النصر له): يريد أن خذلانك له ظاهر يوم كان محاصراً في داره، فتركت نصره، ولو نصرته ذلك اليوم؛ لكان النصر له؛ لأنه يكون تفريجاً لما هو فيه، فأما الآن فلا ينفعه نصرك بحال.

فانظر إلى كلامه هذا ما أشمله للمعاني، وأفحمه للأفئدة، وأقطعه للشغب واللجاج.

(38) ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصرلما ولَّى عليهم الأشتر

(من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى القوم): من هذه لابتداء الغاية، وهي في موضع رفع خبر لمبتدأ تقديره: هذا الكتاب من عبد الله، والخبر إلى القوم.

(الذين غضبوا لله): أي من أجل الله.

(حين عصي في أرضه): بارتكاب المناهي وإضاعة الحدود.

(وذُهِبَ بحقه): ذهب بكذا إذا أخذه، وأراد أنهم أخذوا بها كل جهة في تضييعها وإبطالها.

(فضرب الجور سرادقه): السرادق: هو الخيمة من القطن، واستعاره هاهنا لدخول الناس في الجور واندراجهم تحته.

(على البر والفاجر): المسلم والفاجر، والفاجر(2) يُظْلَمُ وَيَظْلِمُ، والمؤمن يُظْلَمُ ولا يَظْلِمُ.

---

(1) في نسخة: ما (هامش في ب).
(2) في (ب): فالفاجر.

(1823/5)

(والمقيم والظاعن): والقاطن في بيته، والمرتحل عنه، وغرضه بذلك عمومه وشموله لكل أحد.
(فلا معروف يستراح إليه): أي يحث عليه ويفعل، فتستريح إليه قلوب المؤمنين الأولياء، وتطمئن أفئدتهم بفعله وتميل نفوسهم إليه.
(ولا منكر يتناهى عنه): ينهى كل واحد صاحبه عن فعله والإقدام عليه، فهذه حال أهل مصر على ما ذكره من الثناء عليهم في ذلك.
(أما بعد، فإني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله): ولياً من أوليائه، والبعث هو: الإرسال.
(لا ينام أيام الخوف): لشدة تيقظه وتحفظه من الأعداء، فيذهب نومه إذا كان خائفاً.
(ولا يَنْكُلُ عن الأعداء): ولا يجبن عن ملاقاة الأعداء.
(ساعات الروع): أحيان الفشل من شدة الخوف والفزع.
(أشد على الفجار من حريق النار): في هيبته وشدة انتقامه، وتسلطه عليهم بالقهر والتطاول، يشبه النار عند حريقها في سطواته(1) عليهم، وهو مالك بن الحارث.
(أخو مَذْحَجٍ): قد ذكرنا تفسير الأشتر فيما سبق، ومذحج(2): قبيلة من اليمن.
(فاسمعوا له): قوله فيما يقوله من الدعاء إلى الله تعالى وإلى دينه.
(وأطيعوا أمره): فيما يأمركم به من القيام بالواجبات، والمحافظة على حدود الله.

---

(1) في نسخة: سطواتها. (هامش في ب).
(2) مَذْحج بالفتح، والبعض يضم الميم أو يكسرها، وهي إحدى القبائل الكهلانية الكبرى، سميت باسم مذحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان، ولها بطون كثيرة داخل اليمن وخارجه تبلغ إلى أربعة وعشرين بطناً. (انظر معجم البلدان والقبائل اليمنية للمقحفي ص576.

(1824/5)

(فيما طابق(1) الحق): يريد أن سماع قوله، والطاعة له إنما هو في موافقة الحق لا غير، وفي الحديث:((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))(2).

(فإنه سيف من سيوف الله): شبهه في العزيمة الماضية، والحدة البالغة بمنزلة السيف، وإنما أضافه إلى الله؛ لأن مضاه في عزمه وتصلبه في أمره إنما كان من أجل الله وغضباً لدينه وانتصاراً له، فلهذا أضافه إليه لما له في ذلك من الاختصاص .

(لا كليل الظُّبة): الظُبة: طرف السيف، وأصلها ظبو(3)، لكنها حذفت الواو وأبدل منها التاء، قال الشاعر:

إذا الكماة تنحوا أن ينالهم

حد الظبات وصلناها بأيدينا(4)

وكل حد السيف يكل كلولاً إذا لم يكن قاطعاً.

(ولا نابي الضريبة): يقال: نبا السيف إذا لم يعمل عند الضرب، والضريبة هي: المضروبة بالسيف، وإنما برزت الياء في فعيل بمعنى مفعول لما كان غير مصحوب بموصوفه كما مر بيانه، وأراد أن سيفه لا ينبو عما ضرب به، يشير بذلك إلى أنه كامل في أمره، مُعْجِبٌ في أحواله كلها.

---

(1) في (ب): يطابق.

(2) رواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله تعالى في أنوار التمام 433/5 وعزاه إلى الشفاء للأمير الحسين بن بدر الدين، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 158/16، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 265/7 إلى مصنف ابن أبي شيبة 546/12، والدر المنثور للسيوطي 177/2، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي 145/3، 22/10، وتأريخ أصفهان133/1.

(3) في الأصل: ظبوة، وأصلحته من لسان العرب 641/2، قال فيه: وأصل الظبة ظُبو بوزن صُرَد فحذفت الواو وعوض منها الهاء.

(4) لسان العرب 641/2، ونسبه لبشامة بن حري النهشلي.